الوعي الإسلامي

al-Waei al-Islami

شهرية جامعة إسلامية

العدد ٣٩٨ ـ السنة الخامسة والثلاثون ـ شوال ١٤١٩ هـ ـ يناير / فبراير ١٩٩٩ م



سمو الأمير لمناسبة العشر الأواخر من رمضان:

« مازال بيننا من يمارس سلوكيات ترفية وكأن الكويت لم يصبها ما أصابها »

العولمة الثقافية وأثرها على التنشئة الاجتماعية

المكتبات الإسلامية بين كيد الأعداء وجهل العامة

مسلمو أوغندا من مملكة البوجندا إلى عصر الانقلابات العسكرية

هديتك مع العدد براعم الإيمان

كل عام وأنتم بخير

تتقدم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

وأسرة تحرير مجلة الوعي الإسلامي من

صاحب السمو أمير البلاد

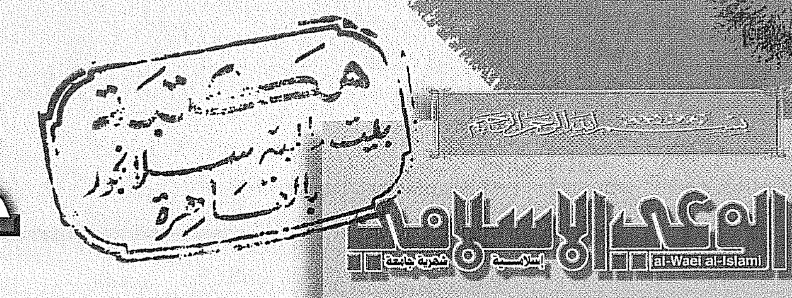
وسمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء

ورئيس وأعضاء مجلس الأمة

وأعضاء الحكومة الموقرة

بأطيب التهاني وأجمل الأماني
لمناسبة عيد الفطر السعيد
سائلين المولى سبحانه وتعالى أن يعيده على
المسلمين قاطبة باليمن والخير والبركات
وأن يرحم الشهداء الأبرار
ويفك قيد الأسرى ويعيدهم سالمين غانمين
إنه سميع مجيب





إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٩٨ . السنة الخامسة والثلاثون
شوال ١٤١٩ هـ . يناير / فبراير ١٩٩٩ م

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
بدر سليمان القصار
BADER S. AL-QASSAR

المشرف الإداري والمالي
ADMN. & FINANCE DIRECTOR
خالد عبداللطيف بوقماز
KHALED A. BUQAMMAZ

الإشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

المراسلات

مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب : ٢٣٦٦٧ - الصفاة . 13097 . الكويت
المراسلات كافة باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami
P.O.BOX 23667 SAFAT 13097 KUWAIT
TEL. 965 2487210 FAX 965 2431740

e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

هاتف : ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+)
فاكس : ٢٤٣١٧٤٠ (٩٦٥+)

مطابع السياسة - الكويت

كلمة العدد

أمتنا والعيد

أعزاءنا القراء

يطالعكم هذا العدد من مجلة الوعي الإسلامي، والأمة المسلمة في كل أصقاع الدنيا تحتفل بعيد الفطر السعيد بعد انقضاء شهر رمضان المبارك، حيث تزودت النفوس المؤمنة بشحنات إيمانية تساعدها على اجتياز طريق مستقبلها المنشود.

إن الأمل يحدونا جميعاً بأن تحتفل الأمة في عيدها المقبل، وقد تهيأت لها جميع السبل الإيجابية والصحية لدخول القرن الحادي والعشرين، لتستأنف مسيرتها الذاتية التي تقوم على ركائز ثابتة في مجتمعنا وتستمد اندفاعها من الطاقات الكامنة في حضارتنا الإسلامية العريقة، وترتوي من ينابيعها العذبة حلولاً ناجعة لكل القضايا المستعصية، وتجتهد لإجراء عملية الهضم الحضاري لتجارب الأمم والحضارات غير الإسلامية ضمن الأطر الشرعية السائدة.

وكل عام وأنتم بخير ،،،

الوعي الإسلامي

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير . للمؤسسات ١٠ دنانير كويتية.
- الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم : للأفراد ١٠ كويتية دنانير (او مايعادلها).
- للمؤسسات : ٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار

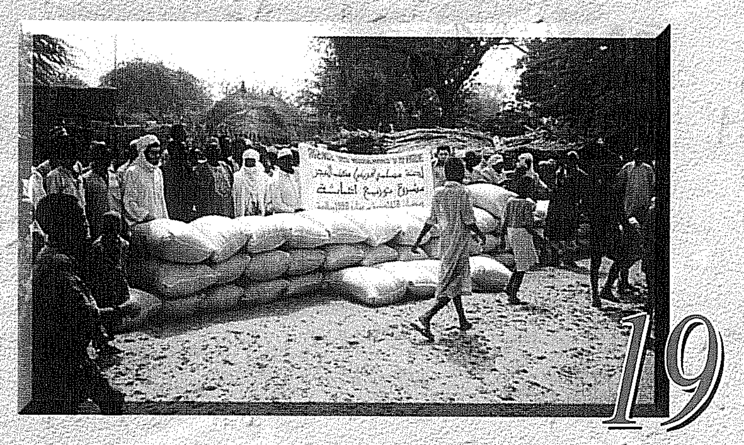
الكويت : ٣٥٠ فلسا - السعودية : ٤ ريالات - البحرين : ٣٠٠ فلس
قطر : ٤ ريالات - الامارات : ٤ دراهم - سلطنة عمان : ٣٠٠ بيسة
الأردن : ٥٠٠ فلس - مصر : جنيه واحد - السودان : ٥ جنيهات
موريتانيا : ١٢٠ أوقية - تونس : دينار واحد - الجزائر : ٥ دنانير
اليمن : ٥ ريالات - لبنان : ١٠٠٠ ليرة - سوريا : ٢٠ ليرة - المغرب : ٦ دراهم
ليبيا : ٥٠٠ مليم - اوروبا : جنيه استرليني واحد او مايعادله
امريكا وبقية دول العالم الاخرى : دولاران او مايعادلهما.

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧
ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت . برقيا نيوزبيبر

في هذا العدد


الوعي الإسلامي
الموهبة القيادية وأثرها على التنشئة الاجتماعية

ملف العمل الخيري



19

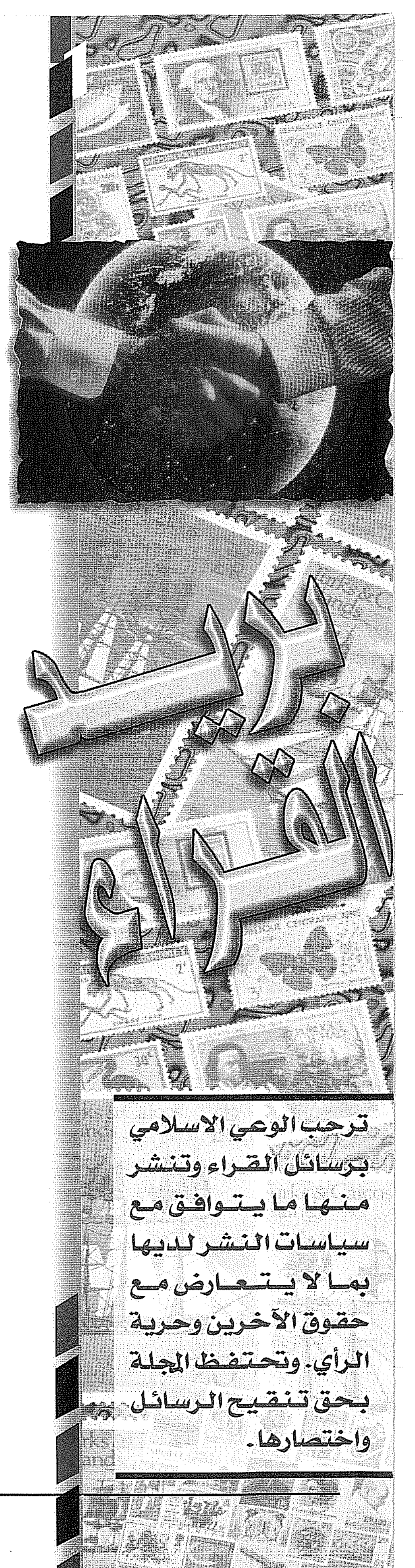
لجنة مسلمي أفريقيا الكويتية

لجنة مسلمي أفريقيا الكويتية منارة تشع بالخير والعطاء في قارة أفريقيا دون تمييز قبلي أو ديني أو عرقي

في الأعداد المقبلة

- الميراث في الإسلام هل يقوم على أساس الأقربية أم على أساس الأحقية؟ — د. رفيق يونس المصري
- الإنسان بين صبر الاضطرار وصبر الاختيار — محمود علي محمد عبدالرحمن
- دور اليهود في اغتيال الخليفة عمر بن الخطاب «رضي الله عنه» — سامي الجيتاوي
- التأصيل الإسلامي للإعلام — عبدالله بدران
- أهداف الدراسة في دور القرآن الكريم — عبدالهادي دحاني

الفهرس



التحديات منبهات حضارية

لا شك أن التحديات، والنكبات التي لحقت وتلحق بالأمة ما هي في الحقيقة إلا «منبهات حضارية» تحمل الأمم الحية للعكوف على ذاتها، والقيام بالمراجعة الشاملة لمواريثها الفكرية، ومواقفها العملية، بجرأة وشجاعة، فالأزمات هي التي توقظ الشعوب والأمم من سباتها. وأمامنا مثالان جديران بالدراسة والتأمل، المثال الأول والأكثر شهرة، اليابان التي خرجت من الحرب العالمية الثانية مشوهة وفقدت في لحظة أكثر من ٣٠٠ ألف نسمة، ولكن سرعان ما لمت الشعث لتدخل عالم ما بعد هيروشيما، ويظل المؤشر البياني في صعود طيلة نصف قرن، وقد عقد رؤساء الدول في السوق الأوروبية المشتركة مؤتمراً خاصاً في صيف ١٩٨٥م لاتخاذ ما يلزم من قرارات حتى لا تتخلف دول غرب أوروبا عن اليابان في مجالات التكنولوجيا المتقدمة.

والمثال الآخر... عندما أطلق السوفييت القمر الصناعي «سبوتنيك» العام ١٩٥٧م، والذي اعتُبر - آنذاك - سبقاً تكنولوجياً، عبّرت الجهات المختلفة في الولايات المتحدة الأميركية عن سخطها على مناهج العلوم والرياضيات، وعبَّر العلماء أنفسهم وحتى خريجو الجامعات ورجال الصناعة أيضاً عن عدم الرضا، ودعوا إلى تكوين طالب متمرس فنياً لتدخل أميركا أيضاً على عالم ما بعد «سبوتنيك».

فهل نلحق - نحن المسلمين - بركب الأمم مع ما معنا من إرث حضاري يضرب في أعماق التاريخ، وتكون الإصابات والجراحات منبهات ومحرضات حضارية تحمل لنا بصائر الحاضر وبشائر المستقبل.

عبدالكريم أحمد عوض الله

الشريعة الإسلامية وشهادات الغرب

إن سماحة الإسلام ستظل معيناً واضحاً لكل ذي لب والإسلام غني كل الغنى عن أن يشهد له الغرب، ولكن إنما قصدت هنا إظهار كلمة حق هنا قالها الأعداء، «والحق ما شهدت به الأعداء»، ولنبدأ بحديث الدكتور بنوه الفرنسي حيث قال: «إن نصوص بعض آي الكتاب الموحى به إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - منذ ما يزيد على ثلاثة عشر قرناً تتناسب وأحدث مبادئ العلوم العصرية، وكان من جراء هذه الملاحظات أن آمنت نهائياً»، إن هذه المقالة ترد وتثبت كذب من قال إن هذا العصر يحتاج إلى تشريع يتناسب والتقدم العلمي الملحوظ ينفي بذلك أحقية الكتاب الكريم بأنه لايصلح، فأي جهل هذا، وأيضاً مقالة أخرى تردُّ على جهل كل من يحقد على الإسلام ويتهمه بأنه يقف عقبة في سبيل التقدم والتفكير فيقول «أتين دينيه»: إن العقيدة المحمدية لا تقف عقبة في سبيل التفكير فقد يكون المرء صحيح الإسلام وفي الوقت نفسه حر التفكير، وكما أن الإسلام قد صلح منذ نشأته لجميع الشعوب والأجناس، فهو صالح كذلك لكل أنواع المدنيات، وها هو «جيبسوت» يقول معلنا للعالم: إن هذا الدين خال من الشك والظن فيقول: «إن دين محمد خال من الشكوك والظنون، والقرآن أكبر دليل على وحدانية الله وهذا الدين أكبر من أن تدرك عقولنا الحالية أسراره ومعانيه غير المتناهية»، ويقول «تولستوي» في رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم: «... ويكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق وجعلها تجنح للسلام وتكف عن سفك الماء وتقديم الضحايا ويكفيه فخراً أنه فتح طريق الرقي والتقدم ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال». واختتم هذا المبحث بمقالة وزير مسيحي قال في حفل المولد النبوي «إن محمداً أعظم عظماء العالم، ولم يَجُدْ الدهر بمثله بعد، والذي جاء به أو في الأديان وأتمها وأكملها إن محمداً الذي تحتفلون به وتكرمون ذكراه أعظم عظماء الأرض سابقهم ولاحقهم فلقد استطاع توحيد العرب بعد شتاتهم وإنشاء أمة موحدة فتحت العالم المعروف يومئذ».

خالد محمد أمين

ملاحظات

مما لا شك فيه، أن مجلتنا العظيمة الوعي الإسلامي تعتبر موسوعة دينية وثقافية وعلمية لكل من يقرأها ونريد لمجلتنا العظيمة أن تكون في أبهى صورة لها ولكن لي بعض الملاحظات أرجو أن تتقبلوها بصدر رحب وهي:

١ ـ نلاحظ في بعض الأعداد مثل العدد (٣٩٦) زيادة المساحة المخصصة لأنشطة الوزارة (نحو ٢٠ صفحة)، وهذه المجلة يقرؤها المسلمون في معظم البلاد، وليس في الكويت فقط، أرجو أن تقل هذه المساحة ليحل محلها المقالات العظيمة لشيوخنا وأساتذتنا الكرام.

٢ ـ أرجو زيادة المساحة المخصصة لبريد القراء، لأنها تعبر عن آراء المسلمين الحرة في كل أنحاء العالم الإسلامي.

٣ ـ بالنسبة لمجلة براعم الإيمان أرجو أن تكون القصة المصورة مرقَّمة بحيث أن تحمل الصورة رقمها حتى يستطيع القارئ متابعة القصة بترتيب الصور.

أشرف محمد أحمد سكر - مصر

المحرر :

شكراً على ملاحظاتكم الطيبة، ونأمل أن نأخذ بها مستقبلاً، وأما بخصوص زيادة مساحة أنشطة الوزارة في العدد ٣٩٦، فهذا أمر استثنائي أملته ظروف معينة، والأنشطة عادة لا تأخذ كل هذه المساحة... بارك الله بكم وجزاكم الله خيراً.

ردود خاصة

الأخ عبدالناصر جناحي ـ دولة البحرين:
يمكنكم الحصول على المعلومات المطلوبة من كشاف الوعي الإسلامي في أجزائه الثلاثة، وجزاكم الله خيراً على ثقتكم بالمجلة.

الطلبة الماليزيون الدارسون في القاهرة:
وان روهيشام بن وان إبراهيم، عثامن بن صوفي، خيرالدين مختار بن يوسف، وان عبدالعزيز محمود، يمكنكم مخاطبة المؤسسات الخيرية لحل مشكلتكم المالية.

القارئ حسين أحمد عبداللطيف ـ مصر :
ليس لدينا فهرست لموضوعات البراعم حتى نعرف العدد الذي نشرت فيه القصة، يمكنكم موافاتنا برقم العدد فقط حتى نقوم بإرساله إليكم.

القارئ عبدالله خالد حسن ـ الجزائر :
عنوان وكالة الأنباء الإسلامية «إيتا» هو: جدة ـ شارع الأمير فهد ـ ص.ب: ٥٠٥٤ الرمز البريدي (٢١٤٢٢).

الطفرات التقنية وترويج السقوط

ربما كان هذا العصر الذي نعيشه أجدر بأن يسمى عصر الطفرات التقنية إذ إن منحنى التقدم التكنولوجي حقق وثبات عالية ومتتابعة وسريعة خلال حقبة زمنية صغيرة نسبياً وذلك على محاور متعددة.

ففي عالم الاتصالات مثلاً، صار الحديث عن ثورة الاتصالات وما حققته من إتاحة الاتصال السريع بين بقاع العالم المتباعدة حتى غدا العالم كله كقرية صغيرة، وصار متاحاً لأكثرية من الناس أن يعايشوا أحداثاً شاسعة البعد ساعة حدوثها، بل قد يرونها حية، وتمكنت وسائل التجسس من التقاط أخفى الأسرار وأدقها، وفي عالم الإنتاج الصناعي أدمجت شركات عملاقة لتكون اخطبوطاً صناعياً هائلاً لا يمكن أن تقف له منافسة وصارت أسماء هذه الشركات علماً على حاجات معينة، أو هي احتكرت ضرورات ملحّة، ولقد تضخم الإنتاج وتعملق إلى الحد الذي فاق معدلات الاستهلاك في كثير من السلع وجعل الخطر الماثل أمام الفقراء ليس هو ندرة السلعة، وإنما هو خطر الإغراق» «أي إغراق أسواق بسلع رخيصة وافدة تفتك بالمنتج المحلي المشابه»، وعلى المسرح العسكري تبارت الشركات الكبرى في إنتاج وسائل التدمير المخيفة حتى ليعجب الإنسان من إنتاج كل هذه الكميات والنوعيات التي ربما تكفي لإبادة سكان الأرض عشرات المرات، قد يسأل سائل هل الإنسان هو المستهدف من كل ذلك أم أنه كائن آخر مجهول.

وإذا كان من الطبيعي أن يصب التقدم الصناعي في مصلحة هذه البشرية الضائعة ويسهل لها سبل العيش المترف، إلا أنه في الواقع حقق العكس، فالبشرية الآن تتخبط أكثر مما مضى في أوحال التخلف رغم كل ما تحقق من إنجازات لا تنكر في جميع المجالات.

إن هذا التقدم العلمي الصناعي قد وُظِّف لمحاربة الإنسان في أخص خصائصه وفي إنسانيته بالذات، إن تجار الجنس ومروجي المخدرات ومافيا الأسلحة لم يضيعوا فرصة واحدة من هذه الفرص لتصب في مصالحهم، فالفيديو واللواقط الهوائية وشبكة الأنترنت كلها وظفت جيداً لترويج السقوط والدعارة، بل للسرقة أحياناً، وأصبحت هنالك نوعيات من الناس تقتني هذه الأشياء ليس إلا للتمتع بالمشاهد الجنسية الساقطة، وإذا كان نقل الأفلام الجنسية عبر الحدود يشكل ـ فيما مضى ـ صعوبة على مروجيها، فالتقنية الصناعية تكفلت بحل هذه المشكلة، وبإمكان اللاقط الهوائي «الدش» أن يستقبل هذه المشاهد المبثوثة عبر الأثير، وإذا كان ذلك سيضيع على المتاجرين فرصة لتحقيق الكسب المادي من وراء ذلك، فالتقنية الصناعية أيضاً ستحل هذه المشكلة عن طريق تشفير هذه القنوات وتحصيل الاشتراكات من راغبي المشاهدة.

إن العنف والفسوق أصبح على قمة صادرات البلاد التي تسمى متقدمة، وإن بلادنا الإسلامية هي الأسواق المستهدفة، فما المخرج إذاً.

إن علينا كمسلمين أن نواجه هذه الحرب في جميع ميادينها بأسلحة مكافئة حتى لا يقذفنا السيل مع الزبد. علينا أن نبث ثقافتنا النظيفة عبر هذه الوسائل التقنية ذاتها وبأداء رفيع وبلورة حسنة وعرض ممتع علينا أن نمسك بزمام المبادرة، وأن نلفت ذوي الألباب إلى كنوزنا وجواهرنا المطمورة فنقدم مثلاً الثقافة الجنسية العلمية المحترمة كبديل لهذا العفن الأخلاقي الذي يزكم أنوفنا تحت مسمى الثقافة الجنسية، ونقدم الفهم الصحيح لعقائدنا بدلاً من التعارك الدفاعي حول تهم ألصقت بنا، ونقدم النموذج الحي للمارد الإسلامي القوي الذي لا يخيف الضعفاء، بل يأخذ بأيديهم إلى طريق النجاة، فهل نحن فاعلون؟

محمد عبدالظاهر محمد - مصر

لمناسبة العشر الأواخر من رمضان:

الأمير: مازال بيننا من يمارس سلوكيات ترفيّة وكأن الكويت لم يصبها ما أصابها

حذّر صاحب السمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد من «أن الذي لا يفيق والسيل منهمر جرفه التيار» و«الذي يصم أذنيه عن نداء الوطن ابتلعه الضياع».

وركزت كلمة سمو الأمير التي ألقاها لمناسبة العشر الأواخر من رمضان على بناء الإنسان الكويتي «لأنه الرصيد الدائم والباقي لوطننا العزيز»، معتبراً دعوته إلى ذلك «أشد ضرورة وأكثر إلحاحاً». وربط سمو الأمير بين الدعوة لبناء الإنسان وبناء الاقتصاد في دعوة «مقترنة بترك المبالغة في الإسراف والترف»، معتبراً أمن الكويت «نابعاً في الأساس من وعي شعبها وإسهاماته وبسواعده وتضحياته».

وأشار صاحب السمو إلى أن «المشكلات التي نعانيها والتحديات التي تواجهنا كثيرة ومتنوعة»، طالباً مقابلتها بالوعي والدراسة والرأي المتحد والصف المرصوص، محذراً من أن «مداراة الجرح بالمسكّنات تنطوي على خطر كبير»، مؤكداً أن المطلوب «هو العلاج والعلاج العاجل مهما كانت مرارة الدواء تجنباً للخطر وارتقاباً للعافية». وفي ما يلي النص الحرفي للنطق السامي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم المرسلين

إخواني وأخواتي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وأدام الله تعالى علينا طاعته وخشيته، وأعاننا على أداء ما افترض، وتقبّل صيامنا وقيامنا، وجعل عملنا خالصاً لوجهه سبحانه، وفي الحديث الصحيح «احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك».

ولقد منَّ الله تباركت نعماؤه علينا، بالالتفاف حول ديننا، والتعظيم لخالقنا عزَّ وجلَّ، والمحبة لرسولنا - صلى الله عليه وسلم - وتلقينا ذلك جيلاً بعد جيل عن آبائنا وأمهاتنا، سلوكاً عملياً وتعليماً بالحسنى، فكان تديننا سجية، وصارت قيم ديننا منارة نهتدي بها، ونرجع إليها، من وُفق إلى الطاعة ازداد بها تواضعاً، ومن انحرف عن الجادة دعونا الله سبحانه له بالهداية.

تخلّق آباؤنا بشرف العمل، وتحلوا بالعفاف، وشاع فيهم الإيثار والتعاون حتى صارت مفردات سلوكهم أشبه بملحمة أسطورية، تعزّ أحياناً على التصديق، وهي واقع يومي مازال كبار السن يذكرون بعضاً من نماذجها. وإذا كان الولد سرّ أبيه كما تقول الحكمة العربية، فإنني واثق أن هذه الأخلاق كامنة فينا، باقية بيننا، وإن توارت أحياناً في غبار التغيرات التي أصابت القيم والمثاليات.

إخواني وأخواتي

من موقع الأمانة التي في عنقي تجاه الوطن والمواطنين، أجدد دعوتي لبناء الإنسان الكويتي فهي اليوم أشد ضرورة وأكثر إلحاحاً، لأن هذا الإنسان هو الرصيد الدائم والباقي لوطننا العزيز.

فقد عاشت الكويت قبل النفط عزيزة مستقلة، لأن المواطنة هي في الولاء والعطاء والبناء لها ولأن الكويت هي بإنسانها، هي لنا الحنايا والأضلاع حيث الدفء والحماية، ونحن لها القلب حيث الدم المتدفق بالحياة.

كما أجدد دعوتي لبناء اقتصادنا، المقترنة بترك المبالغة في الإسراف والترف وهي الآن أشد ضرورة وأكثر إلحاحاً، لأنها تعني كويتاً حراً، يعيش على أرضه شعب حر الإرادة، بمنجاة من ذلّ الحاجة.

وكذلك دعوتي لأن يكون أمن الكويت نابعاً في الأساس من وعي شعبها وإسهاماته، وبسواعده وتضحياته.

إخواني وأخواتي:

إن المشكلات التي نعانيها، والتحديات التي تواجهنا كثيرة ومتنوعة، بل ومتجددة



أيضاً، وهي محتاجة إلى مقابلتها بالوعي والدراسة، والصبر والأناة، والرأي المتحد والصف المرصوص، حتى نصل إلى حلول يتوافر لها أكبر قدر من الصواب والموضوعية، كما يتوافر لها روح الاقتناع والمثابرة على التنفيذ.

إن مداراة الجرح بالمسكنات، تنطوي على خطر كبير، فالمطلوب هو العلاج، والعلاج العاجل، مهما كانت مرارة الدواء، تجنباً للخطر وارتقاباً للعافية.

إخواني وأخواتي

ماذا يعني الصيام إن لم نتعلم منه الصبر؟

وماذا يعني إن لم نتعلم منه العفاف والتقوى؟

إنه إذا فقد مدلوله التعبّدي في الترقي بالصائم استحال إلى نوع من العادة أو التقليد، مصداقاً لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - «كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش».

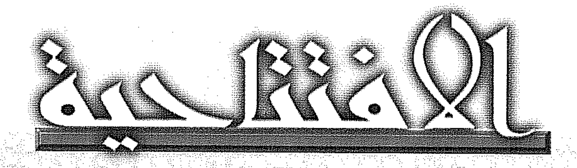
مازال البعض يخلطون الذاتي بالموضوعي، والخاص بالعام، مازال بيننا من يمارس سلوكيات ترفيّة أو مستجلبة وكأن الكويت لم يصبها ما أصابها، إن الذي لا يفيق والسيل منهمر، جرفه التيار، والذي يصم أذنيه عن نداء الوطن، ابتلعه الضياع.

إخواني وأخواتي :

وهذا عيد الفطر يظلنا عما قليل، وفي قلوبنا ضراعات خاشعة لله جل وعلا أن يرفع درجات شهدائنا، ويعيد أسرانا إلى وطنهم وذويهم، ويومئذ يفرح المؤمنون.

وكل عام وأنتم بخير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



الأقليات المسلمة... هموم وآمال

استضافت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت خلال شهر رمضان الفائت عدداً لا بأس به من الوفود التي قدم معظمها من دول ذات أغلبية غير مسلمة، وكان لمجلة الوعي الإسلامي لقاءات عدة مع رؤساء هذه الوفود لاستطلاع آرائها حول عدد من القضايا المطروحة على الساحة الإسلامية، حيث أثارت هذه الوفود خلال اللقاءات جملة من الهموم التي تؤرقها وتقض مضاجعها وتشكل هذه الهموم قاسماً مشتركاً للمسلمين في تلك البلدان والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

١ ـ تباين الثقافات والأفكار والولاءات وغياب السلطات المرجعية.

٢ ـ ضعف الإعلام الإسلامي الموجه لهذه الأقليات مما حطم جسور التواصل بينها وبين العالم الإسلامي.

٣ ـ ضعف الوعي الإسلامي الشرعي بين أفراد الأقليات المسلمة.

٤ ـ ضعف عوامل المناعة والحصانة والقوة لدى أبناء الأقليات المسلمة بسبب النقص الكبير في المؤسسات التربوية وقلة التمويل الكافي لها.

٥ ـ نقص خطير في وسائل الإعلام التي تمتلكها مقابل هجوم إعلامي كاسح على الإسلام وأهله من قبل الأكثرية التي تمتلك كل الوسائل التكنولوجية الإعلامية.

٦ ـ شح كبير وخطير في الموارد المالية مما أثر سلباً على أنشطة وبرامج هذه الأقليات وطموحاتها المستقبلية.

٧ ـ حرمان عدد كبير من المسلمين من ممارسة حقوقهم السياسية وعدم الاعتراف بمؤسساتهم في كثير من بلدان الأكثرية غير المسلمة.

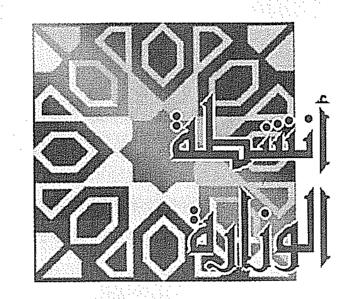
إن مسلمي الأقليات المسلمة يشكلون اليوم نحو ثلث التعداد العام لسكان العالم الإسلامي ويتوقع الخبراء أن يصل عددهم مع بداية القرن المقبل الحادي والعشرين إلى نحو ٤٥٠ مليون نسمة، وهم بذلك يشكلون طاقة بشرية لا يستهان بها إذا أُحسن توظيفها لصالح الإسلام والمسلمين.

إن قضية الأقليات المسلمة قضية جديدة العهد نسبياً، إذ لم تكن تشغل بال أحد قبل عشرات السنين بسبب انغلاق كل دولة على نفسها، وضعف وسائل الاتصال بين بلدان العالم، لكن مع تطور وسائل المواصلات ودخول العالم عصر الإعلام والفضائيات، بات العالم كله قرية صغيرة يعرف بعضها بعضاً، تكشفت لنا نحن المسلمين في بلدان الأكثرية المسلمة المشاكل المختلفة التي تعاني منها الأقليات المسلمة، والتي من واجبنا أن نسعى حثيثاً لحلها بهدوء وروية دونما إثارة لمشاعر الآخرين، وذلك بالتنسيق والتعاون مع ممثلي هذه الأقليات حتى تتجسد الأخوة بين المسلمين في أحلى صورها، ويصدق فينا قول المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»، ولا تفوتنا هنا الإشارة إلى أن مواقف الأكثرية غير المسلمة من الأقليات المسلمة وظاهرة الإحياء الإسلامي المنتشرة في كل مكان من العالم تراوح بين سيناريوهين:

الأول: سلبي يقوم على الخوف من الإسلام والمسلمين، ويعتبر الإسلام العدو الجديد بعد انتهاء الحرب الباردة.

والثاني: إيجابي يدعو إلى ضرورة التلاقي مع الإسلام على أن يقوم ذلك على أساس فهم جديد، ومن واجب الأقليات المسلمة أن تبذل كل جهودها من أجل ترسيخ وتقوية السيناريو الثاني لأن ذلك سيساعدها بلا شك على تحقيق أهدافها ويقدم الصورة الصحيحة للإسلام وأهدافه النبيلة، ويصنع التواصل بينها وبين عالمها الإسلامي، ويخترق الحواجز التي تحول بين هذه الأقليات وانتمائها الإسلامي، وينبذ الفرقة الجغرافية بين المسلمين.. وفي الوقت ذاته نحن نأمل من بلدان الأكثرية أن تمنح الأقليات المسلمة مزيداً من الحريات لإبلاغ دعوة الإسلام السمحة التي هي في أمسّ الحاجة إليها، إذ يجب أن تتلاشى كل المعوقات التي توضع أمام المسلمين مع دراسة الإسلام دراسة موضوعية بعيداً عن ذلك الإرث من التعصب أو الكراهية، وإقامة حوار متكافئ يقوم على التفاهم، ويسد الطريق أمام دعوات الترويع والتخويف من الإسلام كدين له قابلية الصراع والتصادم، كما ادّعى ذلك صموئيل هنتنغتون الأمريكي في نظريته الأخيرة، متجاهلاً قضية بدهية وخطيرة وهي «أن الصراع والعنف والجريمة والتناقض موجودة داخل الحضارة الغربية نفسها».

الوعي الإسلامي



وزارة الأوقاف كرمت حفظة القرآن الكريم



كرّمت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية يوم ٢٦ شعبان ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/١٢/١٥م في حفل أقامته مراقبة حلقات تحفيظ القرآن الكريم بالوزارة في قاعة مسجد الدولة الكبير حفظة القرآن الكريم كاملاً كما كرّمت خريجي حلقة السند بالقرآن الكريم كاملاً. وقد أقيم الحفل تحت رعاية السيد وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الأستاذ أحمد خالد الكليب الذي أناب عنه وكيل الأوقاف خالد عبدالله الزير لحضور هذا الحفل.

تنافس في خدمة كتاب الله

هذا، وقد افتُتح الحفل بآيات من الذكر الحكيم ثم ألقى وكيل الوزارة كلمة لهذه المناسبة أعرب فيها عن سروره بهذه النخبة من حفظة القرآن الكريم قال فيها:

إنه لمما يشرح الصدر، ويثلج القلب، أن تتنافس جهات رسمية، وجهات شعبية متعددة، في خدمة كتاب الله تعالى، بتهيئة وسائل وأدوات حفظه، وفهم أحكامه، والقيام على خدمته، وجذب المواطنين والمقيمين إلى ساحة تعلّمه، وتذليل المصاعب التي تواجههم، ومد يد العون العلمي لهم (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون). وقد أثمر هذا التنافس المحمود، في ميدان من أنبل وأشرف الميادين، وأقربها إلى مرضاة الله تعالى، ونيل ثوابه ومرضاته، أثمر أطفالاً وشباباً ورجالاً ونساء، يتعلقون بكتاب ربهم، ويتذوقون حلاوته ويتزودون بتعاليم دينهم وينهلون من ذلك النبع الصافي (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى).

وما أحوجنا إلى استمرار هذه الجهود، بل تنميتها وزيادتها، والتركيز على فاعليتها، لتجذب أكبر عدد من الصغار والشباب، لتعميق ارتباطهم بدينهم، وزيادة معرفتهم بأحكامه، وتعاليمه، وثقافته، لمواجهة الآثار السلبية للانفتاح العالمي الذي ذابت فيه الحدود، وتقلصت المسافات بين الأمم والشعوب، وتلاشت فيه كثير من الكيانات الفردية والثقافات الخاصة، فالمحافظة على هوية المجتمع الكويتي المستمدة من إسلامه الحنيف، تتطلب منا مضاعفة الجهود، وتكثيفها، لربط الأجيال الصاعدة بدينها، وتوثيق علاقتهم به، وتعميق انتمائهم له.

ومن جهة أخرى، فإن جذب الشباب والأجيال الجديدة إلى ساحة الثقافة الدينية، وانصرافهم إلى حفظ كتاب ربهم، يحميهم من المخاطر الكثيرة التي يتعرض لها الشباب حينما يفتقد الثقافة الدينية، ولا يذوق حلاوة وعذوبة، المتع الروحية، في رحاب الدين القويم، ومن خلال تجلياته الروحية العميقة، فيلجأ إلى ساحات أخرى، تسيطر فيها المتع الحسية، وتحركه فيها محاولات الهروب من الخواء الفكري، والجدب الروحي، والقحط الذهني، وذلك باللجوء إلى ما لا يرضي الله ورسوله الكريم، ويبدد آمال وطنه وأسرته فيه، وبدلاً من أن يكون عوناً لهما، يصبح عبئاً عليهما، وطاقة مريضة، تهدم ولا تبني حتى يصدق فيهم قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب». لذلك، فإنني أدعو الإخوة في إدارة الدراسات الإسلامية، وجمعيات النفع العام، إلى أن يولوا عظيم اهتمامهم للشباب، وأن يبدعوا في وسائل جذبهم إلى هذه الساحة الطيبة المباركة، وأن يطوروا وسائلهم وأدواتهم، لتتلاءم مع هذه المرحلة العمرية، وليكن هذا الهدف العظيم هو التحدي الكبير لكل الأجهزة العاملة في هذا الميدان، وليكن هو مقياس التميز في ساحة هذه المنافسة الخيرة.

القرآن هو الحصن المنيع لأمتنا

ثم ألقى الدكتور عادل الفلاح الوكيل المساعد لشؤون الدراسات الإسلامية والحج كلمة قال فيها: إنه لمن دواعي الفأل الحسن والتوافق اللطيف أن تتزامن إقامة هذا الاحتفال الذي تنظمه مراقبة حلقات تحفيظ القرآن لتكريم حفظة القرآن الكريم وخريجي حلقة السند مع اقتراب إطلالة هلال شهر رمضان المبارك ويجدر بنا أن نتعرف على أثر القرآن الكريم في إصلاح النفوس والمجتمعات والدول، فإن لهذا الكتاب العظيم قوة ذاتية خارقة تبهر الألباب وتأخذ بالعقول، وله تأثير عجيب في النفوس والقلوب، وعجائبه لا تنقضي ولا تتوقف، ومظاهر إعجازه ليس لها عد أو حد. وقد أوجد القرآن الكريم أمماً وأحيا شعوباً، وأقام دولاً، وأنشأ حضارة إنسانية رائعة في فترة قياسية من عمر الزمان، وغير معالم الحياة ومجرى التاريخ، وحرر العقول والأفكار من جمود التقاليد وسلطان العادات ورواسب الجاهلية، وأحدث هزة عنيفة وثورة كبرى في كيان الوجود الإنساني، فنقله من حال إلى حال ومن طور إلى طور. إن حلقات تحفيظ القرآن الكريم التي رعت هؤلاء الحفظة الذين نحتفل اليوم بتكريمهم، تسعى إلى صناعة المناخ القرآني وإيجاد الجو الإيماني، وتعمل على توثيق صلة شبابنا بالقرآن الكريم تلاوة وتجويداً وحفظاً وتطبيقاً وفهماً، واستثمار أوقاتهم وتوظيفها بما يعود عليهم وعلى أهليهم ومجتمعهم بالخير والمنفعة، كما أنها تسهم في حفظ وتحصين الأبناء والبنات من التيارات الوافدة والأفكار المنحرفة والثقافات المسمومة. ولعل مما يدل على نجاح هذه الحلقات في أداء رسالتها، ذلكم الإقبال الكبير عليها من قبل الشباب والشابات، فبعد أن كان عدد المنتسبين إليها منذ سنوات لا يجاوز المئات ارتفع هذا العدد اليوم ليصل إلى أكثر من ثلاثة آلاف طالب وطالبة يدرسون أكثر من مئتي حلقة منتشرة في مختلف المناطق في المحافظات الخمس. وإننا لنتطلع دوماً إلى أداء أفضل، ونتائج أحسن بإذن الله، والأمل معقود على الإخوة المسؤولين في الحلقات من مشرفين ومحفّظين وإداريين، لتحقيق النتائج المرجوة والثمار المطلوبة. هذا وقد جرى بعد ذلك تكريم حفّاظ القرآن الكريم وتقديم الشهادات التقديرية لهم.

منتدى واقع العمل التطوعي الكويتي

كتب : تمام أحمد

تحت رعاية النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية الشيخ صباح الأحمد وبحضور وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الأستاذ أحمد خالد الكليب نيابة عن راعي الحفل افتتح الوزير الكليب فعاليات منتدى واقع العمل التطوعي الكويتي الذي نظمته الأمانة العامة للأوقاف يوم ١٠ رمضان ١٤١٩هـ الموافق ٢٨/١٢/١٩٩٨م في مبنى المقر الدائم للمنظمات العربية في الكويت.

روح تطوعية في الداخل والخارج

وفي حفل الافتتاح أشاد السيد وزير العدل وزير الأوقاف في كلمته بالعمل التطوعي الكويتي الذي أصبح جزءاً من حضارتها الحديثة وشكل ركناً مهماً في علاقاتها الداخلية والخارجية لذلك أصبح من الضروري وضعه تحت المجهر لقياس مردوده، وأشار إلى أن لجنة مسلمي أفريقيا، ولجنة مسلمي آسيا، ولجنة فلسطين، كلها دلالات قاطعة على أن الروح التطوعية لدى الشعب الكويتي لم يخمدها قيام الحكومة في فترات النمو الاقتصادي بالوفاء لاحتياجات المجتمع الكويتي، وكفالة غير القادرين من أبنائه، بل اتجهت الجهود التطوعية لتمديد الرحمة إلى إخوة لنا خارج دولة الكويت. وقال وزير العدل وزير الأوقاف «إنه لمن حسن الطالع أن يأتي هذا المنتدى في شهر رمضان الكريم، يسبغ علينا من نفحاته العطرة، وقيمه المباركة، والتي يأتي البذل والتطوع على رأسها وليؤكده ذلك التلازم والترابط، بين قيمنا الدينية الأصلية وبين تنمية وتزكية روح التطوع بالنفس والمال من أجل الآخرين».

نمو العمل التطوعي

واستطرد الوزير قائلاً: إذا كانت الدوافع الإنسانية فقط هي التي تحرك العمل التطوعي في إطار الحضارات غير الإسلامية، فإن لهذا العمل لدى المسلمين فضلاً عن دوافعه الإنسانية، بل قبلها وسابقة عليها في الأهمية الدوافع الدينية والعقائدية المستخلصة من كتاب الله وسنة رسوله وهدي الصحابة وغيرهم من رجالات الأمة في مراحلها التاريخية المختلفة. وقال لذلك نمت في إطار القيم الدينية الإسلامية الأصيلة لمجتمعنا الكويتي ظاهرة العمل التطوعي منذ نشأة ذلك المجتمع، حتى إبان فترات جفوة الحياة وقلة الموارد وقصورها عن الوفاء بالاحتياجات الأساسية، مشيراً إلى أن هذه الفترات أشعلت مبادئ التكافل الإسلامي وروح العمل التطوعي بالجهد والمال ليحمل الصحيح السقيم، ويعين الغني المحتاج ويتعاون أبناء المجتمع في الوفاء باحتياجاته المختلفة.

علامتان بارزتان

واعتبر الوزير الكليب أن المدرستين المباركية والأحمدية «علامتان بارزتان في تاريخ الكويت المعاصر على مدى أصالة وعراقة العمل التطوعي لدى المجتمع الكويتي، الذي ألفه منذ بداية نشأته، وترجمه رجالات الكويت الأوائل إلى ممارسات فردية وجماعية، وتحول مع الزمن إلى ظاهرة مؤسسية يشع نورها، ويمتد تأثيرها الإيجابي المعطاء، في داخل الكويت وخارجها إلى قارات الدنيا كلها». وأضاف الوزير: استشعارا من الحكومة الكويتية لأهمية الدور التطوعي في بناء المجتمع من خلال المؤسسات التطوعية أو المؤسسات غير الهادفة للربح والتي اتسع نطاق عملها ليشمل جميع جوانب التنمية بكل مفرداتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسة، فإن الحكومة أولت هذا القطاع الحيوي اهتماماً بالغاً، ترسيخاً لجهوده، ودعماً لرسالته، وتحقيقاً لوظائفه، حتى يصبح بحق أهم مفردات النسيج المجتمعي لدولة الكويت، وركناً مهماً في بنائها المؤسسي. وبيّن الوزير الكليب أن العالم كله أخذ يولي اهتماماً كبيراً للمؤسسات التطوعية، ويفرد لها أدواراً في ظل الفلسفة الجديدة التي تسود عالم اليوم، وستصبح حقيقة مؤكدة في عالم الغد وهو تقلص وظائف الحكومات، وتركها ساحة عمل للقطاع الخاص والقطاع التطوعي، وقال: في ظل هذه الفلسفة التي تعم العالم، ونحن جزء منه، ولأسباب أخرى كثيرة ومتعددة، فإن المستشرف لآفاق المستقبل في المنطقة يستخلص إلى أن القرن المقبل يحمل في طياته ظروفاً اقتصادية واجتماعية مختلفة عما ألفناه في الثلاثين سنة الأخيرة من القرن الحالي، وبالتالي، فإن الدول والحكومات لا تستطيع أن تواجهها بشكل منفرد مما يتطلب معه زيادة رقعة التكامل في الأدوار بين المؤسسات الحكومية ونظيراتها التطوعية تكاملاً يحدد المسؤوليات ويوزعها ليمارس كل الدور المأمول منه في مسيرة متزنة لا يطغى فيها دور على آخر».



● أحمد خالد الكليب

لسنا وحدنا

وأردف الوزير الكليب: نحن في ذلك لسنا بدعاً بين الدول، فقد سبقتنا إلى ذلك دول كثيرة لا مجال لحصرها، استطاعت أن تحقق معادلة التوازن بين القطاعين ومن ثم استفادت خيراً ونماء لمجتمعاتها.

وأضاف: إن أدواراً كتلك التي ذكرناها تتطلب منّا جميعاً حكومة وقطاعاً تطوعياً أعداداً واستعداداً يرقيان إلى مستوى الحدث، مما يتطلب منا أن نتوقف بين الفينة والأخرى لنتدارس ونتناقش ونتشاور ونتحاور لنقوم المسيرة ونرشد الظاهرة ونسأل أنفسنا، أين نحن من احتياجات مجتمعاتنا الحقيقية وكيف نتمكن من تلبيتها؟ وأشار إلى أنه لم يعد مقبولاً أمام هذه الرؤية المستقبلية إلا أن ينشط العمل التطوعي منطلقاً من رؤية متكاملة، تستعد للمستقبل بما يليق به، وبما يتناسب مع معطياته. وأثنى الوزير الكليب على جهود الأمانة العامة للأوقاف من أجل جمع المؤسسات والجمعيات التطوعية من خلال وقف الوقت، وفتح مجال حوار تتوحد فيه الرؤى وتتقارب الأفكار، مشدداً على ضرورة سعي هذه المنظمات إلى تجديد حيوتها، والاستفادة من المعطيات العلمية المعاصرة للانطلاق معاً، في تكامل وتساند وتعاضد.

وطالب الجميع من أبناء الوطن والجهات المسؤولة بدعم هذا القطاع الحيوي والأخذ بيده ليكون مشاركاً رئيسياً في العمل التنموي ولأخذ مكانه المأمول في صورة الكويت المرتقبة للقرن المقبل.

الضمان: الرغبة والجدية

من جانبه أكد الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف عبدالمحسن العثمان رغبة وجدية الأمانة في مشروع وقف الوقت، وذلك لأهميته، مشدداً على ضرورة توحيد الجهود التطوعية وتطويرها على هذه الأرض الخصبة للنهوض بمستواه الحقيقي لأنه يعبر عن حقيقة وواقع ملموس في مجتمعنا.

وقال العثمان: «مشروع وقف الوقت مسؤولية الجميع» وتمنى أن تكون خطة العام ١٩٩٩م أكثر طموحاً والتصاقاً لجمعيات العمل التطوعي، مؤكداً أن العمل التطوعي يعي دوره في بناء مستقبل الكويت.

محاور المنتدى

هذا، وقد تضمنت فعاليات المنتدى أربع حلقات نقاشية، أولها دراسة قياس الوعي التطوعي وقدمتها «شركة سيركل للخدمات الإعلامية»، وهي دراسة ميدانية أجريت على ٥٠٠ مواطن تم اختيارهم عشوائياً موزعين على كل المحافظات والشرائح التعليمية والعمرية وتهدف إلى تعرف ميول الوعي العام للتطوع الحضاري.

أما الحلقة النقاشية الثانية فقدمتها «شركة الاستثمار البشري» وتتناول دراسة حصر الاحتياجات التدريبية للمؤسسات التطوعية، كما أنها نفذت بطريقة ميدانية لعينة عشوائية ممثلة بجمعيات النفع العام الكويتية بمختلف أنشطتها، وتهدف إلى تحديد المهارات والاتجاهات والسلوكيات للعاملين في المؤسسة التطوعية ودراسة الأوضاع التنظيمية والإدارية للمؤسسات التطوعية.

وتتناول الحلقة النقاشية الثالثة المقدمة من المستشار «محمد العامر» دراسة الأوضاع التنظيمية والإدارية للمؤسسات التطوعية، وتعتبر دراسة ميدانية لعينة عشوائية ممثلة بجمعيات النفع العام بمختلف أنشطتها، وتهدف إلى التعرف على الأوضاع التنظيمية للمؤسسات التطوعية.

وبالنسبة للحلقة النقاشية الرابعة المقدمة من الدكتور «راشد العجمي» بعنوان «قيادات مستقبلية» فهي دراسة ميدانية لعينة عشوائية ممثلة بجمعيات النفع العام بمختلف أنشطتها، وتهدف إلى رصد ظاهرة الخط الثاني للمؤسسات التطوعية والتعرف على معوقات صناعة الخط الثاني للمؤسسات التطوعية، وطرح آلية التراكم الخبراتي والمعرفي لدى قياديي المؤسسات التطوعية. ■

ندوة
الوعي الإسلامي

٢/٢

الخطاب الإعلامي «الأولويات والضوابط»

تستكمل الوعي الإسلامي في هذا العدد نشر الجزء الثاني من ندوة الخطاب الإعلامي «الأولويات والضوابط» والذي يتحدث فيه كل من الدكتور عادل الفلاح وكيل وزارة الأوقاف المساعد للدراسات الإسلامية والحج حول أولويات الخطاب الإعلامي على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي، كما يتحدث الدكتور وائل الحساوي رئيس تحرير مجلة الفرقان، والأستاذ في جامعة الكويت حول حدود وضوابط الخطاب الإعلامي، ثم يتحدث بعد ذلك الأستاذ زهير المزيدي المستشار الإعلامي حول المعايير والأسس في اختيار خطط الخطاب الإعلامي.

الفلاح:

الخطاب الإعلامي غير واضح داخل المؤسسات الرسمية

غياب الوقاية قد يعصف بأمن واستقرار المجتمع

- مطلوب الخطاب الإعلامي المتزن، المتوازن، الواعي، العميق، الشرعي، المفصل
- ما حدث في المجتمع الكويتي ليس بالأمر الهيّن



● الدكتور عادل الفلاح

- ستبقى الكويت بلداً عربياً إسلامياً إلى يوم القيامة
- الوقاية أحد أولويات الخطاب الإعلامي في المجتمع الكويتي



بدأ الدكتور عادل الفلاح وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المساعد للدراسات الإسلامية وشؤون الحج حديثه بتوجيه الشكر لمجلة الوعي الإسلامي على دعوته، وعلى اختيار هذه الموضوعات وهذه الصيغة من الندوات التي تثري الفكر الإسلامي، وتثري المادة الإعلامية من خلال هذه اللقاءات وهذه الحوارات وهذه الأطاريح لتضفي مزيداً من الفاعلية لمجلة الوعي الإسلامي في رسالتها وخطابها الإعلامي.

غياب التخطيط الإعلامي

ويستكمل الدكتور الفلاح حديثه بأن قضية أولويات الخطاب الإعلامي تعد من المشاكل التي تواجهنا في المجتمع الكويتي بشكل محدد، فيما يتعلق بغياب التخطيط الإعلامي، ومن ثم تفضل الدكتور محمد الرميحي بالحديث عن موضوع الخطاب الإعلامي والسياسة الإعلامية فقال: إنني أؤكد صعوبة تحديد المصطلح... فالسياسة الإعلامية صعبة التحديد أيضاً... كما أن الخطاب الإعلامي حتى في داخل المؤسسة الرسمية لا يبدو واضحاً من خلال العاملين والمسؤولين فيها، فهناك أكثر من سياسة في الوقت نفسه، بل في اللحظة نفسها. ومن ثم لابد من الاهتمام وتوضيح الرؤية الإعلامية ورسم الاستراتيجية الإعلامية سواء بالنسبة للسياسة ككل أو بالنسبة للسياسات والأدوات الموجودة سواء أكانت رسمية أم شعبية.

اختلاط في الأولويات

وعلى ذلك... هناك اختلاط في الأولويات للخطاب الإعلامي، إلى جانب غياب أدوات تحديد هذه الأولويات... حيث لا توجد أدوات حسب علمي تحدد هذه الأولويات مثل «مجمع للمفكرين

إعداد :
د. عمادالدين عثمان
تمام أحمد

يلتقون فيه بين فترة وأخرى ومن ثم يحددون الخطاب الإعلامي - رؤية التربويين في المجتمع - رؤية الاجتماعيين - استخدام الدراسات التي تجرى في المجتمع الكويتي «دراسات مسحية وميدانية وغيرها»، ومن ثم تحدد مشاكل المجتمع من حيث حقيقتها - حجمها - وبناء على ذلك، يتم إعداد الخطاب الإعلامي أو السياسة الإعلامية أو المادة الإعلامية التي تأخذ الأولوية نتيجة رؤية علمية ورؤية منهجية.

أسلوب المخاطبة

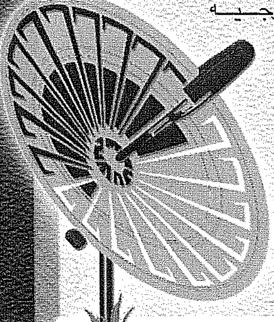
وحتى بعد تجاوز هذه المشكلات فقد تغيب أشياء مهمة جداً في الخطاب الإعلامي وهي قضية «أسلوب المخاطبة» أو «أسلوب المعالجة» للمشكلة - فلربما تحمست بعض الصحف في علاج بعض المشكلات الاجتماعية، فطرحت أسلوب التهويل في القضايا الاجتماعية مثلاً «قضية الطلاق - قضية المخدرات - قضية الانحراف الأخلاقي - أو حتى قضية الخيانة الزوجية...» وغير ذلك، فطُرحت بشكل فيه تهويل، بل فيه مغالطات ومبالغات، فالإحصاءات التي طرحت أو النسب التي ذكرت نسب غير حقيقية، وغير منهجية، وغير علمية، ومن ثم فيما أظن أن مثل هذا الخطاب جاء بنتائج عكسية، وقد لمست بعضها من خلال حوارات مع بعض الشباب.

استشراف المستقبل

إذاً فاستخدام الأدوات السليمة للتخطيط، واحترام المفكرين وقادة الرأي واستشارتهم وأخذ رأيهم في وضع السياسة الإعلامية، وأيضاً أسلوب العلاج والمعالجة السلبية في الخطاب الإعلامي، بالإضافة إلى ذلك فالمجتمعات اليوم قطعت شوطاً كبيراً في مجالات كثيرة فيما يسمى باستشراف المستقبل، الرؤيا للمستقبل، تحسس المستقبل، الحدس لهذا المستقبل، ولكنها مؤشرات، أرقام، إحصاءات، ظواهر تتجمع مثل كرة الثلج تكبر شيئاً فشيئاً، فيكون هناك رؤية، إذا ظلت الظاهرة بمثل هذه الصورة أو الوضع بمثل هذه الصورة، فماذا سيكون بعد خمس أو عشر سنوات. واليوم لدينا أدوات متعددة تعطي أو تمنح رؤية إلى حد كبير ذات مصداقية، وأيضاً مثل هذا الشيء يغيب عن مجتمعنا، ويغيب عن الخطاب الإعلامي، ومن ثمّ غياب الوقاية عن الأشياء أو الظواهر أو الأسباب التي قد تؤدي أو تعصف بأمن المجتمع أو استقراره أو كيانه أو وجوده أو نموه وازدهاره.

واقع موجود

هذه في الحقيقة مقدمة بشكل إجمالي عن واقع موجود نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا إلى وجود مؤسسات تأخذ هذا الجانب من الدراسات وتشارك على المستويين الرسمي والشعبي في توجيه السياسات وتوجيه الخطاب الإعلامي ليكن أنفع في بناء المجتمع.



الخطاب الإعلامي المحلي

وتناول الدكتور عادل الفلاح قضية

الخطاب الإعلامي «الأولويات والضوابط»

الوقاية قائلاً: قد تكون أحد أولويات الخطاب الإعلامي المحلي في المجتمع الكويتي ـ وقد ذكر الدكتور الرميحي أن هناك عنفاً في المجتمع الكويتي، وحدد هذا العنف بالعنف اللفظي، ثم يتساءل الدكتور الفلاح هل هناك عنف بدني؟ أو هل يتوقع أن يكون هناك تطرف في المجتمع الكويتي؟ واليوم من فضل الله عز وجل المجتمع الكويتي يتمتع بظاهرة الاستقرار، وإن ما نشاهده من تطرف في شتى أرجاء العالم الإسلامي، وتحت مظلة الدين قضية خطيرة، وموضوع الدين والحاجة إليه حاجة إنسانية وبشرية وفطرية لا يمكن الاستغناء عنها، وبقدر ما هي حاجة «ملحة» جداً، بقدر ما تعتبر من أسهل الوسائل لدى الكثيرين في توظيفه لمقاصدهم، فيما إذا كانت سياسية أو مصلحية أو ناتجة عن عقد نفسية أو اجتماعية يعيشها الإنسان، ومن ثم يضع غلاف الدين أو يحاول أن يغلف القضية التي ينطلق إليها بغلاف ديني ومن ثم تأتي مشاكل متعددة على المجتمع.

قضية التطرف

فقضية التطرف كما قلت ليست هي ظاهرة في الأساس، ولكن هل هناك بذور في المجتمع لها.. ربما تكون موجودة، وأستطيع أن أقول إنها موجودة، وخطورة هذه البذور أو هذه النبتة أنها نبتة غريبة وشاذة.. وربما تكمن وهي تُسْقى فترة طويلة من الزمان فتأتي بعد ذلك بشكل فجائي وسريع وتظهر في المجتمع وبمتوالية هندسية.

تحصين المجتمع

إذاً، فالخطاب الإعلامي في إعداد خطاب الوعي الإسلامي يتمثل في خطاب الأدوات الإسلامية: «خطاب وزارة الأوقاف ـ خطباء المساجد ـ خطاب العلماء ـ والمجلات» كلها حينما تنظر إلى قضية أولوية هذا الخطاب في تحصين المجتمع تحصيناً سليماً تنظر لمثل هذه القضايا الخطيرة بأن يكون هناك خطاب إعلامي متزن ومتوازن، واع وعميق وشرعي، ومتأصل، يغلق الأبواب أمام من يريد أن يتلاعب بقضية من قضايا الدين، أو يريد أن يوظفها ويطرحها بشكل مشوه، أو حسب مقاصده الخاصة.

إذاً فمن أولويات الخطاب الإعلامي المحلي لابد أن يكون هناك حفاظ على درجة الوعي الموجودة، ومن ثمَّ الحفاظ على هذا المكتسب وتعميقه وتأصيله وتأطيره..

قضية الوحدة الوطنية

وإذا انتقلنا إلى قضية أخرى في أولويات الخطاب الإعلامي المحلي، وهي قضية الوحدة الوطنية.. فمما لا شك فيه أنه مما يفخر به المجتمع الكويتي عبر التاريخ خلال ٣٠٠ سنة الماضية التميز في هذه الوحدة الوطنية وفي هذا التكاتف والتعاون والتعايش والتآلف خلال القرون الثلاثة الماضية.. وما يحدث أحياناً وما نسمعه الآن من أصوات تنبعث من هنا وهناك لتخدش هذه الوحدة الوطنية هي أصوات نشاز غير موجودة في قضية الطائفية عبر تاريخ الكويت، وهناك تعايش وتآلف بين الطائفتين في المجتمع الكويتي يلفهما حب وتعاون وترابط وتداخل اجتماعي عميق، وأن النبرات التي ظهرت منذ عشر سنوات أو خمس عشرة سنة ربما يرى الراصد أنها انخفضت، ولكنها مازالت موجودة!! فكيف إذاً نعد الخطاب الإعلامي لنحافظ على المكتسبات القديمة ونستمر في هذا المكتسب في قضية الوحدة الوطنية.

قضية الوطنية

وقضية الوطنية كتأصيل شرعي حتى اليوم لم تقدم من وزارة الأوقاف أو من الشرعيين أو الإسلاميين بالصورة الواضحة في تأصيلها... وربما البعض يرى أن القضية الوطنية قضية عنصرية... قضية إقليمية ممقوتة، أو غير ذلك، في حين أن بعض الأدلة والشواهد تحض على الوطنية وتأصيلها وتحافظ عليها في أطر معينة لا تكون دافعاً إلى عنصرية أو موقف تجاه الآخرين على قدر ما هو دفاع عن الوطن والأرض والمال، وعن النفس، وغير ذلك من الأمور الكثيرة التي تحافظ على كيان المجتمع واستقراره، وهذا أيضاً جانب من الجوانب التي تعتبر من الأولويات.

التأطير والتأصيل النظري

ومن أولويات الخطاب الإعلامي المحلي أيضاً أن نخرج عن التأطير والتأصيل النظري «فالإسلام عالج المشكلات، والإسلام أوجد الحلول، والإسلام صالح لكل زمان ومكان...» هذه القضايا مؤصلة بحمد الله ومتأصلة في نفوس الناس والشعب الكويتي، ولكن تساؤل الناس ما الحل العملي الذي يقدمه الإسلام لمشاكل نعيشها في أيامنا، في حياتنا، في جزئياتنا؟... إذاً فالخطاب الإعلامي لابد أن يتوجه إلى المشكلات الواقعية التي يعاينها الناس.

تشاؤم... إحباط

ويستكمل الدكتور الفلاح حديثه فيوضح أن

الخطاب الإسلامي الذي يوجه اليوم مشبّع جد
في التشاؤم ومشبع بالإحباط، فالإشراقة، الأمل
بصيص النور.. في أحيان كثيرة لا نسمعها ف
خطبة الخطيب.. إذاً فسياسة الخطاب يجب أ
تتحول من التشاؤم والإحباط إلى الأمل والطموح
فهناك كثير من الإنجازات في العالم الإسلامي
ولكننا لا نرى إلا الجوانب السلبية ونضخمه
وربما أيضاً بعض الجوانب الإيجابية تطر
وكأنها أزمة من الأزمات، ولا شك أننا نريد أ
نعالج السلبيات الموجودة، ولكننا نعالجها م
إبراز الإيجابيات الأخرى، فلنعالجها بموضوع
ودون استخدام منهج الإثارة في الخطا
الإعلامي.

تهيئة الأجواء

أيضاً هناك قضية تهيئة الأجواء لتطبيق أحكا
الشريعة الإسلامية.. فبما أن المجتمع الكويت
يتوجه من خلال رغبة صاحب السمو والرغب
الشعبية ورغبة المؤسسات إلى تطبيق الشريع
الإسلامية، يكون من أولويات الخطاب الإعلام
وكل خطاب عليه أن يهيئ الأجواء لتطبي
الشريعة الإسلامية، لأن المجتمع الكويتي ولل
الحمد مجتمع مسلم، وربما في طفرة حضاري
أو مرحلة تاريخية جاءت بعض القوانين وبعض
الظواهر الاجتماعية، ليس فقط في المجتم
الكويتي، بل في المجتمعات كلها، فاستكمال هذ
النقص الموجود في الجانب التشريعي أ
التربوي أو الإعلامي أو الاجتماعي، عل
الخطاب الإعلامي أن يسهم في تهيئة النفوس
والعقول لاستكمال تطبيق أحكام الشريع
الإسلامية، وخصوصاً أن القضية لا تحتاج إل
عملية جراحية عميقة وخطيرة، قدر احتياجها إل
علاج لجزئيات أو جروح في الجسد إذا أحسن
اختيار الدواء.

الخطاب العربي أو الإسلامي

وإذا انتقلنا إلى الخطاب العربي أو الإسلامي
الإقليمي فأنا أؤكد البعد العربي للمجتم
الكويتي، فالمجتمع الكويتي جزء من الأمة العربي
رغم كل الظروف التي حدثت وسيبقى عربي
إسلامياً إلى يوم القيامة إن شاء الله تعالى، وأ
ما حدث في المجتمع الكويتي ليس بالأمر الهين
وهذا أيضاً ما يجب أن تعرفه المجتمعا
الأخرى، ويجب أن يتم تذكير الأجيال الجديد
في المجتمعات الأخرى بما حدث.. فيجب عل
المجتمع العربي أن يعرف القضية لتبقى بالنسب
للخدش الكبير الذي حدث في قيمنا العربي
والإسلامية... وأيضاً تبقى صورة الكوي
واضحة بموقفها العادل ويجب أن يتضح حج
المأساة التي يعاينها المجتمع الكويتي وليس
معنى ذلك أن الكويت تجاوزت كل هذا وانته

الأمر.

كما أن الكويت تهتم بالعالم العربي وتشارك في كل القضايا العربية وكذلك تهتم بمصير المجتمع العربي.. كما أنها تشارك في التنمية للمجتمعات العربية.. الأمر نفسه ينطبق على البعد الإسلامي.. فتأكيد المجتمع الكويتي في بعده الإسلامي العميق وفي دوره ونشاطه الإسلاميين، وإبراز المؤسسات الإسلامية في المجتمع الكويتي التي لها إسهامات كثيرة، والتي للأسف الشديد لم تقدم هذه الإنجازات في صيغتها الإعلامية المناسبة حتى الآن، ثم طالب الدكتور الفلاح في حديثه بأن تأخذ الكويت دورها في تقديم الفكر الإسلامي الناضج، الراقي، المتزن، المتوازن، الذي يحدث الاتزان في المجتمعات، بدل أن تدفع الضريبة العالمية الباهظة والمشوهة للإسلام من جانب، والمؤدية إلى تحطيم المجتمعات من جانب آخر، وفي بعض الأحيان يدفع الأطفال هذه الضريبة نتيجة للتطرف... وتأخر المجتمعات الإسلامية غني عن الأمثلة فيما يحدث في العالم الإسلامي.

فتقديم الرؤى الإسلامية الشرعية تكون كما يقدمها بيت الزكاة فهو يقدم الرؤية الإسلامية في الزكاة بتفاصيلها، كما يقوم الطب الإسلامي أيضاً بتقديم الرؤية الإسلامية في قضايا الصحة، وكذلك تقوم وزارة الأوقاف بتقديم الفتوى، وقضايا الفكر الإسلامي الناضج، كل ذلك يقدم من خلال الكويت، وأتمنى لها دوراً رائداً وكانت ومازالت لها دور في تقدم الفكر ونضج العقلية الإسلامية.

الخطاب الدولي... وقضايا الإسلام

ويختتم الدكتور الفلاح حديثه بتوضيح الخطاب الإعلامي في جانبه الدولي والذي يطالب فيه بأهمية إظهار الكويت المحبة للسلام، وبدورها في قضايا السلام، والدور الإنساني من خلال المؤسسات المتعددة التي تقوم بالعمل على تنمية المجتمعات النامية وتقديم هذه المساعدات التي تشكل أكثر من ١٠ في المئة من الدخل القومي للكويت.

وتحدث بعد ذلك الأستاذ الدكتور وائل الحساوي رئيس تحرير مجلة الفرقان والأستاذ في جامعة الكويت حول حدود وضوابط الخطاب الإعلامي فأوضح أن الحرية الإعلامية ترتبط بالركائز الفكرية للنظام الإعلامي السائد، وهو يرتبط بأصول النظام الاجتماعي العام ونظرته للكون والحياة والإنسان والقيم.

وتكاد الدراسات الإعلامية والاجتماعية تجمع على أن إعلام كل أمة إنما هو انبثاق من عقائدها وإطارها الفكري العام.

الحساوي

بعض ردات الفعل العارضة اليوم بسبب التطرف في تحدي مشاعر الناس، ونشر ما يسيء لهم

الإسلام يضع قضايا الحرية والعدل والمساواة والشورى والحكمة في حسابه



أسس الحرية الإعلامية:

١ ـ أساس فلسفي: مرتبط بالفلسفة المادية من لدن أفلاطون وأرسطو، ويرى بأن الانسان حر بالفطرة وأن الحرية هي القاعدة وأن كل قيد يَردُ عليها هو استثناء «لا يمكن تحقيق ذلك إلا إذا عاش الإنسان منفرداً».

٢ ـ أساس دستوري: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: «لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير».

٣ ـ أساس قانوني: قوانين النظم المعاصرة تنص على الحرية الإعلامية «الطبع والنشر والإذاعة والتلفاز ـ القيود على نشر الآخر ضماناً للمصلحة العامة وصيانة لحقوق الأفراد، حماية الإنتاج الأدبي والفكري ـ القيود».

١ ـ جاءت المناداة بحرية الإعلام في إطار الحرية المطلقة المرتبطة بنظرية الحقوق الطبيعية ونظرية العقد الاجتماعي.

٢ ـ كانت إعلانات الدساتير الدولية لكل من فرنسا وإنكلترا والولايات المتحدة تؤكد أن الحكومات لم تنشأ أصلاً إلا لكي تضمن هذه الحقوق ومنها حق الحرية بمعناها الشامل.

٣ ـ يقول الباحثان «ليونارد راي تيل» و«رون تيلور»: إن الأسلاف الذين وضعوا دستور الولايات المتحدة الأميركية فهموا بشكل بالغ الدقة كيف يمكن إساءة استخدام السلطة، لهذا السبب أنشؤوا داخل جهاز الحكومة نظاماً فريداً معقداً للحساب والمراجعة، فالكونغرس يراقب أعمال الرئيس، والمحكمة العليا تتابعهما معاً، وتجيء الصحافة بعد ذلك لتكشف كل الأسرار، ولضمان عدم تقييد الصحافة، كفل واضعو الدستور حرية الصحافة وأضفوا عليها قداسة، ضمنت لها مقعد السلطة «داخل المجتمع الأميركي».

«المادة الثانية من الدستور بعد التعديل»

وأوضح الحساوي أن الحرية في الدراسات الإعلامية الغربية ارتبطت بـ:

١ ـ المعيار الإنساني وهو العقل المجرد.

٢ ـ المعيار الاجتماعي وهو المصلحة الوطنية أو غيرها.

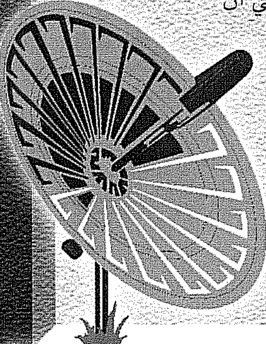
٣ ـ المعيار السياسي وهو الدستور.

٤ ـ المعيار الديموقراطي وهو احترام إرادة أغلب الرأي العام.

٥ ـ المعيار الدولي وهو وثيقة حقوق الإنسان وليس للشرع أي اعتبار.

وقد تحول مفهوم حرية الإعلام أو حرية المعلومات إلى أربع مراحل في الولايات المتحدة: «التدفق الحر ـ التدفق الحر المسؤول ـ التدفق الحر المتوازن ـ حق الاتصال».

حيث يرى كثير من الكتّاب في حقل الإعلام أن الفكرة القائلة بحرية الإعلام قد أضحت فكرة بائدة مثل مبدأ عدم التدخل في الاقتصاد، وتوصلوا إلى أن «الحق في الاتصال ينبغي أن ينص على تأكيد المساواة لكل الأطراف في عملية الاتصال، وأن ينطوي على تدفق إعلامي متعدد الثقافات والاتجاهات، وأن يتضمن حقاً



الخطاب الإعلامي «الأولويات والضوابط»

سلبياً وحقاً إيجابياً في الاتصال على نحو يسمح بأقصى قدر ممكن من التبادل والمشاركة وفرص الانتفاع».

إشكالية التدفق الإعلامي

يقول الدكتور مساعد العرابي الحارثي: «إن الذين يظنون أن البث المباشر سيكون نعمة للتقارب بين الثقافات وتوحيد الحضارات وتبادل الفكر مخطؤون لأن الذين يملكون القدرة على البث سيسيطرون بحضارتهم وأفكارهم ومذاهبهم على الساحة الدولية وسيصبح الاتصال في الواقع الآن في اتجاه واحد».

المشكلة هي أن حرية التعبير عن الرأي تعطى لمن يمتلك وسائل الإعلام «اليهود» فتعمل القلة المسيطرة على توجيه العقول كما تهوى وتريد، ومن أقوال اليهود: «سنمتطي صهوة الصحافة ونكبح جماحها». «لن يصل طرف من خبر إلى المجتمع من غير أن يمر علينا». «يجب أن نشجع ذوي السوابق اللاأخلاقية على تولي المهام الصحافية الكبرى».

ويستطرد الدكتور الحساوي في بيانه إظهار دور اليهود في السيطرة على وسائل الإعلام ومن ذلك:

١ - المؤتمر الصهيوني الأول برئاسة «تيودور هرتزل» العام ١٨٩٧م في مدينة بال السويسرية: لن يتم مخططهم لإقامة دولة إسرائيل ما لم تتم لهم السيطرة على وسائل الإعلام وبخاصة الصحافة.

٢ - البروتوكول ١٢ من حكماء صهيون:

ويرى الدكتور عبدالحكيم حسن العيلي: «أن بريطانيا كانت تنادي بحرية التجارة فاستعمرت العالم أو كادت، وأميركا تنادي بحرية تدفق المعلومات، فاستعمرت العالم ثقافياً أو كادت».

وما أظن المناداة بحق الاتصال إلا استعمار جديد، فحق الاتصال في الرؤية المادية مرتبطة بنظريتي الحقوق الطبيعية والعقد الاجتماعي وهما الركيزتان الأساسيتان لحق الحرية في الرؤية الليبرالية الغربية».

انتقاد الشيوعيين

يرى لينين أن المفهوم البرجوازي لحرية الصحافة لا يخدم سوى استمرار وجود الأقلية الحاكمة التي تملك وسائل الإعلام. وفي الشيوعية وضعت الحرية الإعلامية بيد الحزب المسيطر وهم قلة، بينما يخضع أفراد الأمة للكبت والقهر دون الحق في المناقشة «الحزب هو الذي يحدد مصلحة الشعب» (حرية الحزب لا الشعب). وبعد إلحاح دول العالم الثالث، وافق المؤتمر العام لمنظمة اليونسكو في العام ١٩٨٠م على مشروع لنظام عالمي جديد للإعلام والاتصال بعد ٣ سنوات من الاجتماعات طرحت تساؤلات كثيرة حول الإعلام: من يمتلكه، ويتصرف فيه؟ من أين يأتي وأين يذهب؟ وهل ستؤدي تكنولوجيا وسائل الاتصال الحديث إلى أن تحتكر البلاد الصناعية المتقدمة الإعلام. وتسيطر عليه سيطرة كاملة؟ وبالمقابل هل ستضع الدول النامية العراقيل أمام تداول الأخبار لأسباب أيديولوجية أو قومية؟

الاتفاق الوحيد الذي توصلوا إليه هو أن كل دولة يجب أن تحتفظ بسيادتها داخل حدودها في مجال الإعلام، هل هذا ممكن الآن بعد الثورة الرابعة أو الخامسة للإعلام؟

وبعد أن استشعر الغرب خطورة الحرية الإعلامية المطلقة:

١ - عُقد في لندن مؤتمر دولي حول حرية تبادل المعلومات بين الدول المتحالفة حضره مندوبون عن ٣٥ دولة غربية وشرقية، دار الحوار ع[...] أهمية التفكير لإيجاد لغة إعلام جديدة تط[...] وسائل الإعلام من السوقية والهبوط.

٢ - المؤتمر في الولايات المتحدة «كلينتو[...] «حماية الأطفال».

٣ - الرقابة على الإنترنت «إيطاليا» «الصي[...] «ماليزيا». شبكة Usenet في ألمانيا - مناقشا[...] حامية في الولايات المتحدة «الكونغر[...] والمحكمة».

٤ - الصحف الصفراء «تابلويد» وكيف أحرج[...] الحكومات «قضية ديانا» وانفلات لا حد له.

ويستكمل الدكتور الحساوي حديثه بالقول:

ما حدود وضوابط الحرية بشكل عام؟ س[...] الفيلسوف البريطاني برتراند رسل: لو ق[...] البرلمان البريطاني أن تكون بريطانيا شيوع[...] بالأغلبية فهل توافق أنت، فأجاب على الفور: بالطبع، لأن البرلمان في هذه الحال المفترض[...] يتنكر لأسس الديموقراطية والنظام البرلمان[...] فكأنه يلغي أسس وجوده ذاتها، وقد انتخ[...] أعضاؤه لحماية تلك الأسس التي قامت علي[...] الدولة ودستورها ومؤسساتها السياسية كلها.

إذاً، هل يمكن السماح للخطاب الإعلام[...] بالتعرض لما يعتبر مسلمات أو قضايا بال[...] الحساسية خصوصاً إذا كانت تتنافى مع ق[...] الشعب وعقائده؟

ففي الإسلام: تقييد الحدود والضوابط بالد[...] الإسلامي هو الذي يستطيع تحقيق التوازن ف[...] بلادنا، خصوصاً ونحن نتعامل مع أغلبي[...] مسلمة.

بعض ردات الفعل الصارخة اليوم هي بسب[...] التطرف في تحدي مشاعر الناس ونشر م[...] يسيء لهم أو التصدي لهذا التطرف، ولك[...] الممارسة والمزيد من الفهم سيزيل تلك الص[...] بإذن الله.

يجب عدم مقارنة الإسلام بمحاكم التفتي[...] الأوروبية أو القمع الديني ومصادرة الحريات لا[...] الإسلام يضع قضايا الحرية - العدل - المساوا[...] الشورى - الحكمة في حسابه.

الإسلام لا ينهى إلا عما يضر نشره حقيقة[...] قولاً.

هنالك جوانب ليس لها رأي كامل في الإسلا[...] ولكن تخضع للاجتهاد على هدي من تعال[...] الإسلام: أخبار الجريمة - التعرض للشخصيا[...] العامة - ما يضر الإنسان.

ويوضح الدكتور وائل الحساوي ضواب[...] الخطاب الإعلامي في الإسلام:

١ - غاية الإعلام الإسلامي: مرضاة الله تعال[...] من خلال:



أ ـ دعوة التوحيد ونشرها بين الناس وجعلها محوراً للحياة.

ب ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ج ـ إقامة الحياة السعيدة وعلاج المشاكل الاجتماعية والاقتصادية.

د ـ الدعوة إلى وحدة الأمة الإسلامية والنهوض الفكري والسياسي والحضاري بها فكل ما يخالف هذه الدعوة يجب منعه.

٢ ـ مشروعية القول:

الأصل في القول الجواز ما لم يتعد حدود الله: (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن).

(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)، «من أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر».

الإعلام الحر هو الذي يقول الحقيقة كاملة، دون موارية.

٣ ـ المسؤولية الإعلامية في الإسلام:

المسؤولية من أهم ضوابط الحرية الإعلامية وهي نابعة من ضمير الإنسان وليست إلزامية قسرية من خارج الذات الإنسانية: (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد).

لا ينبغي أن يدفعه النقد إلى إثارة الفتن وتفريق جماعة المسلمين.

٤ ـ رعاية المصلحة ودرء المفسدة:

«شاع العمل الإعلامي اليوم التعريض بالأبرياء ونشر الغسيل وإشاعة الفاحشة وفضح الأسرار من أجل السبق الإعلامي».

كلام ابن مسعود: «ما أنت بمحدث قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة».

درء المفاسد مقدم على جلب المصالح «قضية الكبت».

أساس خطابنا الإعلامي

ثم استعرض بعد ذلك الأستاذ زهير المزيدي المستشار الإعلامي المحور الأخير من محاور الندوة والذي يدور حول «أسس توجيه الخطاب الإعلامي» موضحاً أن أساس خطابنا الإعلامي يدور حول محور (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)، وبين أن الأسلوب القديم في اختيار الخطاب الإعلامي كان يعتمد على اجتماع أصحاب الشأن لاقتراح شكل ومضمون معين لجلة ما بناء على ما يؤمنون به من تطلعات ومبادئ ـ ويعتمد كذلك على قوالب معينة عن صورة الشرائح المستهدفة بالخطاب الإعلامي.. وعلى هذا فالنتيجة تجيء باعتماد أسلوب «حدسي» غير علمي في التخطيط وبالتالي إنفاق مبالغ طائلة دون أن تصل الرسالة إلى الشرائح المستهدفة للخطاب، وقد تؤدي هذه النتيجة إلى «الانسحاب من الأسواق».



الأسلوب الحديث

أما الأسلوب في التخطيط الإعلامي وكما يراه المستشار زهير المزيدي فيتم اعتماد أهداف عامة تشمل «المبادئ والقيم، وما تود أن تدعو إليه» ويتم إعداد استبيان عام ودراسة ميدانية، تدخل فيه جميع هذه المعطيات والتوقعات من أجل التعرف على:

١ ـ نسبة وواقعية ما نطمح إليه من أهداف.

٢ ـ درجة عمق رسائلنا.

٣ ـ نسبة إدراج كل قيمة، ومسارنا العام في أسلوب الخطاب.

ومن النتائج المتوقعة: هل ما أوردناه من «أهداف، وقيم ومبادئ» يقع ضمن ما يتطلع إليه الجمهور المستهدف؟

ـ وهل من قيم ومبادئ أو رسائل يمكن إدراجها، أثارها الجمهور ويرغب في إدراجها ضمن خطابنا الإعلامي؟

ـ وهل من تفصيلات من قبل شرائحنا المستهدفة تجاه «الشكل أو المضمون؟»

ـ التعرف عن قرب على المنافسين، ماذا يقدمون، وكيف يمكن أن نميز خطابنا الإعلامي كي نكون أضفنا إضافة نوعية حقيقية لا شكلية في الساحة الإعلامية.

ـ معدلات الاطلاع، صفات المطلعين، أجناسهم، عاداتهم ومستوياتهم العلمية والثقافية، ومواقعهم الجغرافية.

وفيما يتعلق بالتنفيذ أوضح المزيدي أنه يكون في «الأسلوب الخطابي المفضّل «مباشر غير مباشر، فكري، التسالي، المرأة... وكذلك في كُتاب معينين يميل إليهم القراء...

ويستكمل المزيدي موضحاً أن أساليب الترويج للخطاب الإعلامي تجعلنا نسأل أنفسنا، ما الذي نستطيع أن نقوم به ولا يستطيع المنافسون القيام به؟! «عقد ندوات دولية، دعم حكومي...» وكذا كيف نصل إلى الشرائح التي لم تقرأ ولا تفكر بالاطلاع على إنتاجنا الإعلامي..

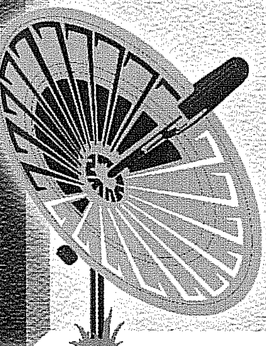
وعلى ذلك فعند التفكير في الترويج لابد من اعتماد أسلوب رجع الصدى مع القراء عن طريق تملئة بيانات رأي دائمة، وزيادة الجهد التسويقي بمختلف الطرق والتحالف مع كل المؤسسات الإسلامية لتحقيق الانتشار المطلوب. كذلك يجب دراسة ومراجعة دائمة لأركان العملية الإعلامية «المرسل والوسيلة، المرسل إليه، الرسالة، الضوضاء، رجع الصدى، التحليل».

وتتعدد أدوات قياس تخطيط الخطاب الإعلامي بين الاستبيان الميداني «الكمي ـ النوعي» عبر الهاتف، البريد.

واستعرض المزيدي أمثلة لمجلات ناجحة مثل: ADAGE - E, MEDIA.

واختتم حديثه بتناول دور كل من وكالة الإعلان ووكالة التوزيع، موضحاً أن وكالة الإعلان هي من يحدد الوجود الفعلي للوسيلة في الأسواق «محلياً وجغرافياً»، فمن الأهمية بمكان عدم إغفال دور الوكالة في منحها جميع البيانات الخاصة بالوسيلة، عن طريق إيصال الوسيلة بشكل دوري «مجاناً» إضافة إلى أي عروض تسويقية خاصة أو أي تحسينات تطرأ عليها، آخذين بعين الاعتبار أن الوكالة ستكون أقدر على إقناع العميل بالإعلان في هيئة تعاقدات سنوية.

وبخصوص وكالة التوزيع، فإنها تقوم بعملية التوزيع وتتمثل قوتها في عدد نقاط التوزيع التابعة لها ومن الممكن التفاوض معها بشأن المرتجع للتوزيع في مناطق جغرافية ليست بذات جدوى تسويقية، التفاوض على الترويج عن طريق الإعلان دون مقابل. ■





امتاز أهل الكويت منذ القدم بحب الخير، والعمل من أجله والحرص على التراحم والتكافل في السراء والضراء. وقد سجل التاريخ مواقف خالدة لأهل الكويت في حبهم للخير رغم ضنك الحياة.

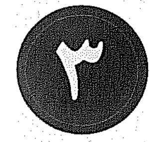
ومع ظهور النفط، اتسعت دائرة العمل الخيري بعد أن شملت المحتاجين داخل البلاد، انتقلت إلى الإخوة المسلمين في كل أرجاء المعمورة، لتقديم مساعدات أهل الكويت إلى الأيتام وطلاب العلم والفقراء.

وانتشرت مصانع الخير الكويتية في كل دول العالم الإسلامي، ولدى الأقليات الإسلامية في الدول غير الإسلامية وراجت هذه الصناعة وأصبحت مصدر فخر واعتزاز لتقديم الدعم والتواصل مع الفقراء والمحتاجين في مشارق الأرض ومغاربها.

ومع حدوث الغزو العراقي الغاشم لأرض الخير والعطاء لم تتوقف مصانع الخير عن الإنتاج والعطاء لإيمان أهل الكويت الراسخ بعدل قضيتهم، وعودة حقوقهم، فإن ما قدموه قبل الغزو كان تصديقاً لقول رسول الله ـ ﷺ : «صنائع المعروف تقي مصارع السوء»، وبالفعل كانت صنائع المعروف وقاية حقيقية للفرد والمجتمع والدولة، حيث البركة والطمأنينة والتوفيق في العمل والرزق وتجنب الشرور والعقبات.

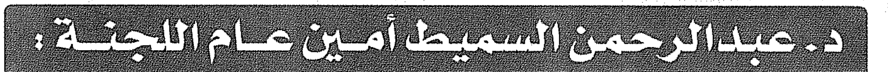
والوعي الإسلامي تسلط الضوء على مسيرة العمل الخيري الكويتي من خلال هذا الملف الشهري لتأكيد دور الكويت الخيري والحضاري دون منة ولتأكيد أصالة هذا الشعب وتمسكه بالقيم الإسلامية التي نادى بها كتاب الله ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لتحقيق العدالة والمساواة والإخاء بين المسلمين في كل مكان.

لجنة مسلمي أفريقيا



إعداد: أحمد عثمان

ولنفتح صفحة جديدة مشرقة من صفحات ملف العملي الخيري في الكويت، فنرى منارة أخرى تشع بالخير والعطاء في قارة أفريقيا منذ العام ١٩٨١م وهي لجنة مسلمي أفريقيا. وقد اختصت اللجنة في مجالات التنمية الاجتماعية دون تمييز على أسس قبلية أو دينية أو عرقية أو غيرها للنهوض بمستوى السكان في المجالات الحيوية.



اختيار سمو الأمير الشخصية الأولى للعمل الخيري دعم لمؤسساتنا الخيرية

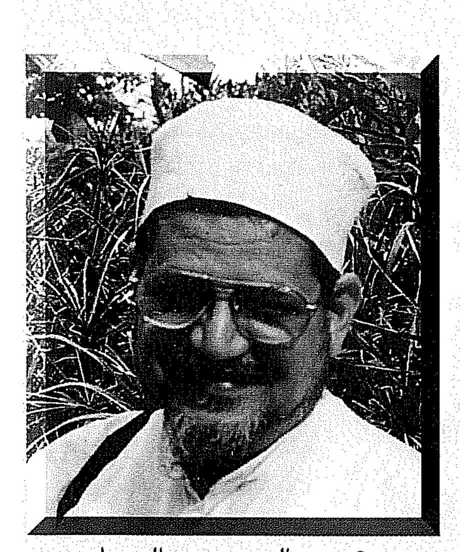
من الطب للتجارة

وقد كان لـ«مجلة الوعي الإسلامي» هذا اللقاء مع أمين عام اللجنة الدكتور عبدالرحمن حمود السميط.

والدكتور السميط اختصاصي أمراض باطنية، عمل في مستشفيات كندا وبريطانيا لمدة خمس سنوات، ثم عمل في القسم الباطني في مستشفى الصباح في دولة الكويت.

وقد ترك مهنة الطب ليتفرغ تماماً للعمل الخيري وتجارة صناعة الخير الكويتية وهي التجارة الباقية التي لا تبور.

دخل في مجاهل وغابات أفريقيا السوداء وسط التخلف والمرض والجوع والقرصنة ليحقق أهدافه الطموحة في إنقاذ هذه الفئة من المرض والجوع والأمية، بعد أن أصبحت أفريقيا قارة المسلمين المنسيين، لقد دخلها الإسلام في هجرة الحبشة الأولى قبل أن يدخل المدينة المنورة على



● د. عبدالرحمن حمود السميط

ساكنها أفضل الصلاة والسلام... وفيها أول ملك دخل في دين الله.

ويواصل الدكتور السميط ليله بنهاره ويخوض في المياه الملوثة حتى رقبته ولمسافة

تصل إلى ٤ كيلو مترات للوصول إلى فقير يقدم له لقمة عيش.

لقد أصيب في الصومال وهو يمارس مهنته الإنسانية الفذة بذبحة قلبية نقل على أثرها بالطائرة إلى جدة وأجريت له عملية تبديل أربعة شرايين في القلب داخل المستشفى العسكري في الرياض.

لدغ مرات عدة من الثعابين والعقارب، وسقط من هيكل أحد المساجد فأصيب بانزلاق في إحدى فقرات عموده الفقري، وهو ما زال يعمل بكل إصرار ونشاط وحيوية وينام في مكاتب اللجنة التي تبلغ ٣٤ مكتباً في دول أفريقيا، فوق المكاتب أحياناً، وفي غرف تابعة للمكتب أحياناً أخرى، لهذا استحق تقدير الحكومات المختلفة ونال ثقتهم فحاز على أرفع الأوسمة.

فقد حصل على جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام والمسلمين العام وهي ٢٠٠ ألف دولار وذلك في العام ١٤١٦هـ، وتبرع بهذه الجائزة لصالح مشروع وقف تعليمي لأبناء أفريقيا. كما حصل على وسام قادة وملوك دول مجلس التعاون الخليجي العام ١٩٨٩م، تقديراً لخدماته الإنسانية، وعن لجنة مسلمي أفريقيا وأنشطتها وطموحاتها كان هذا اللقاء:



العمل الخيري

● هل يمكنك أن تعطينا نبذة تاريخية عن العمل الخيري في الكويت قديماً؟ وكيف هي نظرة أهل الكويت للعمل الخيري بشكل عام؟

ـ الكويت بلد إسلامي والعمل الخيري جزء من لحم الشعب ودمه، بدأ عمل الخير في الكويت منذ أول يوم بدأت فيه الكويت، فالمسلم لا يعيش بمعزل عن المحتاج والفقير، وبخاصة أن نسبة كبيرة من الكويتيين هاجروا من نجد بسبب المجاعات التي اجتاحت نجد قبل مئتي سنة، وأغلب حكام الكويت غلب عليهم عمل الخير حتى اقترن اسم جابر الأول باسم جابر العيش لكثرة إحسانه وخيره.

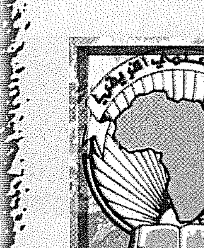


جميع ميزانيات اللجان الخيرية تُراجع من مكاتب تدقيق الحسابات

والجمعية الخيرية التي تأسست في بداية هذا القرن والمدارس كالمباركية والأحمدية وغيرها مثال على العمل المنظم، حيث استمرت أعمال الخير بلا انقطاع، وبرزت أسماء كثيرة في مجال العمل الخيري مثل إبراهيم المضف الذي أوقف الأوقاف للمساجد وتبرع للمدرسة المباركية وأحسن إلى كثير من المحتاجين، وصالح الإبراهيم الذي ساعد متضرري السيول في الثلاثينات وبنى المساجد وغيرها، وفرحان الخالد الذي دفع الكثير من ماله الخاص لأعمال الخير كبناء المستوصفات والتعليم والماء وإرسال الطلبة إلى الجامعات الإسلامية وتجهيز

اتفاقات تعاون بين اللجنة وبعض المنظمات الدولية والإقليمية

١. وقّعت اللجنة اتفاقات عدة مع UNGCR لتنفيذ برامج عدة مشتركة التمويل. مثال: «تطوير منطقة الطوارق شمال مالي. لاجئو سيراليون في غينيا كوناكري».
٢. اتفاق مع برنامج الغذاء العالمي في غانا.
٣. اتفاق مع منظمة الصحة العالمية في سيراليون.
٤. اتفاق مع برنامج الغذاء العالمي في أنغولا.
٥. اتفاق مع منظمة اليونسكو في السودان.
٦. اتفاق مع الاتحاد الأوروبي في أنغولا (برنامج الغذاء العالمي).
٧. اتفاق مع منظمة اليونسيف في الصومال.
٨. اتفاق مع مؤسسة البصر الخيرية العالمية لإنجاز مخيمات طب العيون والمخيمات الطبية.
٩. اتفاق مع البنك الإسلامي للتنمية لتمويل شراء أدوية ومعدات طبية إلى رواندا.
١٠. اتفاق مع البنوك الإسلامية والتنمية لمحاربة الجفاف والتصحر في السودان.
١١. اتفاق مع منظمة الصحة العالمية وذلك لتحديد مجالات التعاون في المستقبل بين المنظمتين بغية تحسين صحة المجموعات السكانية الريفية في أفريقيا وتشمل مكافحة أمراض المناطق المدارية، والتخلص من الجذام، وتحسين التغطية باللقاحات، والوقاية من العمى والصم، كما ستتعاون لجنة مسلمي أفريقيا على توفير آبار المياه الصالحة للشرب.



الموتى وغيرها، ويوسف الصبيح الذي أعطى الكثير من ماله الخاص في أثناء المجاعة في أواخر القرن التاسع عشر ويوسف البدر وغيرهم كثير ولله الحمد.

وفي زماننا هذا، تبرز أسماء مثل الشيخ عبدالله النوري والعم يوسف الفليج، والشيخ يوسف الحجي والعم عبدالله العلي المطوع وأمثالهم بارك الله فيهم وبارك لهم بأموالهم.

نظرة كويتية

● ما نظرة الجهات الرسمية الكويتية للعمل الخيري؟

- لا أظن أي مسؤول كويتي لا يشعر بالفخر تجاه ما يراه من إنجازات للعمل الخيري الكويتي داخل وخارج الكويت، فلقد ذاع سيط العمل الخيري ورفع من سمعة الكويت بفضل الله في الداخل والخارج.

أهداف اللجنة

● ما أهداف لجنة مسلمي أفريقيا؟

- أهم الأهداف التي قامت من أجلها اللجنة:

أ - نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة حسبما ورد في كتاب الله وسنة نبيه بين المسلمين وغيرهم في أفريقيا.

ب - نشر روح التفاهم والتسامح بين المسلمين وغيرهم من أتباع الديانات الأخرى.

ت - نشر الدعوة الإسلامية بين غير المسلمين بالحكمة والموعظة الحسنة.

ج - تطوير وتنمية المجتمعات الأفريقية بإنشاء المؤسسات التعليمية والصحية والاجتماعية والدينية والاقتصادية.

د - الإسهام في إعانة المجتمعات الأفريقية في أثناء النكبات والكوارث.

معايير المساعدات

● ما المعايير التي تضعونها لتقديم المساعدات للجهات المستفيدة؟

- ليس هناك معيار ثابت لتقديم المساعدات للجهات المستفيدة، لأن الحاجة في أفريقيا عامة وهي المعيار الأول لتقديم هذه السماعدات، وعليه تتقدم الجهة المحتاجة لأي مشروع كأن يطلب تبني مشروع لأي مكتب من مكاتبنا البالغة ٣٤ مكتباً في أفريقيا، ويقوم مدير المكتب بزيارة موقع المشروع والاطلاع على كل الأوراق والمستندات وصحتها ومدى حاجة المنطقة لهذا المشروع مع رفع دراسة مستوفية عن القرية أو المدينة ثم بعدها يرفع المدير الطلب إلى المكتب الرئيسي في الكويت لاعتماده، ثم يضم لقائمة المشاريع التي تبحث عن تمويل للعرض على المحسنين وأهل الخير.

الجهات الأفريقية

● ما الجهات التي يتم التعامل معها لإنجاز مشاريعكم، سواء أكانت حكومية أم أهلية؟

- عادة تقوم مكاتب لجنة مسلمي أفريقيا في الدول الأفريقية بتنفيذ كل المشاريع التي تبنتها اللجنة سواء أكانت مساجد أم مدارس أم مستشفيات أم دوراً للأيتام أم آباراً إلا أننا نحتاج في بعض الأحيان لاستشارات فنية وهندسية وفي هذه الحال نقوم بالاستعانة ببعض المكاتب الهندسية الأهلية الكبيرة والموثوقة، أما الجهات الحكومية، فهي مرجعنا بالنسبة لتصديق تصاريح البناء وبعض الأمور الإدارية والفنية.

ضمانات محاسبية

● ما الضمانات المستخدمة في التقارير المالية والمحاسبة، ومتابعة التقارير وتنفيذها؟

- أولاً: بالنسبة لمتابعة التقارير المالية والمحاسبة في مكاتبنا في أفريقيا، يوجد نظام مالي ومحاسبي في اللجنة ومتفق عليه، حيث تقوم الإدارة المالية في الكويت بمتابعة تنفيذ هذا النظام في مكاتب اللجنة في أفريقيا وذلك عن طريق الزيارات الميدانية التي يقوم بها المحاسبون إلى أفريقيا، ومراجعة جميع المستندات المالية والفواتير، مقارنة بالأسعار الفعلية للمواد من داخل البلد، بعد ذلك يقوم المكتب الفرعي بإرسال جميع المستندات إلى المكتب الرئيسي في الكويت، حيث يتم فرزها ومراجعتها مرة ثانية من قبل المدقق الداخلي في اللجنة، ثم بعد ذلك تعرض على رئيس اللجنة لتدوين ملاحظاته، ثم يشرف على مراجعتها مدقق

حسابات تابع لمكتب مراجعة معترف به رسمياً تهيئة لإصدار الميزانية السنوية والتي تطلع عليها الوزارة المختصة في شؤون جمعيات النفع العام في الكويت، أما تنفيذ المشاريع فيتم على أربع مراحل:

أ ـ حفر الأساسات ووضع القواعد.

ب ـ رفع مستوى البناء حتى العتبات.

ج ـ السقف والتشطيبات النهائية.

د ـ افتتاح المشروع بحضور المتبرع أو من ينوب عنه أو أحد مسؤولي اللجنة في الكويت أو في الدولة التي أقيم فيها المشروع؟

أسلوب الإشراف

● **ما الأسلوب المتبع في إشراف المتبرعين على مشاريعهم؟**

ـ تتم عملية إشراف المتبرعين على مشاريعهم عن طريق المتابعة الدورية للمشاريع بين المكتب الرئيسي في الكويت والمكتب الميداني في أفريقيا الذي يمدنا بالتقارير الدورية عن سير العمل في المشروع، والذي نقوم بدورنا بإرسال هذه التقارير إلى المتبرع بشكل دوري حتى المرحلة النهائية لافتتاح المشروع التي تعتمد على التواصل الإداري المستمر بين المكتب الرئيسي في الكويت والمكتب الميداني، وقد شجعت اللجنة أغلب المتبرعين على السفر ليس فقط لافتتاح المشروع، وإنما لتفقد المشروع في أثناء سير العمل به.

الأنشطة والمشاريع

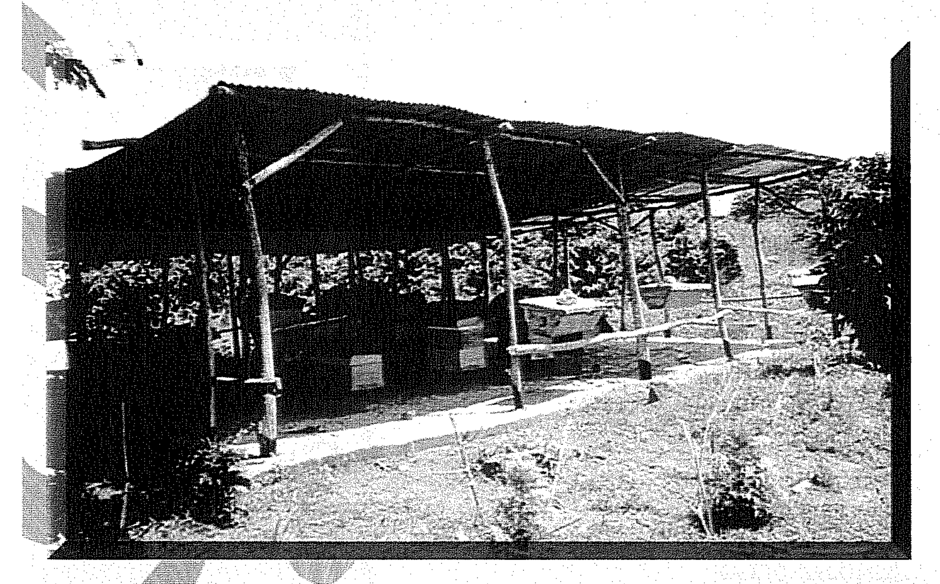
● **ما الأنشطة والمشاريع التي تم إنجازها منذ البداية وحتى اليوم؟**

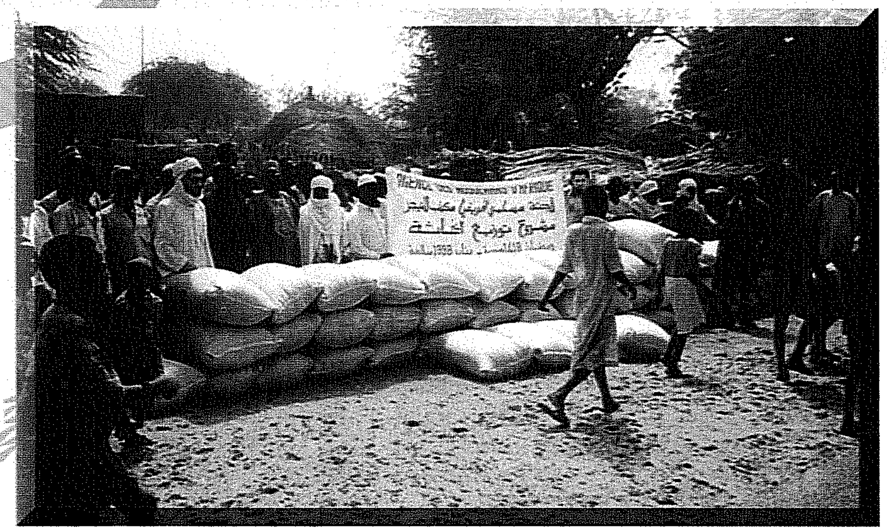
ـ لقد تم إنجاز الكثير من المشاريع على اختلاف أنواعها، وفي دول أفريقية عدة، وفيما يلي إنجازات لجنة مسلمي أفريقيا حتى مايو ١٩٩٨م:

كما قامت اللجنة بالأعمال التالية وسط اللاجئين في أفريقيا:

وسط اللاجئين

منذ تأسيس لجنة مسلمي أفريقيا العام ١٩٨١م كان العلم وسط اللاجئين والنازحين من أولياتنا، نظراً للمعاناة التي يشهدونها وكمثال على ذلك عمل اللجنة في الأوساط:





الغزو العراقي ضربة موجعة لآلاف الطلاب والمرضى والأسر الفقيرة والدعاة والأيتام

١ ـ اللاجئون الأثيوبيون في السودان العام ١٩٨٣م، حيث قُدمت إغاثة واهتمام خاص بالتعليم.

٢ ـ اللاجئون الاريتريون في السودان منطقة خشم القربة، كسلا، ومعسكر ود شريفي وغيرها ١٩٨٣م ـ ١٩٨٩م حيث تم كفالة ٥٠٠ يتيم كفالة كاملة، وفتحت مدارس عدة ومستوصفان وقُدمت منح دراسية للدراسة الجامعية في مصر والسودان، ودول أخرى وحُفرت آبار وقدمت مساعدات لمشاريع زراعية في شرق السودان.

٣ ـ اللاجئون التشاديون في غرب السودان وبخاصة في منطقة الجنينة العام ١٩٨٣م ـ ١٩٨٦م، خدمات طبية زراعية، إغاثة، تدريب



النساء منح دراسية تعليم.

٤ ـ اللاجئون الموزامبيقيون في مالاوي العام ١٩٩٢م إغاثة.

٥ ـ اللاجئون الروانديون في تنزانيا ١٩٩٤م إغاثة، رعاية أيتام، تعليم تدريب النساء.

٦ ـ اللاجئون الروانديون والصوماليون والبورنديون في جنوب أفريقيا العام ١٩٩٥م ـ ١٩٩٨م، إغاثة، تعليم، ومندوب لجنة مسلمي أفريقيا جنوب أفريقيا هو رئيس لجنة اللاجئين التابعة للحكومة في جنوب أفريقيا.

٧ ـ لاجئو غينيا بيساو في السنغال وغينيا العام ١٩٩٨م.

٨ ـ اللاجئون السنغاليون في غامبيا بالتعاون مع الصليب الأحمر الغامبي حيث أسكنت لجنة مسلمي أفريقيا المئات من اللاجئين في مراكزها وقدمت لهم المساعدات.

٩ ـ لاجئو ليبريا في غينيا بالتعاون مع المفوضية خلال الخمس سنوات الأخيرة، تدريب مهني، آبار مياه، تدريب نساء، تعليم، مساعدات، منح دراسية.

١٠ ـ لاجئو سيراليون في غينيا العام

إنجازات لجنة مسلمي أفريقيا حتى مايو ١٩٩٨

البيان	العدد
الطلبة الأفارقة المستفيدين من مدارس اللجنة	٥٠٠,٠٠٠ طالب
الطلبة الأفارقة الذين تدفع اللجنة عنهم رسوماً دراسية	٩٥,٠٠٠ طالب
عدد المدارس الريفية التي أنشأتها اللجنة	٨٤٠ مدرسة
ترجمة وطباعة كتيبات إسلامية إلى ١٨ لغة محلية	٦٥٠,٠٠٠ كتيب
توزيع مصاحف	٦,٠٠٠,٠٠٠ مصحف
شراء وتسيير إذاعة القرآن الكريم في سيراليون	١
بناء وتسيير مستشفيات	٣٤ مستشفى
بناء وتسيير مستوصفات طبية	١٠٠ مستوصف
أيتام تكفلهم اللجنة	٨٥٠٠ يتيم
آبار أرتوازية حفرتها اللجنة	٧٦٠ بئراً ارتوازياً
آبار سطحية حفرتها اللجنة	٢١٥٠ بئراً سطحياً
مساجد شيدتها اللجنة	١٢٠٠ مسجد
مراكز ثقافية إسلامية نفذتها اللجنة، وتشرف على تسييرها	١٠٠ مركز ثقافي
بناء وتسيير عدد من مراكز تدريب النساء المسلمات الفقيرات	١٠٤ مركز
مشاريع زراعية كبرى شيدتها اللجنة وتشرف على تسييرها	٨
سدود مائية قامت اللجنة بتنفيذها	٣ سدود
مخيمات طبية في المناطق المحرومة من الخدمات الطبية	٨
مخيمات طبية تخصصية لعلاج أمراض العيون	٢٢
منح دراسية للطلبة الأفارقة «دراسات عليا في الدول الغربية وجامعية»	٣٠٠ منحة
كفالة حجاج في أفريقيا	٩٢٠ حاجاً
دورات للمعلمين وأئمة المساجد وشيوخ القرى بالإضافة إلى دورات طبية	٢١٠ دورات
مساعدات عينية للدول التي عانت من الكوارث والمجاعات والحروب	١٦٥,٠٠٠ طن

١٩٩٧م - ١٩٩٨م مساعدات.

١١ - الطوارق والعرب في شمال مالي والنيجر ١٩٩٦م - ١٩٩٨م حيث تشارك لجنة مسلمي أفريقيا مع المفوضية العليا لوكالة غوث اللاجئين في تقديم برنامجاً إنمائياً كبيراً في الشمال بلغت تكاليفه نحو مليون دولار تحملت المفوضية منه نحو ٧٠ في المئة، وتحملت لجنة مسلمي أفريقيا الباقي.

١٢ - اللاجئون الصوماليون في شمال كينيا ١٩٩٢م - ١٩٩٤م، حفرت اللجنة أكثر من ٤٠٠ بئر، وأقامت ١٠٧ مراكز للتغذية، وقدمت خدمات صحية وتدريب نسائي وإعانات تعليمية وتوزيع مساعدات وتنمية بالمشاركة مع GTZ الألمانية ومؤسسات كندية وسعودية وإماراتية وغيرها.

كما أن لجنة مسلمي أفريقيا قدمت مساعدات كثيرة للنازحين في داخل دولهم، مثل الصومال والسودان وتشاد ومالي وغينيا بيساو والسنغال وسيراليون وموزامبيق ورواندا وغيرها وأسهمت مساهمة فعَّالة في إعادة تأهيل وتوطين اللاجئين في بلادهم مرة أخرى.

وأخيراً بلغت ما أسهمت به لجنة مسلمي أفريقيا من مساعدات للاجئين أكثر من ١٣,٢٥٠,٠٠٠ دولار أميركي.

مصادر التمويل

● ما مصادر تمويل اللجنة؟

- يتكون تمويل اللجنة من ثلاثة مصادر:

١ - التبرعات من أشخاص ذاتيين وهم من عامة الشعب بمختلف فئاته.

٢ - التبرعات من شخصيات اعتبارية ومؤسسات حكومية وأهلية.

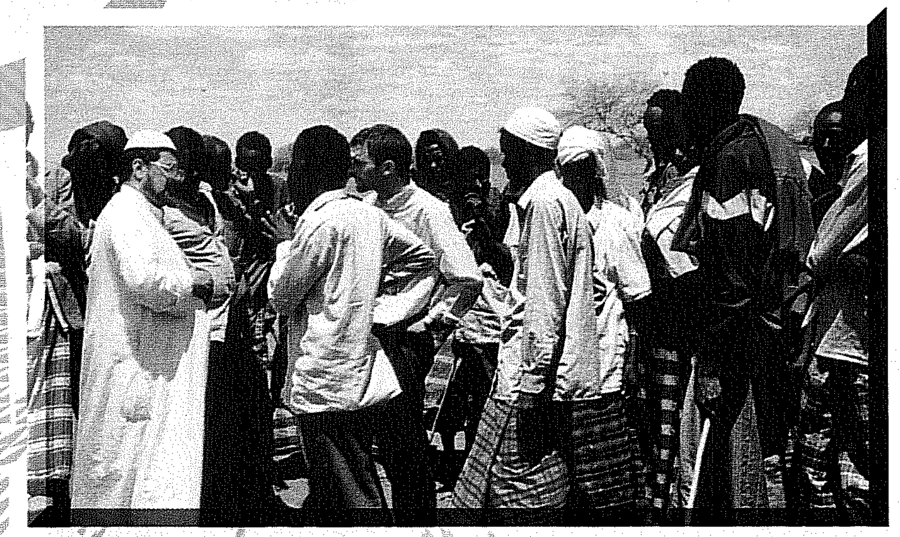
٣ - الاستثمارات الخاصة في بعض القطاعات الاقتصادية.

ردود الفعل

● ما ردود الفعل الحكومية والأهلية على هذه المشاريع في الدول المختلفة؟

- الحكومات الأفريقية بصفة عامة متقبلة وشاكرة لنشاطات اللجنة وفي كثير من الأحيان متعاونة، إذ إنه لم يحدث طوال فترة عمل اللجنة أنها تدخلت في أمور سياسية أو دعوة للتفرقة أو الدخول فيما لا يعنيها، ولقد ساعدنا في ذلك أنه ما من مرة يدس لنا أعداء الإسلام تهمة أو يتآمرون علينا «وفي أغلب الأحيان يأتي هذا من فئات أجنبية تكون لها وزن عند الحكومات» إلا ويظهر الله الحق ونبرأ مما نسب إلينا، بل نتلقى من بعد ذلك الأعذار والاعتذار والدعوة الطيبة لاستمرار العمل ويثبت الله أقدام اللجنة ويزيد احترام الناس لها ويرتفع شأنها وهذا فضل من الله.



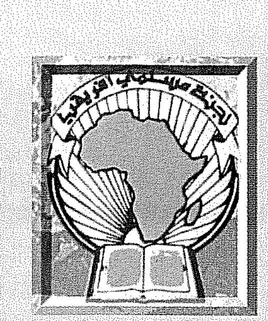


نسعى لتطوير المجتمعات الأفريقية بالمؤسسات التعليمية والصحية والاجتماعية

المشاريع المستقبلية

● ما المشاريع المستقبلية لكم؟

١ - ترسيخ نظام للتسيير الذاتي.



٢ ـ اعتماد المشاريع التي تشارك في عملية التسيير الذاتي:

أ ـ نظم الوقف ـ عقاري ـ تعليمي ـ دعوي ـ عبادات وسنن.

ب ـ تنمية الموارد الطبيعية «الزراعية والثروة الحيوانية».

ج ـ التدريب المهني والحرفي والإنتاجي.

د ـ نظام المشاركة مع فقراء المسلمين بوساطة التعاونيات.

ه ـ الارتقاء بنظم التعليم والصحة بتجهيز المدارس والمراكز الصحية مما يستدعي فرض رسوم رمزية لاستمرار تقديم خدمات ممتازة.

فترة الغزو الغاشم

● ما تأثير العمل الخيري الكويتي خلال فترة الغزو العراقي الغاشم؟

ـ عندما سمعنا إطلاق النار وكان اليوم يوم خميس، وكنا آنذاك في مكتبنا في الطابق العاشر في مجمع الأوقاف، لم نأبه في البداية، وحتى بعد أن علمنا أن هناك غزواً عسكرياً عراقياً للكويت، استمر العمل كالمعتاد حتى الساعة الحادية عشرة عندما اخترقت رصاصة شباك النافذة واستقرت في السكن، ثم تبعها المزيد من الرصاصات، فطلبت آنذاك من العاملين ترك المكتب وإحكام إقفاله والانتقال إلى مكتبنا في منطقة الروضة.

لم يَدُر في خلدنا إطلاقاً أن يقابل حكام العراق إحسان الكويت وتضحياتها بهذه الطريقة بالنسبة لنا حاولنا أن نعمل كالمعتاد وعلى الرغم من أن التبرعات لأفريقيا لم تنقطع من بعض المحسنين حتى في أحلك الأيام رغم قلتها ولا يمكن مقارنتها بالأيام العادية.

تأثر العمل خارج الكويت وانقطعت الرواتب للدعاة والأطباء والمهندسين وغيرهم ومات بعض أيتامنا جوعاً رأيت وسمعت عن بعضهم من أول زيارة لي إلى الصومال وشمال كينيا بعد الغزو مباشرة، كما انطلق الكثير من معلمي القرآن وأساتذة المدارس وأئمة المساجد يبحثون عن لقمة العيش في أماكن مختلفة بعد أن هجروا وظائفهم، بعضهم عمل في تكسير الحجارة، وبيع أحجار البناء، وبعضهم ذهب للغابة يحتطب ويبيع الحطب للناس، توقفت المشاريع كلها تقريباً وعانى العمل الخيري في أفريقيا ضربة موجعة تشرد معها نحو ٤٠٠ ألف طالب كانوا يدرسون في مدارسنا، ولولا تدخل أخوة أفاضل في المملكة العربية السعودية والإمارات وباقي دول الخليج لكانت المصيبة أكبر والخطب أعظم.

هنا في الكويت تم احتلال مقر اللجنة في الروضة وتدميره من الداخل بشكل كامل، كما تم تدمير مقر اللجنة في الفحاحيل والجهراء وسرقة حتى أسلاك الهاتف والكهرباء.

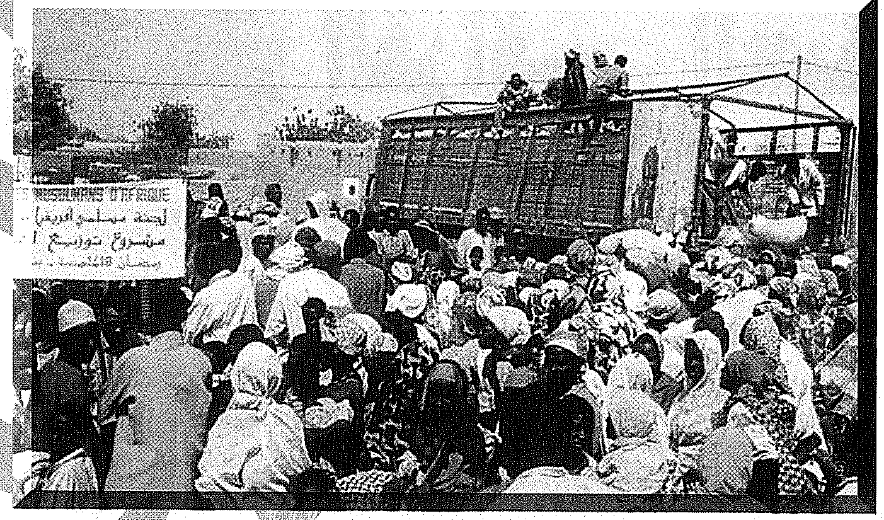
عندما انضمت معظم مؤسسات الخير في الكويت تحت مظلة الهلال الأحمر الكويتي كانت لجنة مسلمي أفريقيا ممن شارك في العمل واعتقل ثلاثة من العاملين في اللجنة ضمن ستة أشخاص من أعضاء مجلس إدارة الهلال الأحمر لمدة ٢٦ يوماً في معتقل قصر نايف، كما اعتقل آخرون بعضهم مازال في غياهب السجون العراقية نتيجة قيامهم بأعمال إنسانية.

أسهمت لجنة مسلمي أفريقيا خلال الأزمة بجمع المال وتوزيعه على المحتاجين من الكويت كما وزعت كميات كبيرة من الأغذية والأدوية، وعملت من خلال الهلال الأحمر في مراقبة المخزون الدوائي للمستشفيات وتزويدها بالأغذية ومحاولة حل مشاكل العمالة المساعدة «عمال فراشين وغيرهم».

لا يمكن لنا حصر خسائر لجنة مسلمي أفريقيا بسبب الغزو، ولكن بالتأكيد كان الغزو ضربة كبيرة للعمل الخيري احتجنا إلى سنوات، ونحتاج إلى وقت أكبر حتى نطهر آثاره التي حلت بنا.

وسترتفع آلاف الأيدي الصغيرة من الأيتام والأطفال تدعو على من تسبب بهذه النكبة على الأمتين العربية والإسلامية، وأسال الدماء وهتك أستار البيوت والأعراض وروع الآمنين وسرق الأموال، وأزهق الأرواح ثم كان سبباً في تأخر خير كثير لإخواننا في أفريقيا.

الصعوبات والعقبات



● ما الصعوبات التي تواجهونها لإنشاء المشاريع في بعض الدول؟

١ ـ صعوبة تنفيذ خطة ثابتة نسبة لسرعة التغيير في الأحوال الأمنية أو المناخية أو المالية والاقتصادية أو الإدارية.

٢ ـ بيروقراطية الإجراءات الإدارية بالمرافق الحكومية وتفشي الرشوة والفساد الإداري.

٣ ـ التغلغل الكنسي وامتداد نفوذه لدى بعض الحكومات مما يعرقل بعض الأعمال الخاصة باللجنة وجميع المنظمات الخيرية الإسلامية.

٤ ـ أسباب خارجية مفروضة على بعض الحكومات الأفريقية لتحجيم العمل الخيري الإسلامي.

الافتراءات والأكاذيب

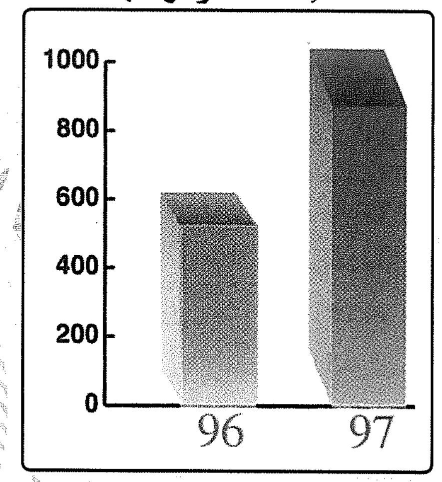
● ما ردكم على الافتراءات والأكاذيب بشأن العمل الخيري الكويتي؟

ـ الاتهامات والأكاذيب والافتراءات على العمل الخيري الكويتي تندرج تحت باب التشهير والصد عن سبيل الله، فالاتهام الموجه لمؤسسات الخير في الكويت هو اتهام باطل لجميع العاملين في هذا الحقل، ممن حملوا أرواحهم في أيديهم وتجولوا في مجاهل غابات وصحارى أفريقيا وآسيا، وتحملوا الصعاب... فإننا نطالب أي جهة كانت أن تظهر ما لديها من أدلة ووثائق ومستندات اعتمدوا عليها في هذه الاتهامات الباطلة التي تجعلهم تحت طائلة القانون.

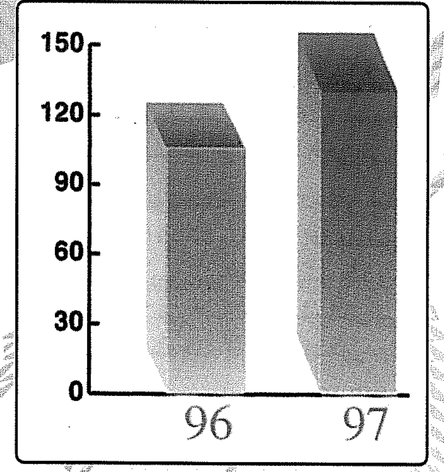
إن مؤسسات الخير في الكويت يفخر بها كل مسلم، ولها الفخر أن تحظى بدعم حكومة وشعب الكويت، ومن حكومات وشعوب مجلس التعاون الخليجي والكثير من الدول العربية والإسلامية، كما تفتخر مؤسسات الخير بشهادة الآلاف من أبناء الكويت والسعودية وباقي دول الخليج ممن زاروا وشاهدوا أعمال هذه المؤسسات في مختلف بقاع العالم وهم اليوم أكبر وسيلة إعلام لهذه المؤسسات...

وتعتز مؤسسات الخير بتنفيذ الكثير من الأعمال الخيرية لحكومة الكويت وحكومات بعض دول الخليج، كما أن جميع ميزانيات مؤسسات الخير في الكويت تراجع من قبل محاسبين، ثم مكاتب تدقيق حسابات، ثم الجمعيات العمومية، ثم وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، وأشك كثيراً أن يكون جميع هؤلاء على درجة من السذاجة حتى تمر عليهم ميزانية كاذبة دون أن يكتشفها واحد منهم، تاركين هذه المهمة لبعض الأذكياء الذين أرادوا تصفية حسابات سياسية مع خصوم لهم على حساب مؤسسات الخير.

المشاريع التعليمية الجديدة
(آلاف الدولارات)

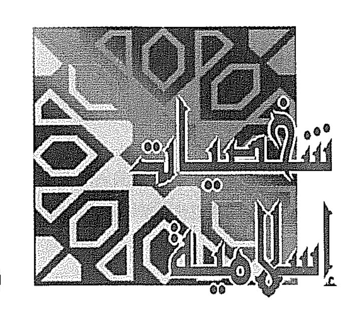


منح ورسوم دراسية
(آلاف الدولارات)



أهدافنا نشر روح التفاهم والتسامح بين المسلمين وغيرهم

وأخيراً نقول لهؤلاء الذين يقذفون بسهامهم السامة واتهاماتهم الباطلة، إن قيادات العمل الخيري في الكويت الذين نعتز بقيادتهم لنا في هذا المجال منهم العم يوسف الحجي، والعم عبدالله المطوع، والعم عبدالعزيز المطوع، وغيرهم من الذين وهبوا أنفسهم لهذا العمل الإنساني الجليل منذ سنين طويلة، أضف إلى ذلك، اختيار حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى الشخصية الأولى في عمل الخير للعام ١٩٩٦م، ما هو إلا دعم حقيقي معبّر عن مدى فعالية وجدية



القرافي العبقري واستثمار الموارد البشرية

بقلم : د.حسن عبدالغني أبو غدة

يحفل تاريخنا المجيد بأفراد من العلماء الأفذاذ، الذين يتميزون عن سواهم من ذوي العلم والمعارف، بالمهارة العجيبة والعبقرية الخارقة، ومن هؤلاء العلماء الأعلام: الإمام القرافي - رحمه الله.

اسمه ونسبه: هو أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن الصنهاجي الأصل «نسبة إلى قبيلة صنهاجة من برابرة المغرب» المصري المولد، المعروف بالقرافي، كان يكنى أبي العباس، ويلقب بشهاب الدين.

ولادته ونشأته وشهرته: ولد في مصر سنة ٦٢٦هـ - ١٢٢٧م، ونشأ فيها، واشتهر بالقرافي، نسبة إلى القرافة، وهي المقبرة القريبة من مسجد الإمام الشافعي في القاهرة.

وسبب شهرته بالقرافي: أنه كان إذا خرج من منزله ذاهباً إلى المدرسة، مرَّ في طريقه بالقرافة «المقبرة الآنفة الذكر»، وحدث أنْ غاب عن الدرس في أحد الأيام، ولم يتذكر عريف الطلاب اسمه، فأثبته غائباً في السجل باسم القرافي، لاعتياده المجيء من تلك الطريق، فلزمته هذه النسبة واشتهر بها.

أشهر أساتذته: تلقى القرافي العلم عن فحول علماء عصره، ومن أشهر هؤلاء: الإمام عز الدين بن عبدالسلام الملقَّب بسلطان العلماء، والإمام شرف الدين محمد بن عمران الشهير بالشريف الكركي، وقاضي القضاة «بمثابة وزير العدل اليوم» شمس الدين أبو بكر محمد بن الإدريسي، والإمام الشهير جمال الدين ابن الحاجب، وغيرهم من الجهابذة الأعلام وقد لازم القرافي أستاذه عز الدين بن عبدالسلام وأخذ عنه كثيراً من العلوم والفنون، واقتبس منه العقلية العلمية، والفكر الحر المتزن المستنير، وكان القرافي - حينذاك - في مطلع شبابه، يبلغ من العمر نحو ١٥ عاماً فلازم أستاذه نحو عشرين سنة، حيث توفي ابن عبدالسلام وعمر القرافي ٣٥ عاماً.

تحصيله للعلوم: جدَّ القرافي في تحصيل العلوم ومعرفتها ودراستها، حتى أتقن عدداً منها إتقاناً بلَّغه الريادة والإمامة فيها، وصار موسوعياً مشاركاً في الكثير من التخصصات والمعارف، بسبب ما آتاه الله تعالى من ذهن متَّقد، وذاكرة حافظة عجيبة، وبراعة فائقة، وفصاحة تأخذ بالألباب، ودأب وصبر على تحصيل العلم، ومناقشة مسائله، وكشف معضلاته.

ومن العلوم التي اشتهر بها: الفقه، وأصول الفقه، والتفسير، والعقيدة، وعلوم اللغة العربية، والمنطق، والفلك، والرياضيات، والميكانيك، وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية.

مؤلفاته: ألف كتباً كثيرة مفيدة في مختلف العلوم والفنون والمعارف، انعقد على كمال محتواها إجماع من بعده من العلماء، وسارت شهرتها مسير الشمس، وتحلَّت كلها بالابتكار والتميز: لغة وأسلوباً، وبحثاً وتنقيباً، وجمعاً وتنسيقاً، حتى قال العلماء: لو لم يكن له في التأليف سوى كتابه: «الفروق» في القواعد الفقهية، لكفى دليلاً على علوِّ كعبه في العلم، فهو كتابٌ نسيج وحده، جاء فيه بالعجب العجاب، لم يُسبق إلى مثله، ولا أتى أحدٌ بعده بشبهه، فكيف وقد زادت مؤلفاته على عشرين مؤلفاً في فنون متعددة، وفيها النفائس والدرر؟!

ومن هذه المؤلفات:

١ - الانتقاد في الاعتقاد.

٢ - أدلة الوحدانية.

٣ - الذخيرة في الفقه المالكي «مطبوع».

٤ - الفروق في القواعد الفقهية «مطبوع مراراً».

٥ - تنقيح الفصول في علم الأصول «مطبوع».

٦ - الاحتمالات المرجوحة.

٧ - المناظر في الرياضيات.

٨ - اليواقيت في أحكام المواقيت «في الفلك».

٩ - الأجوبة الفاخرة في الردّ على الأسئلة الفاجرة «في مقارنة الأديان» مطبوع.

١٠ - الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام «مطبوع».

قال الشيخ شمس الدين بن عدلان الشافعي: أخبرني خالي الحافظ، شيخ الشافعية في الديار المصرية: أن شهاب الدين القرافي حرَّر «كتب كتابة علمية» أحد عشر علماً في ثمانية أشهر.

أشهر تلاميذه: كان رحمه الله تعالى بارعاً متقناً في طريقة

إلقاء الدروس، توضيحاً، ومناقشة، وغوصاً، وأسلوباً، ودقة وتحقيقاً، رحل إليه العلماء وطلاب العلم من الآفاق البعيدة، وقصدوه للسماع منه والأخذ عنه، وملاقاته ومشافهته.

وممن رحل إليه: الإمام محمد بن إبراهيم البقوري الأندلسي المراكشي، رحل إليه من مراكش «المغرب» إلى مصر وأخذ عنه.

ومنهم: الإمام راشد بن محمد البكري التونسي الذي قال عن القرافي: رحلت إلى مصر، وفيها شيخ المالكية في وقته، ذي العقل الوافي، والذهن الصافي، الشهاب القرافي، الذي كان جامعاً للفنون، ومعتكفاً على التعليم على الدوام.

أخلاقه وشمائله: كان رحمه الله تعالى شديد الذكاء، عميق الفكر، بعيد النظر، ألمعياً، لماحاً، ذا عقل وافٍ، صبوراً جلوداً على التعلم والتعليم، ويكرم العلم وأهله وطلابه، ويجلّهم، ويؤانسهم، ويحتفي بهم في داره، وينزلهم منزلة السواد من العين، والروح من الجسد.

وكان جميلاً في صورته، أنيقاً في مظهره، عفيفاً، متواضعاً، يحذّر من مخالطة الحسدة الفسدة ومناظرتهم، وكان كثيراً ما يتمثل بقول القائل:

وإذا جلست إلى الرجال وأشرقت

في جو باطنك العلوم الشرّدُ

فاحذر مناظرة الحسود فإنما

تغتاظ أنت وتستفيد ويجحد

وكان كثيراً - أيضاً - ما يتمثل بقول محيي الدين المعروف بحافي رأسه:

عتبتُ على الدنيا بتقديم جاهل

وتأخير ذي علم فقالت: خذ العذرا

بنو الجهل أبنائي، وكل فضيلة

فأبناؤها أبناء ضرّتي الأخرى

عبقريته الفلكية والميكانيكية: كان القرافي إلى جانب إمامته وتبحره في علوم الشريعة، والعربية، من الفلكيين الرياضيين، النابغين البارعين، العباقرة المتألقين، النوادر في عمل التماثيل المتحركة - المؤلفة من قطع وأجزاء عدة - في الآلات الميكانيكية والفلكية، التي يعاون بعضها بعضاً على أداء عمل معين، بنظام لا يتطرق إليه خلل.

قال القرافي في كتابه: «نفائس الأصول في شرح المحصول» وهو يبحث في موضوع الكلام في اللغات ودلالته الصوتية: هل مجرد الصوت يدل على صاحبه؟ ثم أجاب بقوله: لا يكفي أن تسمع الصوت فتقول: إنه لابد من شخص صاحب لهذا الصوت، لأن الصوت يُصنع في غير الإنسان.

ثم تابع يقول: بلغني أن الملك الكامل وُضع له شمعدان «عمود طويل من نحاس، له مراكز يوضع عليها الشمع للإنارة» كلما مضى من الليل ساعة، انفتح باب منه، وخرج منه شخص يقف في خدمة الملك، فإذا انقضت عشر ساعات، طلع الشخص على أعلى الشمعدان، وقال: صبح الله السلطان بالخير والسعادة، فيعلم أن الفجر قد طلع.

ثم قال عن نفسه: وقد عملت أنا هذا الشمعدان، وزدت فيه، وأن الشمعة يتغير لونها في كل ساعة، وفيه أسد تتغير عيناه من السواد الشديد، إلى البياض الشديد، إلى الحمرة الشديدة، في كل ساعة لها لون، وتسقط حصاتان من طائرين، ويدخل شخص ويخرج شخص غيره، ويغلق باب ويفتح باب، فإذا طلع الفجر طلع الشخص على أعلى الشمعدان، وأصبعه على أذنه، يشير إلى الأذان، ولكني عجزت عن صنعة الكلام، ثم صنعتُ صورة حيوان يمشي، ويلتفت يميناً ويساراً ويصفّرُ ولا يتكلم.(١)

ولا شك أن هذه مهارة نادرة، وعبقرية عجيبة، وذكاء فوّار خارق، من هذا الفقيه الألمعي المتوقّد الفرّاس.

وفاته: استمر هذا الإمام الفذ القرافي يفيد أهل العلم وطلابه، حتى توفاه الله تعالى في سنة ٦٨٤هـ - ١٢٨٥م عن ٥٨ عاماً، ودُفن - رحمه الله تعالى - بالقرافة السابق ذكرها.

الخاتمة: إن هذه المهارة وأمثالها وأشباهها، توجد في الكثير من الأفراد في بلادنا العربية والإسلامية، الذين يعيشون مغمورين، كالخبايا في الزوايا، قلَّ من يتنبَّه لهم، ويُعيرهم الاهتمام والرعاية، والعون والتشجيع، وتطوير القدرات.

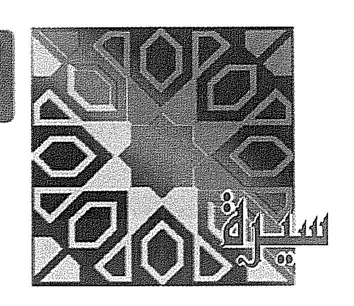
ولو أنه تكوَّنت في كل بلد لجان عالية متخصصة، تتحرَّى أمثال هؤلاء الموهوبين العباقرة، لتنتفع المجتمعات بمعارفهم وخبراتهم، ويُعهد إليهم بتدريب غيرهم وإفادتهم، لأسهم ذلك كثيراً في تنمية الأوطان وتقدمها وازدهارها، فضلاً عما في ذلك من رفع شأن العلم والعلماء العباقرة الأفذاذ، الذين تتسابق الدول إلى اجتذابهم، وتمكينهم من تحقيق مشاريعهم البناءة، في جوٍّ من التقدير والتبجيل والتشجيع. ■

الهامش:

١ - يبدو أن ما صنعه القرافي ليس من التماثيل المحرمة، لأنها تتركّب من أجزاء عدة منفصلة - لا يمكن أن تعيش بذلك - لكل منها وظيفة خاصة، ويعاون بعضها بعضاً على أداء عمل معين ، والقرافي إمام فقيه ورع، لا يُقْدِم على صنع محرَّم.

المراجع:

١ - الأعلام للزركلي.
٢ - التصوير عند العرب لأحمد تيمور باشا.
٣ - حُسْنُ المحاضرة للسيوطي.
٤ - الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب، لابن فرحون المالكي.
٥ - شجرة النور الزكيَّة في طبقات المالكية لمحمد مخلوف.
٦ - نيْل الابتهاج بتطريز الديباج للتنبكتي.
٧ - نفائس الأصول في شرح المحصول للقرافي.



رسائل النبي ﷺ ١ إلى الملوك والرؤساء

بقلم : د. جابر قميحة

كان النبي - ﷺ - أمياً، بعث في أمة أمية، وقد جاء في القرآن الكريم (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) الجمعة : ٢.

يقول صاحب المنار (٩/٢٥٥) : «بعث الله محمداً عليه السلام أمياً - أي لا يقرأ ولا يكتب، ولم يُنْقل لنا أن الله - سبحانه وتعالى - بعث نبياً أمياً غيره، فهو وصف خاص لا يشارك محمداً - ﷺ - فيه أحد من النبيين، والأمية آية من أكبر آيات نبوته: فإنه جاء بعد النبوة بأعلى العلوم النافعة، وهي ما يُصلح ما فسد من عقائد البشر وأخلاقهم وآدابهم، وأعمالهم وأحكامهم، وعمل بها فكان لها من التأثير في العالم ما لم يكن، ولن يكون لغيره من خلق الله».

فالأمية كانت متفشية في بلاد العرب، فلم يكن هناك من يكتب بالعربية حينما جاء الإسلام إلا سبعة عشر إنساناً ذكرهم ابن عبدربه في العقد الفريد على سبيل الحصر، وإن رفع غيره العدد إلى الضعف أو أكثر.

كُتَّاب النبي ﷺ

وذكر الجهشياري في «كتاب الوزراء والكتاب» أسماء ثمانية كانوا يكتبون للرسول - ﷺ - تلقياً منه - أي الوحي أو الرسائل أو المغانم - وهم: علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وخالد بن سعيد، ومعاوية بن أبي سفيان، ومعيقيب بن أبي فاطمة حليف بني أسد الذي كان يكتب مغانم الرسول، وعبدالله بن أبي السرح.

وذكر الجهشياري أسماء أخرى لرجال كتبوا في عهد النبي - ﷺ -: المغيرة بن شعبة، والحصين بن نمير، وكانا يكتبان ما بين الناس.

وعبدالله بن الأرقم، والعلاء بن عقبة، وكانا يكتبان بين القوم في قبائلهم ومياههم، وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء، وحنظلة بن الربيع الذي كان خليفة كل كاتب من كتاب النبي ﷺ إذا غاب عن عمله.

وهذا يعني أنه كان للنبي - ﷺ - كتَّاب معروفون على سبيل الحصر، كما أنهم عرفوا نظام «الكاتب الاحتياطي» الذي يسد مسدَّ من يغيب، وما ذكره الجهشياري يدل على أن الكتّاب أيام النبي - ﷺ - كانوا نوعين:

النوع الأول : الكتّاب المباشرون : وهم الذين يتلقون من النبي - ﷺ - مباشرة فيكتبون له الوحي والرسائل.

والنوع الثاني : كتّاب الدولة : وهم يسجلون ما يحتاج إلى تسجيل من غنائم الحروب وأنصبة الناس وحاجات قومهم وما شابه ذلك.

وأقل من هؤلاء بكثير النساء اللائي كن يكتبن، وقد ذكر البلاذري في «فتوح البلدان» منهن : الشفاء بنت عبدالله التي كانت كاتبة في الجاهلية، وحفصة بنت عمر، وأم كلثوم بنت عقبة، أما أم سلمة زوجة النبي - ﷺ - فكانت تقرأ ولا تكتب.

وهناك توجيه طيب رائع من رسول الله - ﷺ - نراه في حديث زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال : أمرني رسول الله - ﷺ - أن أتعلم له كتاب يهود «أي لغتهم قراءة وكتابة»، قال: إني «والله ما آمن يهود على كتاب، قال زيد فما مرَّ بي نصف شهر حتى تعلمته له، فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم». (رواه الترمذي).

وبذلك فوَّت رسول الله - ﷺ - على اليهود ما يحرصون عليه من التحريف والمغالطة إذ كانوا لا يكتبون إليه إلا بلغتهم التي لا يعرفها أحد من المسلمين، مع أن كثيرين منهم كانوا يعرفون العربية جيداً، ومنهم شعراء ينظمون بالعربية، وبعد ذلك كان زيد بن ثابت يقوم بدور المترجم قراءة وكتابة، وفي هذا الحديث توجيه للمسلمين على مدار العصور بأهمية تعلم اللغات الأجنبية وخصوصاً لغة الأعداء.

الحديبية والانفتاح على العالم

مكث النبي - ﷺ - في مكة ثلاثة عشر عاماً يدعو إلى الله على بصيرة، ودخل عشرات من الناس في الدين الجديد أغلبهم من المستضعفين، ولكن إسلام حمزة وعمر زاد من قوة المسلمين في مكة، ومع اتساع دائرة الدعوة اتسعت دائرة المعاناة، ومن ثم كان لابد من الخروج إلى دائرة أو دوائر أوسع، وكان هذا التوسيع أو هذا الخروج الذي يمثل أول العلائق بالخارج يتمثل في عملين :

الأول: هجرتان قام بهما بعض المسلمين إلى الحبشة بدأت أولاهما في العام الخامس من البعثة.

والثاني: هجرة النبي - ﷺ - من مكة إلى المدينة بعد التمهيد لها ببيعتي العقبة الأولى والثانية.

وفي المدينة أنشأ النبي - ﷺ - دولة كاملة الأركان لا بالمعايير القديمة، ولكن بما يشترطه القانون الدولي والفقه الدستوري الحديث في وقتنا الحاضر من وجود شعب دائم، وإقليم محدد، وحكومة، وأهلية الدخول في علاقات مع الدول الأخرى.

ودفاعاً عن العقيدة والدولة الناشئة، حارب النبي - ﷺ - أعداء الإسلام في معارك مشهورة، منها بدر وأحد والخندق ومؤتة والمريسيع... إلخ.

وفي العام السادس للهجرة كان «صلح الحديبية» بين النبي - ﷺ - وقريش، والحديبية موقع على بعد تسعة أميال من مكة... وقد تضمن الاتفاق ما يلي:

١ - هدنة عشر سنوات.

٢ - حق قريش في استرداد من يأتي محمداً مسلماً، وليس لمحمد مثل هذا الحق.

٣ - حرية دخول الآخرين في حلف مع أي الطرفين.

٤ - رجوع محمد ومن معه هذا العام إلى المدينة وعودته لزيارة البيت الحرام في العام القابل.

٥ - الالتزام بحسن النوايا وتجنب الخيانة والغدر.

وشعر كثير من المسلمين - وعلى رأسهم عمر بن الخطاب - بقساوة هذه الشروط عليهم، وخصوصاً الشرط الثاني، حتى قال عمر حزيناً أسفاً «كيف نعطي الدنية في ديننا؟» ولم يكن جواب الرسول - ﷺ - إلا قوله: «أنا رسول الله ولن يضيعني»، وأثبتت الأيام بُعد نظر النبي - ﷺ - وعبقريته في هذا الصلح:

١ - فقد اعترفت قريش «رسمياً» بتوقيعها هذا الصلح - بمحمد ﷺ قائداً وزعيماً، وبالمسلمين جماعة لها قوة وثقل وكيان وأهمية.

٢ - وجنى المسلمون كسباً سياسياً كبيراً بفتح الباب على مصراعيه لمن أراد من العرب الدخول في حلف محمد وفيه دخلت قبيلة خزاعة وقالوا: «نحن في عقد محمد وحلفه».

٣ - ولم تفد قريش من الهدنة شيئاً، بينما أفاد النبي - ﷺ - الكثير: إذ عاد النبي والمسلمون إلى مكة معتمرين في العام القابل، وقد دامت الهدنة عامين فحسب، ولكنهما كانا كافيين لمحمد - ﷺ - لتثبيت مركزه، ولمد نفسه بالقوة اللازمة لكسر شوكة قريش، وتقويض سلطانها.

وفي هذه الأثناء دك معاقل اليهود في خيبر، وفدك في العام السابع للهجرة، وبعث بحملة إلى مؤتة في العام الثامن من الهجرة، وانضم إلى صفوف المسلمين جماعات وجماعات، وأسلم أشخاص من ذوي الحيثية والقدرة والحنكة من أمثال خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص.

وبهذا الصلح الذي التقط المسلمون به أنفاسهم بدأ الانفتاح على مناطق وأقطار أخرى تحقيقاً لعالمية الإسلام، فكانت رسائل النبي - ﷺ - إلى الملوك والأمراء والرؤساء.

رسائل النبي ﷺ تحقيق لعالمية الإسلام

وأهم هذه الرسائل :

١ - رسالته إلى قيصر ملك الروم، وحملها دحية بن خليفة الكلبي.

٢ - رسالته إلى كسرى ملك فارس، وحملها عبدالله بن حذافة السهمي.

٣ - رسالته إلى المقوقس عظيم القبط بمصر، وحملها حاطب بن أبي بلتعة.

٤ - رسالته إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك تخوم الشام، وحملها شجاع بن وهب الأسدي.

٥ - رسالته إلى هوذة بن علي الحنفي وإلى ثمامة بن أثال: رئيس اليمامة: وحملها سليط بن عمرو العامري.

٦ - رسالته إلى النجاشي ملك الحبشة وحملها عمرو بن أمية الضمري.

٧ - رسالته إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين، وحملها العلاء بن الحضرمي.

وتشترك كل هذه الرسائل في مضمون محوري واحد وهو الدعوة إلى الإسلام، وقد جاءت هذه الدعوة في أساليب متعددة وصور مختلفة تراعي شخصية المرسل إليه ومكانته السياسية والاجتماعية والدينية، ولكن - بجانب هذه الفكرة المحورية - كان هناك مضامين أخرى فرعية مشتركة بين هذه الكتب جميعاً أو أغلبها، وإن ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالمضمون الرئيسي، ومن هذه المضامين المشتركة:

١ - في الإسلام السلامة ومن امتنع عن الإسلام أثم.

٢ - محمد هو رسول الله المبعوث للناس كافة.

٣ - المتنع عن الإسلام لا يحمل إثم بقائه على الكفر فحسب، ولكن إثم رعاياه كذلك، لأنهم يتبعونه ضلالة أو هداية، «والناس على دين ملوكهم».

٤ - الاستشهاد بآية أو آيات من القرآن الكريم مناسبة للمقام، ومتعلقة بطبيعة المرسل إليه.

فكل هذه الرسائل كانت الفكرة الأساسية التي تحملها هي الدعوة إلى الإسلام، ثم هي تمزج في تضاعيفها بين الترغيب في اعتناق الدين الجديد، والترهيب المجمل من نتيجة المخالفة برفض اعتناق الإسلام، وهو الدين الخاتم الذي جاء به محمد بن عبدالله - ﷺ - مبعوثاً للناس كافة، ونعرض فيما يأتي نصوص بعض هذه الرسائل:

رسالته ﷺ إلى هرقل ملك الروم

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبدالله الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أَسْلِم تَسْلَم: أَسْلِمْ يؤتك اللهُ أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأَرِّيسيِّين و(يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون).

والأريسيون هم الفلاحون من رعاياه يتحمل إثمهم لأنهم يتبعون وينقادون إليه.

ورسالته ﷺ إلى كسرى ملك الفرس

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم

فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله عز وجل، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم، فإن أبيت فعليك إثم المجوس.

ورسالته ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط في مصر

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط، و(يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون).

وجاء في «صبح الأعشى»: ذكر الواقدي أن كتاب النبي - ﷺ - إلى المقوقس كان بخط أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وأن فيه :

«من محمد رسول الله إلى صاحب مصر: أما بعد: فإن الله أرسلني رسولاً، وأنزل عليَّ قرآناً، وأمرني بالإعذار والإنذار ومقاتلة الكفار حتى يدينوا بديني، ويدخل الناس في ملتي، وقد دعوتك إلى الإقرار بوحدانيته، فإن فعلت سعدت، وإن أبيت شقيت والسلام».

رسالته ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، سِلْمٌ أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، حملته من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفر ونفراً معه من المسلمين فأَقْرِهم «أي أكرمهم»، ودع التجبر، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغتُ ونصحتُ، فاقبلوا نصحي، والسلام على من اتبع الهدى.

ملامح فارقة

ورسائل النبي - ﷺ - وقد قدمنا بعضها - بينها سمات وملامح فارقة لا يخطئها النظر:

١ - فبعضها يأتي موجزاً في سطرين أو ثلاثة، ويدعو إلى الإسلام مباشرة دون تفصيل كرسالته إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ونصها:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر، سلام على من ابتع الهدى وآمن بالله وصدق، وإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكك.

٢ - في رسالة واحدة فقط وهي الموجهة إلى المنذر بن ساوى يذكر النبي - ﷺ - ملامح المسلم، فالمسلم - على حد قوله - عليه الصلاة والسلام - «من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا».

٣ - وانفردت رسالته إلى النجاشي عن رسائله كلها بأمرين هما: ذكر بعض أسماء الله الحسنى: «الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن»، وشرح طبيعة سيدنا المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، فهو «روح الله، وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، حملته من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده ونفخة».

والعجيب أن يذكر النبي - ﷺ - ذلك في كتابه إلى النجاشي، وربما كان أوْلى به رجل كالمقوقس «عظيم القبط» حتى يبعث فيه حسه الديني... فهو زعيم ديني قبل كل شيء، ولكن معرفة الواقع التاريخي آنذاك تجعلنا نؤمن بأن النبي - ﷺ - في اختصاصه رسالته للنجاشي بذكر المسيح وكيفية ولادته - كان على حق، فقبل هجرة النبي إلى المدينة بعدة أعوام هاجر جعفر بن أبي طالب وعشرات من المسلمين إلى الحبشة، وأرسلت قريش في أثرهم وفداً منهم عمرو بن العاص لاستعادة هؤلاء «الفارين الخارجين» وإرجاعهم إلى مكة، أو على الأقل محاولة تأليب النجاشي عليهم، فلم يجدوا سبيلاً يتسللون منه إلى قلب النجاشي إلا طبيعة المسيح، ورأي المسلمين فيه «وهو سيء من وجهة نظر الكفار مما قد يغضب النجاشي»، وشرح المسلمون «الفارون» وجهة نظر الإسلام في خلق المسيح ومكانته عند المسلمين، فخابت مؤامرة الكفار، وعامل النجاشي المسلمين معاملة طيبة.

وقد أراد النبي - ﷺ - بإعادة ذكر هذه المسألة في رسالته - تأييداً لما ذكره المسلمون، وتأكيداً له، وكسباً لمشاعر هذا الملك العظيم، وقد تحقق ما أراد، فأرسل إليه النجاشي كتاباً يعلن فيه أنه أسلم على يد جعفر بن أبي طالب، ويعبر عن إيمانه بما ذكره الرسول في طبيعة المسيح عليه السلام.

٤ - كما انفردت رسالة النبي - ﷺ - إلى النجاشي بذكر «مطلب خاص» هو أن يحسن النجاشي إلى جعفر بن أبي طالب ومن معه من المهاجرين إلى الحبشة، فهم في دار غربة فارون بدينهم من الشرك والظلم والعدوان.

٥ - وأكد النبي - ﷺ - في بعض هذه الكتب مسؤولية الحكام عن ضلال الرعية، وكان هذا التأكيد صريحاً قارعاً شديد اللهجة في رسائل ثلاث، وهي رسائله إلى كسرى الفرس وهرقل الروم، والمقوقس عظيم القبط في مصر، فالأولان هما أوسع حكام الأرض نفوذاً، والثالث هو صاحب الهيمنة الدينية على أقباط مصر، ففي كتابه إلى قيصر الروم: «... فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين»، وفي كتابه إلى كسرى الفرس «... فإن أبيت فعليك إثم المجوس...» وفي كتابه إلى المقوقس: «... فإن توليت فإنما عليك إثم القبط...».

ولكن هذه الفروق التي ذكرناها بين الرسائل آنفاً لا تبتعد، بل هي ترتبط بالفكرة المحورية الرئيسية في هذه الرسائل، وهي الدعوة إلى الإسلام.

الآثار ... وردود الفعل ...

وقد كان تأثير هذه الرسائل مختلفاً:

١ - فيروى أن هرقل بعد أن قرأ رسالة النبي - ﷺ - عاد إلى حمص دار ملكه، ونزل قصره العظيم بها، وأغلق أبوابه، وأمر منادياً ينادي: ألا إن هرقل قد آمن بمحمد واتبعه، فاقبلت الأجناد في سلاحها، وطافت بقصره تريد قتله، فأرسل إليهم، إني أردت اختبار صلابتكم في دينكم، فقد رضيت، فرضوا عنه.

وهناك رواية أخرى خلاصتها أنه كتب كتاباً وأرسله مع دحية

الكلبي إلى رسول الله - ﷺ - يقول فيه: «إني مسلم ولكني مغلوب» فلما قرأه النبي - ﷺ - قال: «كذب عدو الله، ليس بمسلم».

٢ - وأما كسرى أبرويز، فإنه مزّق الرسالة، فقال رسول الله - ﷺ - : «مزّق الله ملكه» فسلط الله عليه ابنه شيرويه فقتله.

٣ - وقبّل المقوقس رسالة الرسول - ﷺ - وأهدى إليه ضمن ما أهدى مارية القبطية، فتسرّاها النبي - ﷺ - وأنجب منها ابنه الذكر الوحيد إبراهيم الذي مات رضيعاً، وماتت مارية مسلمة سنة ١٦ هـ.

٤ - وأما الحارث بن أبي شمر الغساني، فإنه لما أتته الرسالة قال: أنا سائر إليه «يعني محارباً»، فقال رسول الله - ﷺ - : باد ملكه.

٥ - وأما هوذة بن علي فبعث يطلب من النبي - ﷺ - أن يجعل له الأمر من بعده حتى يسلم، وإلا قصده وحاربه، فقال النبي - ﷺ : اللهم اكفنيه، فمات بعد قليل.

٦ - وأما النجاشي، فإنه آمن برسول الله - ﷺ - واتبعه وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - وأرسل ابنه في ستين من الحبشة فغرقوا في البحر، وبعث إليه رسول الله - ﷺ - أن يزوجه بأم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت مهاجرة في الحبشة مع زوجها عبدالله بن جحش فتنصّر هناك، فزوجه إيّاها، وقام النجاشي بصداقها أربعمئة دينار من عنده.

٧ - وأما المنذر بن ساوى، فإنه أسلم، وأسلم معه أهل البحرين.

ولكننا نستطيع أن نقول إن التأثير كان إيجابياً إلى حد بعيد، والذين لم يسلموا في حياة النبي - ﷺ - أسلموا في حياة خلفائه.

المتابعات الجوابية

وفي بعض الأحيان لا تنتهي المسألة بالرسالة والرد عليها، بل تمتد المتابعة إلى كتابة رسالة تأتي الثالثة في الترتيب الزمني، وتكون جواباً أو رداً على الرد، ونكتفي بمثال واحد لهذه «المتابعة الجوابية:

جاء رد المنذر بن ساوى ملك البحرين على رسالة الرسول - بعد أن أعلن إسلامه - بالنص التالي :

أما بعد يا رسول الله : «فإني قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه، ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود، فأحدث لي في ذلك أمرك» أي أشر عليَّ بما أفعل. فكتب إليه ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد بن عبدالله إلى المنذر بن ساوى : سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد ألا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد: فإني أذكّرك الله عز وجل، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، وإنه من يطع رسلي، ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً، وإني قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية.

وهذه الرسائل الديوانية أو الرسمية أو العامة تميل في أغلبها إلى الإيجاز والمباشرية في معالجة الموضوع، وغلبة عنصر الفكر على الوجدان، وجاء الأداء التعبيري فيها بالأسلوب المرسل دون تكلف أو تصيّد بعيداً عن السجع والتزين اللفظي، وهي مطعمة غالباً ببعض آيات من القرآن الكريم.

وفيما يتعلق بالدولة الإسلامية الناشئة في المدينة نقرأ للنبي - ﷺ - عشرات من الرسائل والكتب والعهود والوصايا ككتاب الموادعة أو دستور المعايشة بينه وبين اليهود ومن ساكنهم في المدينة وما حولها، ومنها الرسائل والكتب التشريعية التي كان يكتبها ويوجهها إلى الأفراد أو القبائل يعرض فيها أحكام الدين المختلفة في مجال العبادات والمعاملات وغيرها، ومنها كتب الإقطاع والغنائم التي يمنح بمقتضاها فرد أو قبيلة الحق في امتلاك أرض أو ماء أو شجر أو ما شابه ذلك، أو احتكار الانتفاع بذلك بصفة دائمة، أو وقت محدود.

ومنها الكتب الإدارية والتنظيمية التي تتعلق بتنظيم أمور الدولة وإدارتها في حالتي الحرب والسلم، وتصدق كذلك على كتب تولية الولاة والقادة والتكليف بمهام محددة، ومنها كتب التجسس والاستطلاع، وهي رسائل سرية أشهرها الرسائل المتبادلة بين النبي - ﷺ - وعمه العباس - رضي الله عنه - الذي بقي في مكة ليكون عيناً للنبي على قريش.

وللنبي - ﷺ - رسالة خاصة أو إخوانية واحدة لم ينقل التاريخ غيرها على ما أعلم، وهي الرسالة التي كتبها إلى الصحابي الجليل معاذ بن جبل - رضي الله عنه - يعزّيه في ابن له مات.

شك في غير محله ...

وفي كتابه «تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ص ٣٤» يشكك الأستاذ أنيس المقدسي في رسائل النبي إلى الملوك سنة ٦ هـ بمقولة إن النبي - ﷺ - لم يكن قد بلغ في تلك السنة من القوة الحربية ما يرغم قبائل العرب القريبة على الخضوع التام، فكيف يعقل أن يهتم بإخضاع كبار الملوك يومئذ وهو لا حول حربياً له ولا طول...».

ونرى أنه شك في غير موضعه، وليس له ما يبرره:

١ - فالهدف من هذه الكتب لم يكن «إخضاع كبار الملوك» - كما ذهب الأستاذ المقدسي، بل كان دعوة هؤلاء إلى هدي الإسلام، وليس في هذه الكتب ما يوحي بطلب النبي خضوعاً واستسلاماً وتبعية.

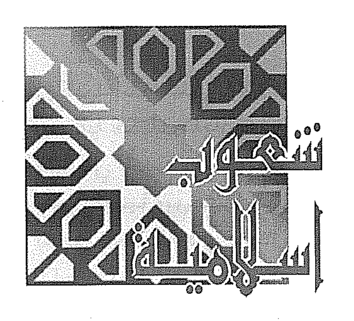
٢ - والقول إن النبي - ﷺ - لم يكن له في تلك السنة حول وطول، قول غير صحيح، ففي هذا العام هابته قريش، وإلا لقاتلته في الحديبية، بل إنه والمسلمين - مع أنهم لم يكن معهم من السلاح إلا السيوف في أغمادها - تأهبوا لقتال قريش اعتقاداً منهم أن قريشاً قتلت عثمان بن عفان رسول رسول الله إليها في مكة.

٣ - والمسلمون خلال عامين فقط «الخامس والسادس من الهجرة» استطاعوا أن يقوموا بعشرين غزوة وسرية.

٤ - على أن النبي - ﷺ - والمسلمين معه كانوا يعوضون بقوة الإيمان وشجاعة القلب والتسليم بقاعدة «لن يصيبنا إلا مكتب الله لنا»، ما يعوضهم عن العدد والعُدَد وقوة السلاح.

٥ - وهذه الكتب بعث بها النبي - ﷺ - إلى الملوك والرؤساء بعد أن عزل «جبهة قريش» سياسياً وعسكرياً، وجنى بصلح الحديبية كسوباً سياسية كبرى.

٦ - وأخيراً: من يقرأ هذه الرسائل يرى أنها ذات سمات وملامح لا تختلف عن سمات الأسلوب النبوي في رسائله الأخرى. ■





مسلمو أوغندا

من مملكة « البوجندا » إلى عصر الانقلابات العسكرية

بقلم : شعبان عبدالرحمن

أوغندا هي واحدة من الدول الإفريقية التي تمثل ثقلاً استراتيجياً، وهي كذلك من الدول التي لعبت دوراً تاريخياً أو كانت مسرحاً لأحداث سياسية مهمة... فهي واحدة من دول حوض النيل، والتي يوجد فيها منابعه، وهي من دول الجوار السوداني التي تقوم بدور مؤثر في أحداث الحرب الدائرة في جنوبه، وهي كذلك من الدول الأفريقية القليلة التي دخلها الإسلام منذ بزوغه ... فقد أكدت الدراسات التي قام بها المؤرخون المسلمون هناك أن المسلمين حطوا برحالهم في هذه البلاد خلال الهجرات الإسلامية الأولى إلى دول شرق إفريقيا، ويقول الشيخ الحسيني رجب مفتي أوغندا - في لقاء لي معه - إن هذه الدراسات الدقيقة ترد على ما يروجه المؤرخون الأوروبيون من أن أوغندا عرفت الإسلام في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، عندما أرسل الخديوي إسماعيل «ملك مصر» حملة عسكرية من المسلمين إلى أوغندا العام ١٨٦٤م لاكتشاف منابع النيل ودارستها لإمكان السيطرة عليها، وذلك لأهمية نهر النيل القصوى للمصريين ...

دخلها الإسلام ونشره التجار المسلمون بسلوكهم النبيل وخلقهم الرفيع

ويضيف الشيخ الحسيني رجب أن المؤرخين المسلمين توصلوا إلى وثائق تاريخية تثبت أن ملوك أوغندا «كانوا يسمونها في القديم مملكة البوجندا» أرسلوا وفوداً إلى الحجاز منذ القِدَم لطلب الدعاة المسلمين من الجزيرة العربية، وقد تمت الاستجابة لطلباتهم.

كان للتجار المسلمين الذين ترددوا على هذه البلاد بعد دخول الإسلام إليها دور محوري في تثبيت الإسلام في قلوب أبناء مملكة «البوجندا» (أوغندا)، بسلوكهم الإسلامي الحميد، وأخلاقهم الرفيعة التي جعلت الناس يهفون إليهم، فقد كان هؤلاء التجار في ذواتهم وأخلاقهم دعوة عملية متحركة فتحت في صمت بلاداً عدة أمام الإسلام، وحمل هؤلاء التجار المسلمون راية

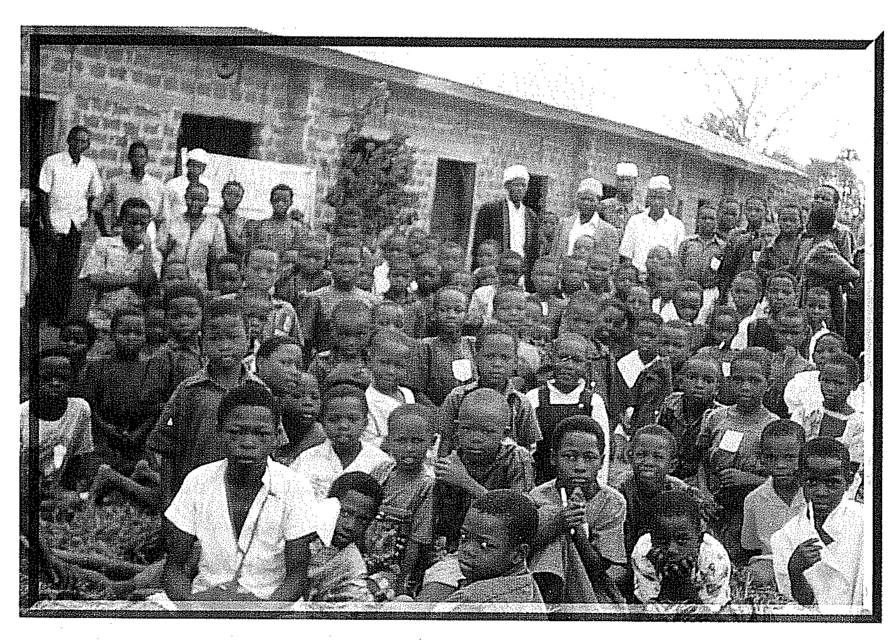
التوحيد وهم يتجولون بتجارتهم في شمال أوغندا وكان اهتمامهم مع ترويج تجاراتهم العمل على نشر الإسلام.

وبغض النظر عن تاريخ دخول الإسلام لهذه البلاد، فإنه من المؤكد هو أن الهجرات العربية المسلمة الأولى أو التجار المسلمين أو الجنود المصريين بدافع من ضميرهم الإسلامي قد بذروا بذوراً طيبة للإسلام هناك.

وبعد ذلك كان الدور المحوري في نشر الإسلام «للمسجد» فقد تحولت المساجد إلى مراكز ثقافية مهمة لنشر الإسلام، وكانت الدروس تلقى باللغة العربية، فقد كانت معرفة أوغندا باللغة العربية متواكبة مع معرفتها بالإسلام ذاته، وأصبحت هذه اللغة يوما - بعد انتشار الإسلام هناك - هي لغة الشعب ولهجة التداول بين أبنائه وبخاصة في المجالات التجارية، كما أنها صارت لغة القضاء، لأنها في الأصل كانت لغة التعليم.. ولذلك كان تركيز الاستعمار في ضربته للإسلام هناك على قتل اللغة العربية أولاً.

تاريخ مرير مع الاستعمار

ولأوغندا تاريخ مرير مع الاستعمار منذ نهايات القرن التاسع عشر، فقد احتلها الإنكليز العام ١٨٦٢م، ولم تكن البلاد يومها تعرف غير الإسلام، وكان الهدف الأول لحملات الاستعمار الإنكليزي هو محو الطابع الإسلامي لتلك البلاد، بتفكيك بنية المجتمع الأساسية وتذويبها من خلال جيوش التنصير التي صاحبت الجيوش العسكرية، وقد تنبه المسلمون لذلك بعد فترة قليلة من الممارسات الاستعمارية عندما اتخذت ممارسات المنصِّرين طابعاً استفزازياً، فاحتدم الصراع بين الجانبين، وتحول إلى قتال مسلح استمر نحو عشرين عاماً، وتدخلت فيها بريطانيا بقوتها العسكرية ضد المسلمين، تحت ستار المصالحة بين الطرفين، وتمكنت بريطانيا من فرض اتفاقية مصالحة جائرة بحق المسلمين العام ١٩٠٤م سميت اتفاقية «مانجو»... ومنذ ذلك التاريخ وبمقتضى تلك الاتفاقية بدأ المسلمون رحلة من المعاناة القاسية، هددتهم في هويتهم وحريتهم، وحياتهم المعيشية والتعليمية وأوضاعهم الاجتماعية والسياسية، بل في عباداتهم الدينية... فقد وجهت تلك الاتفاقية



ضربة قاصمة إلى المسلمين في قوتهم اليومي إذ تم بموجبها تسليم كل الأراضي الزراعية الخصبة للجمعيات الكنسية، ولم تترك للمسلمين موارد زراعية غير العمل في تلك المزارع كأجراء، وخلال سبعين سنة من بدء تنفيذ الاتفاقية، كانت الكنيسة قد نفذت بهدوء خطتها تحت حماية القوة العسكرية الإنكليزية في إحداث تحولات اجتماعية واقتصادية كبيرة لصالحها... وتسارعت آليات تجويع المسلمين وإفقارهم وحرمانهم من التعليم، بينما - وعلى القدر نفسه من التسارع - تم دعم حملات التنصير حتى سقطت البلاد في براثن الحكومات والسلطات العسكرية الكنسية، وتناقص تعداد المسلمين حتى وصل إلى نسبة ١٦ في المئة من عدد السكان (١٦ مليون نسمة) وفق آخر التقديرات الحكومية الرسمية.

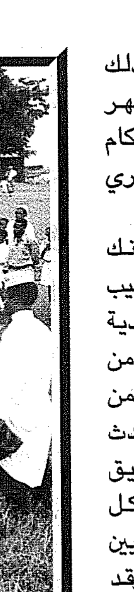
اقتحمها الاستعمار الإنكليزي العام ١٨٦٢م مع جيوش المنصِّرين الذين ضيقوا الخناق على المسلمين

وعلى الصعيد السياسي، قررت اتفاقية «مانجو» أن يكون حاكم البلاد ورئيس الوزراء ووزير المالية من أتباع الكنيسة الإنكليكانية «الكنيسة البريطانية٧ أما الوزراء فيكونون من الروم الكاثوليك، ومازال الوضع في البلاد يسير على هذا النحو إلى حد قريب.

عيدي أمين

وكان تولي الرئيس الأسبق عيدي أمين رئاسة الدولة (١٩٧١ - ١٩٧٩م) هو الاستثناء الوحيد بين الحكام الذين حكموا البلاد، وجاء عيدي أمين المسلم في فترة هيأت فيها الظروف للمسلمين بين أن تميل كفتهم، وكان أول إجراء اتخذه بعد توليه رئاسة البلاد هو إعطاء مهلة زمنية للإنكليز والصهاينة الموجودين في البلاد بالرحيل، لكن الدوائر الغربية لم تقف مكتوفة الأيدي، فشنت حرباً إعلامية ضد المسلمين في أوغندا، وضد عيدي أمين بالذات، ووصفته بأنه لا ينتمي إلى الإنسانية بصلة لانتهاكه حقوق الإنسان، وتحويله البلاد إلى جحيم، حتى «حكاية» أكله للحوم البشر... وتحت ستار هذه الحملة استجمعت كل القوى الصليبية قوتها بدعم صريح من الغرب، حتى تمت إعادة الرئيس ميلتون أبوتي المسيحي على فوهات السلاح والذي كان عيدي أمين قد أقصاه... وبمجيء أبوتي إلى السلطة دخلت أوغندا في دوامة الانقلابات العسكرية والصراعات القبلية على





الحكم، فقد أطاح جوزيف أوكيلو بعد ذلك بأبوتي، وأذاق البلاد مزيداً من القهر والاضطهاد والفقر، واستمر مسلسل الحكام العسكريين على أوغندا حتى جاء يوري موسيفيني بعد حرب أهلية دامية.

وفي أجواء الكبت السياسي والضنك الاقتصادي ظل المسلمون أصحاب النصيب الأكبر من المعاناة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ومع أنهم يشكلون ما يقرب من نصف السكان، إلا أنه تم حرمانهم حتى من بناء المساجد وإقامة الشعائر، وإن حدث السماح بذلك، فإنه يكون وسط تضييق شديد، في الوقت الذي يتمتع فيه كل أصحاب الديانات الأخرى بمن فيهم البوذيين بحرية بناء معابدهم وإقامة شعائرهم، وقد صار مشهداً مألوفاً لمن يتجول في هذه البلاد أن يرى الفرق الشاسع بين المساجد البالية المتهدمة، المفروشة بالحصر، وذات الأضواء الخافتة، والكنائس الأنيقة الجديدة التي تشع منها الأنوار... وتجسد المقارنة أكثر مجموعة المدارس التبشيرية التي زرعت خصيصاً في مواجهة المساجد والمدارس الإسلامية وإلى جوارها، حيث نرى المباني الضخمة والواسعة في مواجهة مدارس ومساجد قديمة ومتواضعة، ولمزيد من الجذب، فإن مدارس التبشير لا تتقاضى ممن يتقدم إليها من أبناء المسلمين رسوماً دراسية، كما تمدهم بالكتب والأدوات المدرسية أحياناً، في الوقت الذي تتقاضى فيه المدارس الإسلامية رسوماً باهظة لأن العملية تسير فيها بالكاد بسبب الفقر.

وقد صار من المناظر المألوفة - كما يقول الشيخ الحسيني رجب - أن يشاهد المار في الشوارع مجموعات من الدهماء الجهلة يقفون خلف أحد القساوسة وهو يقرأ ترانيم الإنجيل بأعلى صوته، ثم ينادي في الناس: هلموا إلى المسيحية!.. وفي الوقت نفسه، فإن الدعاة المسلمين يطاردون ويعتقلون، بل إن هناك عشرات المسلمات تم الزجُّ بهن في السجون وسط الأدغال بتهمة الدعوة وتعليم الأوغنديات المسلمات دينهن، وهناك واقعة شهيرة رصدتها أحد التقارير الصادرة عن إحدى الجمعيات الإسلامية - وقعت تحت أيدينا - في العام ١٩٩٢م وتم خلالها حبس خمس داعيات هن: أمينة بلجاي، وخديجة نامال، وسليمة نامبيرو، وأسيانا ميجو، ونانيتزا هاكيرا... ولعل «السيد موسى» وهو وزير مسلم سابق يعد أشهر سجين سياسي هناك، حيث تم الزج به في السجن دون تهمة اللهم إلا مطالبته المتكررة بإصلاح أوضاع المسلمين، ورفع الظلم، ورد حقوقهم السياسية والمدنية إليهم.

حرمان سياسي

وعلى امتداد قرن من الزمان، ظل المسلمون - ومازالوا - يعانون الحرمان السياسي حتى بعد الاستقلال عن الاحتلال الإنكليزي العام ١٩٦٢م، وخلت اللجنة التي شكلتها حكومة يوري موسيفيني العام ١٩٨٦م لإعداد مقترح بدستور جديد للبلاد من أي مسلم مع أنها ضمت ٢١ عضواً من كل التيارات.

كما خلت قائمة الأحزاب السياسية التي سمح بتشكيلها في البلاد من أي حزب إسلامي، في حين أن الأحزاب الموجودة على الساحة هي:

اتفاقية «دمانجو» بين المسلمين والنصارى جردت المسلمين من كل الحقوق الاقتصادية والاجتماعية

حركة المقاومة الوطنية «الحزب الحاكم».

● حزب المؤتمر الشعبي الأوغندي «بروتستانتي».

● الحزب الديموقراطي «كاثوليكي».

● حزب المحافظين «كاثوليكي».

وهكذا لم يسمح للمسلمين أصحاب البلاد الأصليين بأن يكون لهم حزب وسط هذه الغابة من الأحزاب الدينية... فقط مسموح لهم بالذوبان في الأحزاب القائمة.

وعلى العموم، فإن التعددية السياسية تعد معطلة على أرض الواقع العملي وليس هناك من صاحب حرية من الحركة سوى الحزب الحاكم «حركة المقاومة الوطنية»... وقد أكد الرئيس موسيفيني أكثر من مرة أن حزبه يتبنى الديموقراطية، لكن التعددية السياسية بمعناها الواسع لا تتناسب مع أوغندا لأنها تمزقها وأن البلاد غير مؤهلة لتعددية سياسية حقيقية قبل العام ألفين.

وليس الحال على المستوى العام في البلاد من الحال السياسية، فعلى الصعيد الاقتصادي تعاني أوغندا من تدهور حاد في مستوى المعيشة إذ انخفضت عائدات تصدير البن من مصادر الدخل الرئيسية العام ١٩٨٥م فقط من ٤٠٠ مليون دولار إلى مئة مليون، بعد أن أصيبت حركة التجارة بارتباك شديد، كما أن الخطة التي وضعتها الحكومة في أواخر الثمانينيات للنهوض

الاقتصادي أصيبت بالشلل التام، وصاحب ذلك ارتفاع نسبة التضخم وتدهور قيمة «الشلن» الأوغندي.

وعلى الصعيد الاجتماعي العام، تظل القبلية التي تنخر في عصب المجتمع تمثل مرضاً مزمناً لأوغندا مثل غيرها من الدول الأفريقية المجاورة وهي ما تلاعب بها الاستعمار كثيراً وسخرها لأغراضه وعمق جذورها في المجتمع حتى صارت تمثل قنبلة موقوتة تهدد بالانفجار في أي وقت.

لكن الأخطر من ذلك هناك طاعون «الإيدز» الذي يفترس المجتمع افتراساً كبيرا بعد أن أسقط ١,٥ مليون من الشعب طبقاً للبيان الرسمي الصادر عن وزارة الصحة الأوغندية، في يوليو العام ١٩٩٦م ومازالت خطط الحكومة عن مقاومته عاجزة.

في هذا لجو الخانق تتحرك جحافل التنصير بكل حرية مدعومة من الغرب والكنيسة لتنفيذ مخطط يقضي - وفق خططهم ودعاياتهم المعلنة - باستيعاب المسيحية لأوغندا خلال ست سنوات مقبلة، ووفقاً لبيانات مفتي أوغندا فإن الاستراتيجية في أوغندا لا تنفك عن الاستراتيجية العالمية في عموم أفريقيا وهي عدم السماح بأي حال للإسلام بأن يلعب دوراً مؤثراً من السياسة وقد سمعنا وقرأنا مراراً أن جيوش المنصرين الذين يقودهم أكثر من ألف أسقف كاثوليكي يؤكدون بكل ثقة أن عام ألفين هو عام الفخر للقارة الأفريقية دون بقية القارات!! إذ سيصبح أكثر سكانها من النصارى.

ويبقى السؤال المهم: هل استسلم المسلمون في أوغندا لهذه الموجات العاتية المتواكبة عليهم طوال هذه المدة؟!

مقومات الصمود

الواقع يؤكد أن صمود المسلمين فاق كل التوقعات، وقد كان الإيمان المركوز في النفوس منذ قرون هو عامل المقاومة الأقوى الذي ساعد المسلمين على الصمود حتى اليوم، كما أن حدوث الانفراجات خلال بعض الفترات أضاف عوامل مقاومة جديدة لصالح المسلمين، فمنذ حصول أوغندا على الاستقلال في ١٩ أكتوبر العام ١٩٦٢م، وزوال الاستعمار عنها، شهدت البلاد انفراجات استفاد منها المسلمون واستطاعوا تأسيس بعض الجمعيات والمراكز التي تقدم خدماتها للمسلمين هناك وتقوم بنشاط كبير في الدعوة للإسلام والتعليم الإسلامي ورعاية المساجد، وكانت ثمرة إنجازاتها طيبة وملموسة، ومن بين هذه الجمعيات تبرز: الجمعية الإسلامية، وجمعية مسلمي أوغندا، التي تأسست العام ١٩٦٦م، وجمعية «كاليما» الإسلامية نسبة إلى الملك كاليما، أول ملوك أوغندا الذي اعتنق الإسلام وشيد المساجد والمدارس الإسلامية، وجمعية الإخوة الدينية، وجمعية مساعدة المدارس الإسلامية، وجمعية التبليغ.



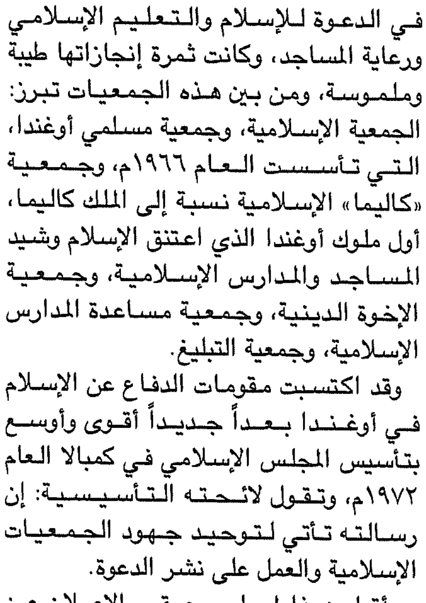
عيدي أمين الرئيس المسلم الوحيد الذي حكم البلاد واتهموه بأكل لحوم البشر!

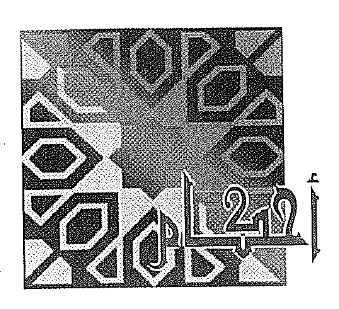
وقد اكتسبت مقومات الدفاع عن الإسلام في أوغندا بعداً جديداً أقوى وأوسع بتأسيس المجلس الإسلامي في كمبالا العام ١٩٧٢م، وتقول لائحته التأسيسية: إن رسالته تأتي لتوحيد جهود الجمعيات الإسلامية والعمل على نشر الدعوة.

وأقام هذا المجلس عقب الإعلان عن تأسيسه ثلاثة معاهد دينية لتأهيل المعلمين ومعهدين لتخريج الدعاة وعشر مدارس ثانوية وعدد كبير من المدارس القرآنية.

وتلاقى هذا النشاط الإسلامي مع الجذور الإسلامية الضاربة في أعماق الأرض الأوغندية وفي أعماق قلوب أبنائها لتزيد من صمود المسلمين على ضعفهم وفقرهم أمام مخططات التذويب، بل إنه رغم هذه الحال من الضعف مازال هناك مسلمون جدد يتدفقون على الإسلام، كما تمكن المسلمون رغم حال الخنق السياسي التي يعيشونها من إثبات أرضية لأنفسهم بدخولهم المناقشة الانتخابية البرلمانية في ١٩٩٤/٣/٢٨م، وتمكنوا من الفوز بـ٢٤ مقعداً من أصل ٢١٤ مقعداً في البرلمان... وكانوا مرشحين للفوز بمزيد من المقاعد لولا الخلاف والتفرق الذي وقع بين الأحزاب في حين اتحدت جميع الفصائل النصرانية تحت ما يسمى بـ «مؤتمر الاتحاد النصراني».

وتلك هي القضية الخطيرة ... قضية وحدة المسلمين... التي يراهن عليها الأعداء في مسيرة الصمود، ولم يكن المسلمون هناك في حاجة للتوحد والالتفاف حول راية واحدة مثل اليوم ... وخصوصاً أن البلاد تسير نحو حال اقتصادية واجتماعية وسياسية صعبة، سيكون المسلمون فيها أصحاب النصيب الأكبر من المعاناة. ■





أدب الاقتراض

بقلم: عبدالقادر محمد السباعي

ليس هناك أحد لم يتعرض في يوم من الأيام لظروف طارئة أو ضائقة عابرة حلت به ألجأته لطلب المساعدة من غيره لكي يزيل ما طرأ عليه وما حلّ به دون أن يُعرّض نفسه لذل السؤال أو إهانة الكرامة أو الشعور بالمهانة، لذلك حفظ الإسلام للناس حياءهم، وحافظ على ماء وجوههم، وأعلى كرامتهم عندما فتح باباً للمعاملات بين الناس بالمعروف، يربط الصلة بين الغني والفقير، ويؤكد أواصر المحبة بين القوي والضعيف، ويساعد على وجود الرفق في حالات العسرة والضيق، وتوافر الرحمة بين العباد في تفريج كربهم وتيسير أمورهم.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «من نفّس عن مسلم كُربة من كُرب الدنيا، نفّس اللهُ عنه كُربة من كُرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه».(١)

وبذلك يكون الإسلام قد فتح باباً من أبواب الخير على الناس في أن يتواصوا بينهم بالحق والمعروف، ويعرف مواطن المروءة والإقدام لإغاثة الملهوف وإعانة المحتاج، دون أن يتركوه يسلك مسلك الردى ومهاوي الشيطان تحت ضغط الحاجة أو حجة المكروب.

فضله

يتصور البعض أن الإقراض ليس فيه ثواب، لأن المال يعود مثلما ذهب، فلا فضل فيه ولا ثواب عليه، ولكن الأمر على عكس ذلك، فإن فضله كبير وثوابه عظيم.

عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: «ما من مسلم يقرض مسلماً قرضاً مرتين إلا كان كصدقة مرة»(٢)

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوباً، الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: كان رجل يدائن الناس، فكان يقول لفتاه: «إذا أتيت معسراً تجاوز عنه، لعل الله أن يتجاوز عنّا»، قال: فلقي الله فتجاوز عنه».(٣)

حسن الوفاء

يجب على المسلم أن يعلم أن أموال الناس ليست كلأً مباحاً يرتع فيه كيفما شاء وحيثما أراد، ولكنها مصانة ومحفوظة ولا يجوز أكلها بالباطل، أو استمراء طلبها من أصحابها فيما يستحق وما لا يستحق.

ويجب عليه أيضاً أن يحافظ على إقامة المعروف بين الناس، ولا يساعد على إشاعة القطيعة بين المسلمين، وزرع بذور الشقاق بين المؤمنين، ونزع القدر المتبقي من الثقة بين الناس، ويُعجِّل بأداء ما عليه من دين إذا حل أجل الوفاء، أو يسَّر الله عليه بالرزق، ولا يكون شأنه شأن المسوفين والمماطلين.

ولا يجوز للدائن اشتراط الزيادة في القرض، فإن ذلك من الربا المحرّم، لأن «كل قرض جرَّ نفعاً فهو ربا»(٤)، أما إذا زاد المدين شيئاً لأخيه المسلم عن رضا نفس، وطواعية فلا حرج فيه ولا مانع عنه، بل هو نوع من الاعتراف بالفضل لأهله.

عن عائشة - رضي الله عنها - قلت: يا رسول الله، إن الجيران يستقرضون الخبز والخمير، ويردون زيادة ونقصاناً، فقال: «لا بأس، إنما ذلك من مرافق الناس لا يراد به الفضل»(٥).

وسئل معاذ بن جبل - رضي الله عنه - عن ذلك فقال: سبحان الله إنما ذلك من مكارم الأخلاق، خيركم أحسنكم قضاء، سمعت رسول الله - ﷺ - يقول ذلك.

وتصديق ذلك، الواقعة التي حدثت مع رسول الله - ﷺ - فعن أبي رافع قال: استلف رسول الله - ﷺ - من رجل بَكْراً(٦) فجاءته إبل الصدقة، فأمرني أن أقضي الرجل بكراً فقلت: لم أجد في الإبل إلا جملاً خياراً رباعياً(٧) فقال النبي - ﷺ -: «اعطه إياه، فإن خيركم أحسنكم قضاء».(٨).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رجلاً تقاضى رسول الله - ﷺ - فأغلظ له فهمَّ أصحابه، فقال: «دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً، واشتروا له بعيراً فأعطوه إياه»، قالوا: لا نجد إلا أفضل من سنه، قال: «اشتروه فأعطوه إياه، فإن خيركم أحسنكم قضاء».(٩)

وعن جابر بن عبدالله - رضي الله عنه -: (كان لي على رسول الله - ﷺ - حق فقضاني وزادني)(١٠)

كتابته

ويسن كتابة الدين لقوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه)(١١).

وعن عمرو بن عوف المزني عن أبيه أن النبي - ﷺ - قال: «المسلمون عند شروطهم».(١٢)

والأمر بالكتابة هنا المراد به التسجيل والإشهاد، وقيل: المراد بالكتابة التذكير وعدم النسيان أو الجحود، وتكون الكتابة شاملة جميع الأوصاف المبينة له، المعرّفة إياه، قال الجمهور: الأمر بالكتابة ندب إلى حفظ الأموال وإزالة الريب.

الصبر على المعسر

وإذا تعرض المدين إلى ضيق وشدة، وحل عليه إعسار وكره، يستحب الصبر عليه والرفق به، وإنظاره إلى حين يأتي الفرج وتزول الضائقة والغمة، قال الله تعالى: (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة)(١٣).

وعن أبي قتادة - رضي الله عنه - أنه طلب غريماً له فتوارى منه، ثم وجده، فقال: إني معسر فقال: آلله؟(١٤) قال: آلله، قال: فإني سمعت رسول الله - رضي الله عنه - يقول: «من سرَّه أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه»(١٥).

وعن كعب بن عمر قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله»(١٦).

التجاوز عن المعسر

هناك بعض الناس تسارع إلى المعروف وتحرص عليه، وبخاصة أصحاب الهمم العالية والمروءة وأصحاب الفضل، فعندما يجدوا كريماً وقع في إعسار ليس له به طاقة، أو سقط في ضيق، أو نزل به بلاء، وما أكثر البلاء في هذه الدنيا، فهناك الغني الذي أفلس فجأة نتيجة سرقة أو نصب أو حريق أو هدم وهناك القوي الذي مرض مرضاً أقعده عن الحركة والعمل والكسب الشريف، وغير ذلك من نوائب الدهر وصروف الأيام، فإن لم تكن هذه هي فرصة الأخيار من الناس للوقوف بجوار إخوانهم، وبذل المعروف لهم وإشعارهم بأنهم ليسوا وحدهم، ولكن لهم إخوان في الدين والعقيدة، يدركون إحساسهم ويعيشون همومهم ويقفون بجوارهم في محنتهم، فمن الذي يفعل ذلك؟ ومتى تكون الشهامة والمروءة والإقدام؟

في مثل هذه الأحوال يمكن التجاوز عن الدين كله أو جزء منه، بدافع من الضمير، طواعية ودون إجبار.

عن كعب بن مالك «أنه تقاضى ابن أبي حدرد ديناً له في عهد رسول الله - ﷺ - في المسجد، فارتفعت أصواتهما، حتى سمعها رسول الله - ﷺ - وهو في بيته، فخرج إليهما رسول الله - ﷺ - حتى كشف سجف حجرته(١٧)، ونادى كعب بن مالك، قال: «يا كعب قال: لبيك يا رسول الله، «فأشار بيده أن ضع الشطر من دَينك»، قال كعب: قد فعلت يا رسول الله، قال: «قم فاقضه».(١٨)

وذهب جمهور من الفقهاء إلى تحريم وضع قدر من الديْن نظير التعجيل بالقضاء قبل الأجل المتفق عليه، بينما يرى ابن عباس وزفر جواز ذلك، لما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي - ﷺ - لما أمر بإخراج بني النضير جاءه ناس منهم، فقالوا: يا نبي الله، إنك أمرت بإخراجنا، ولنا على الناس ديون لم تحل فقال رسول الله - ﷺ -: «ضعوا وتعجّلوا».

أكل الديْن من أكبر الذنوب

لا يترك الشيطان مدخلاً من مداخل السوء إلا ويزينه لأصحاب النفوس الضعيفة والقلوب المريضة، ليوردهم موارد التهلكة ويوقعهم في أوخم العواقب ويحبط ما لهم من عمل، ويفسد ما تبقى عندهم من خير، فينفث في روعهم ويوسوس في نفوسهم أن هذا الغنى أو ذاك الميسور لديه من الأموال الطائلة والمبالغ الوافرة التي لا يؤثر فيها مبلغ بسيط أو قدر محدود، يُقترض منه ويُسوّف في دفعه، ويماطل في وفائه، حتى يدب اليأس في قلب صاحب الديْن، فيكف عن المعاقبة وينتهي عن المطالبة، وما يحدث مع هذا يحدث مع غيره وهكذا ... ولا يدري صاحب هذا الفعل الشنيع أنه فتح على نفسه باباً من أبواب الدمار وجلب لنفسه مفسدة عظيمة لا يدرك سوء عاقبتها ولا يقدر سوء خاتمتها.

عن أبي قتادة - ﷺ - قال: «قال رجل: يا رسول الله أرأيت إن قُتلت في سبيل الله صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر، يكفّر عني خطاياي؟ فقال رسول الله - ﷺ -: نعم، فلما أدبر ناداه فقال: «إلا الدين كذلك قال جبريل».(١٩)

وعن أبي هريرة - ﷺ - عن النبي - ﷺ - قال: «من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله».(٢٠)

وكان من عادة الرسول - ﷺ - السؤال عند صلاة الجنازة عن حال المتوفى من الديْن وهل خرج من هذه الدنيا نظيفاً من هذه الأدران، سليماً من هذه الأعمال، ولم تعلق في ذمته شيئاً من هذه الأموال، فإن كانت صفحته نقية وعمله طاهراً وحافظ على نفسه من أن يصيبها من أموال الناس شيئاً صلى عليه، واستغفر له (وصلِّ عليهم إن صلاتك سكن لهم)(٢١)، وأما إن كان من الذين ولغوا بغير خوف ورتعوا بغير وجل، وأكلوا ما لا يحل لهم، أعرض عنه وابتعد عنه.

عن أبي هريرة - ﷺ - قال: «رسول الله - ﷺ - كان يؤتى بالرجل الميت عليه الديْن فيسأل «هل ترك لدينه من قضاء؟ فإن حُدِّث أنه ترك وفاء صلى عليه، وإلا قال: «صلوا على صاحبكم» فلما فتح الله عليه الفتوح قام فقال: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفي وعليه دين فعليَّ قضاؤه، ومن ترك مالاً فهو لورثته».(٢٢)

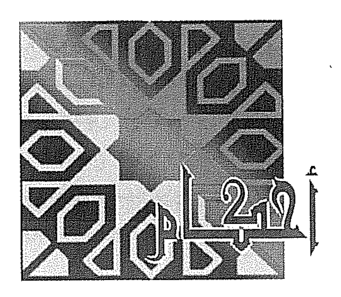
وعن البراء بن عازب - ﷺ - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «صاحب الديْن مأسور بدينه(٢٣) يشكو إلى ربه الوحدة يوم القيامة».(٢٤)

وعن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - «أن رسول الله - ﷺ - قال: «يُغفر للشهيد كل ذنب إلا الديْن»(٢٥).

وعن أبي موسى الأشعري - ﷺ - عن النبي - ﷺ - قال: «إن أعظم الذنوب عند الله أن يلقاه بها عبدٌ بعد الكبائر التي نهى الله عنها، أن يموت رجلٌ وعليه ديْن لا يدع له قضاء»(٢٦) ■

الهوامش:

١ - رواه مسلم وأبو داود والترمذي.
٢ - رواه ابن ماجة وابن حبّان.
٣ - متفق عليه.
٤ - هذه القاعدة صحيحة شرعاً، وإن لم يثبت فيها حديث، والحديث فيه عن على إسناده ساقط، قال الحافظ وله شاهد ضعيف عن فضالة بن عبيد عند البيهقي، وآخر موقوف عن عبدالله بن سلام عند البخاري.
٥ - المقصود ربا الفضل.
٦ - البكر هو الثني من الإبل وهو بمنزلة الفتى من الناس.
٧ - المختار الذي قضى ست سنوات ودخل في السابعة.
٨ - رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن.
٩ - متفق عليه.
١٠ - رواه أحمد والبخاري ومسلم.
١١ - البقرة: ٢٨٢.
١٢ - رواه أبو داود وأحمد والترمذي والدارقطني.
١٣ - البقرة: ٢٨٠.
١٤ - الهمزة الأولى ممدودة على الاستفهام، والثانية من غير مد، والهاء فيها مكسورة.
١٥ - رواه مسلم.
١٦ - رواه مسلم.
١٧ - الستر الذي يفصل بين المسجد والبيت.
١٨ - متفق عليه.
١٩ - رواه مسلم.
٢٠ - رواه البخاري.
٢١ - التوبة: ١٠٣.
٢٢ - رواه مسلم.
٢٣ - محبوس.
٢٤ - رواه في شرح السنة.
٢٥ - رواه مسلم.
٢٦ - رواه أحمد وأبو داود.





جريمة الزنى

بقلم: محمد يوسف الجاهوش

لقد أقام الإسلام مجتمعه على أسس خلقية متينة، وجعله مجتمعاً عفاً، نظيفاً محصّناً من الرذائل، وفعل السوء.

قضى على أسباب الفاحشة، وكل ما يغري بها أو يسهل ارتكابها، فحرّم التبرج، وإبداء الزينة لغير المحارم، وحرّم دفع الفتيات إلى البغاء، وأمر المؤمنين والمؤمنات بغض البصر، وصون السمع.

رغّب في الزواج وحثّ عليه، وأوجبه على من يحتاج إليه، ووجه أبناءه نحو تسهيل مهام الزواج، وتيسير شأنه، وتذليل كل عقبة تقف في طريق راغبيه، من غلاء في المهور، وغير ذلك، حتى يتسنى لكل شاب وشابة الارتباط النظيف - كما شرعه الله - سبحانه وتعالى - وإقامة حياة زوجية مستقرة وادعة.

حرّم الزنى، وجعله من أكبر الفواحش وأسوء الأعمال قال تعالى: (ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً) الإسراء:٣٢، ووصف عباد الرحمن بأنهم: (لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلا بالحق ولا يزنون) الفرقان:٦٨.

وبذلك تُصان الأنساب، وتحفظ الأعراض، وتسود الأخلاق الفاضلة، ويمسي الرجل ويصبح في مجتمع تظلله الفضيلة، ويأمن فيه على نفسه، وعرضه، وشرفه، ومقومات حياته.

فإذا أتى بعد هذا كله من يريد الخروج عن جادة الإسلام القويمة، وشرعة الله التي وضعها لعباده، فلا يبالي بخلق، ولا يتقيد بشرع، ولا يرعى لأعراض الناس وأنسابهم حرمة، فيرتكب جريمة الزنى، فإن الإسلام وضع له العقاب العادل الرادع، جزاء ما فرّط في جنب الله، وفي حق مجتمعه وأمته.

عقوبة الزنى

قال تعالى: (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) النور:٢.

لقد أوضحت الآية الكريمة أن حد الزنى مئة جلدة مؤلمة، وأنه لا رأفة على من استحقها، وتوقع عليه في ملأ من الناس، ليجتمع له الإيلام النفسي مع الإيلام الجسدي، وليكون ذلك ردعاً لمن تسوّل له نفسه ارتكاب مثل هذا العمل الشنيع.

ولم تفرّق الآية بين الزاني المتزوج وغير المتزوج، وقد وضحت سنة الرسول - ﷺ - أن هذه العقوبة التي في الآية الكريمة خاصة بمن زنى وهو غير محصن، وأن عقوبة الزاني المحصن إنما هي الرجم حتى الموت، قال رسول الله - ﷺ - : «البكر بالبكر: الجلد وتغريب عام، والثيب بالثيب: الرجم».(١)

وقال: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه، المفارق للجماعة».(٢)

وقد رجم رسول الله - ﷺ - وأمر أصحابه بالرجم، وممن رجمهم الرسول ﷺ:

١ - ماعز والغامدية.
٢ - العسيف وصاحبته.
٣ - الجهنية.
٤ - اليهودي واليهودية.

وكذلك رجم خلفاؤه الراشدون من بعده: أبو بكر، وعمر، وعلي، وهمّ عثمان بالرجم، لكنّه توقف لنكول أحد الشهود.

وأعلن عمر - رضي الله عنه - من على منبر رسول الله - ﷺ - أن الرجم حق على من زنى وهو محصن: من الرجال والنساء إذا قامت البينة، أو اعترف بزناه.

وهكذا نجد أن الرجم قد طبقه الرسول - ﷺ - وخلفاؤه الراشدون من بعده، فلا يغرنك ما يُثار من اعتراضات وشكوك حول هذا الحكم الإلهي.

ولقد شدد الإسلام في عقوبة الزنى، تماشياً مع بشاعة هذه الفعلة النكراء وكثرة مضارها: الخلقية، والدينية، والاجتماعية.

إن الإسلام وهو يضع العقوبة الصارمة الحاسمة لم يغفل الدوافع الفطرية أو يحاربها، ولم يغفل الوظائف الطبيعية التي ركبها الله - تعالى - في بني البشر، وإنما أراد محاربة النزعة الحيوانية التي همهما الجسد وملذاته.

وبنظرة واعية، نرى أن الإسلام حين جعل العلاقة الجنسية بالصورة التي هي عليها، إنما هدف إلى بناء بيت حصين، وإنشاء حياة مشتركة، على أساس المشاعر الراقية، والآلام المشتركة، وبناء جيل متين، يحمل على كاهله تبعات الإنسانية كلها.(٣)

ولا غرابة أن تكون عقوبة المحصن أشد، لأن الذي سبق له مباشرة الزوجة في نكاح صحيح - وهو مسلم بالغ عاقل - يكون قد عرف الطريق النظيف، فإن عدل بعد ذلك لغيره كان دليلاً على حبه للذة المحّرمة، واستهتاره بحرمات الناس وأعراضهم، واستخفافه بأمر الله.

فوجب أن توضع له عقوبة فيها من شدة الإيلام وقوة التأثير ما يجعله يفكر كثيراً قبل إقدامه على الزنى - بخلاف البكر الغرّ الذي قد يندفع تحت ضغط الميل الجنسي وهو غافل عما لفعلته النكراء من أضرار جسيمة، وعواقب وخيمة.

شبهات ودحضها

ويحاول بعض الناس اليوم أن يشنعوا على الإسلام تقريره لهذه العقوبة، وهو قول لا تؤمن به قلوبهم، فلو رأى أحدهم ابنته أو امرأته ترتكب هذه الفاحشة لم يك تاركها وصاحبها يمشيان على الأرض إن هو تمكن من ذلك.

ويقول بعضهم الآخر: إن في هذه العقوبة قوة وشدة! وفاتهم أن الرجم بالحجارة إن هو إلا القتل ليس غير، وأن جميع قوانين العالم تبيح القتل جزاء لبعض الجرائم، فأي فرق بين أن يُقتل الرجل بالرصاص، أو الصعق، وبين أن يُقتل آخر رمياً بالحجارة؟

إن النتيجة واحدة بلا شك، بل إن الموت إذا تجرد من الألم والعذاب، كان أتفه العقوبات.

وأكثر الناس لا يخافون الموت لذاته، وإنما يخافون ما يصحبه من ألم وعذاب، وليس من مصلحة المجتمع أن يفهم أصحاب العقوبة هينة، لا تؤلم، ولا تدعو للخوف.

ولقد كان لعقوبة الزنى التي جاء بها الإسلام كبير الأثر في محاربة هذه الجريمة في كل زمان ومكان.

وقد نشأ عن تطبيق هذه العقوبة مجتمع صالح، يقوم على الخلق والفضيلة، ولا عجب، فقد جمع الإسلام بين الأساليب الوقائية والعقوبات الجزائية الرادعة.

وبنظرة فاحصة إلى عقوبة الحبس التي قررتها القوانين الوضعية لجريمة الزنى - يتضح الفرق جلياً بين العقوبتين.

فإن المجتمعات التي تطبق القوانين الوضعية يضج أفرادها من آثار الزنى الخطيرة، التي تهدد كيان مجتمعاتهم بالدمار والفناء، وكثير من مجتمعاتنا الشرقية أعرضت عن تطبيق الإسلام، واتجهت إلى القوانين الوضعية، لكن سلطان الإسلام لم ينحسر عن القلوب، ولا يزال مهيمناً على النفوس، مما كان سبباً في مخافة الله وتقواه، وحاجزاً منيعاً ضد الوقوع في هذه الجريمة، على أن عدم تطبيق الإسلام نتج عنه انتشار هذه الجريمة بلا شك، وإن كان بنسبة ضئيلة، ويتضح هذا من المقارنة بين المجتمعات التي تطبق عقوبة الرجم أو الجلد على الزناة - وهي بالطبع المجتمعات الإسلامية - وتلك التي تنصرف عن تطبيق هذه العقوبة إلى غيرها.

ولقد حرص الإسلام على ألا تشيع الفاحشة في الذين آمنوا فشدد في ثبوت هذه الجريمة تشديداً لم يشدده في جريمة أخرى.

قال تعالى: (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) النور: ٤.

إن هذا التشديد في عدد الشهود يظهر لنا حرص الإسلام على أعراض الناس وسمعتهم، وحرصه على طمس معالم الفاحشة، لأن انتشار التهم وكثرة سماع الناس لها يوحي إلى النفوس المتحرجة من ارتكاب هذه الجريمة أن جو الجماعة المسلمة كله ملوّث، وأن الفاحشة شائعة ومنتشرة بين الأفراد، فتهون في حسّ ضعيف الإيمان بشاعتها، ويستسهل فعلتها مادام كثير غيره يقدم عليها، فيما يتراءى له.

سقوط عقوبة الزنى:

وتسقط العقوبة عن الزاني إذا رجع عن إقراره، أو عدل أحد الشهود عن شهادته، فالرسول - ﷺ - أمرنا أن ندرأ الحدود بالشبهات، وأن نجنب المسلمين الحدود ما وجدنا إلى ذلك سبيلا، بل من واجب الحاكم أن يوحي لمن يريد الإقرار بالزنى أن يستر نفسه، ويتوب لربه، ولا يتعجل العقوبة، تأسياً برسول الله - ﷺ - فقد قال لماعز: لعلك قبّلت؟ لعلك لا تدري ما الزنى؟

موقف الأمة من الزناة

أمر الله المسلمين أن يتخذوا من الزناة موقفاً حازماً صارماً، بحيث يُعزلون عن جسم الأمة عزلاً تاماً، ليذوقوا وبال أمرهم، ويشعروا ببشاعة فعلتهم، وما اقترفوه.

لذا، فقد حرّم الله على العفيف نكاح الزانية، وحرّم على العفيفة التزوج من الزاني، وقد اعتبر القرآن الكريم مرتكب هذه الفعلة القبيحة خارجاً عن إيمانه، وبذلك أسقط حرمته.

قال تعالى: (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحُرِّم ذلك على المؤمنين) النور: ٣.

فالزاني عندما أتى ما أتى خرج عن دائرة الإيمان، وانعدمت لديه مشاعر المؤمنين «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» رواه مسلم.

وحريٌ بالنفس المؤمنة ألا ترتبط - في نكاح - بنفس خرجت عن إيمانها، لأنها تنفر من هذا الرباط وتشمئز.

ويستمر هذا التحريم قائماً حتى يتوب الزاني ويؤوب إلى الله، وباب التوبة مفتوح، يدخل منه كل من أراد العودة إلى ربه ودينه، لا يصد عنه قاصد، ولا يُغلق في وجه لاجئ، أياً كان ذنبه أو إثمه.

فإذا ما حصلت هذه التوبة عاد الجاني إلى جسم أمته، وطهّرته توبته من الدنس الذي انتكس فيه، وقبلته الجماعة عضواً في جسمها، لا يُعيَّر بفعلته، ولا يذكّر بجريمته، ولا يهوّن من شأنه بحال من الأحوال.

مما سبق يتضح لنا: أن الإسلام أقام مجتمعه على الطهر والنظافة، والخلق والتقوى، ووضع الأسباب الواقية من الانحدار في حمأة الرذيلة، وجعل للعلاقة الجنسية طريقاً عفاً طاهراً، وهيأ للأفراد كل سبب يحقق لهم ذلك، ثم وضع بعد ذلك العقوبات لمن شذ طبعه، وخبثت طويته، واختار طريق الدنس والفساد.

ومع ذلك لم يقفل الإسلام باب التوبة أمام كل عاص أو ضال أو مستهتر، بل جعله مشرعاً يلجه من أراد، متى أراد، دون وسيط أو شفيع «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها» رواه مسلم.

فالذين يظنون أن الساحات والميادين العامة ستضيق بجماعات المرجومين والمجلودين - متى طُبقت عقوبة الزنى - مخطؤون واهمون.

«فالإسلام لا يأخذ الناس بالقانون وحده، إنما يصلت سيف القانون ليرتدع من لا يردعه إلا السيف، أما اعتماد الإسلام الأول فعلى تربية القلب، وتقويم الطبع، وهداية الروح، إلى جانب إقامة المجتمع الذي تنمو فيه بذرة الخير وتزكو، وتذبل فيه بذرة الشر وتذوي».

وما الناس بعد هذا إلا أحد رجلين:

جاهل بدينه، فسبيله أن يتفقه فيه.

وحاقد على شرع الله، فويل له مما هو ملاقيه.

فاحذر أيها المسلم الوقوع فيما حرَّم الله تعالى، لتنال رضاه، وحافظ على نفسك، وخذ بزمامها نحو بارئها، واحرص على أن تدل غيرك على طريق الهداية، ليكون لك ثواب عملك، ومثل ثواب من أرشدت.

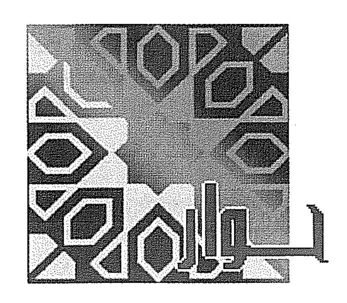
سدد الله الخطى، وحفظ الجميع، والحمد لله رب العالمين ■

الهوامش:

١ - وفي كتاب الحدود من صحيح مسلم، من حديث عبادة بن الصامت: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: البكر بالبكر: جلد مئة وتغريب عام، والثيب بالثيب: جلد مئة والرجم»، ويرى بعض الفقهاء أن يجلد الزاني المحصن بالزواج ثم يرجم.

٢ - رواه الستة، راجع جمع الفوائد ج١ ص ٧٢٣.

٣ - انظر التشريع الجنائي - للأستاذ عبدالقادر عودة ج(١).



يعد الأستاذ حسن عزوزي من المفكرين الباحثين والعلماء الشباب الذين سخروا قلمهم للدعوة وللذود عن الدين الإسلامي الحنيف، وذلك من خلال ما ينشره من مقالات حول قضايا الإسلام والمسلمين في عدد من الجرائد والمجلات العربية.

ولا شك أن قراء الوعي الإسلامي «يعرفونه من خلال المقالات التي ينشرها من حين لآخر في هذه المجلة، وقد ارتأيت أن أجري معه هذا الحوار حول جوانب متعددة من قضايا الإسلام والمسلمين.

الدكتور حسن عزوزي في حواره مع مجلة الوعي الإسلامي

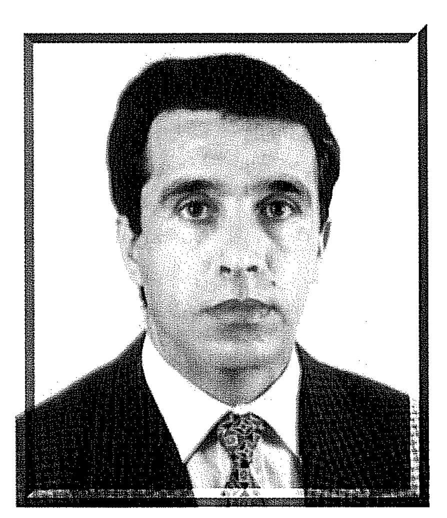
روح الإسلام تنسجم مع مبدأ الحوار ومجادلة الآخر

● بصفتكم أستاذ في كلية الشريعة التابعة لجامعة القرويين العريقة، أوجو أن تعرفونا بالدور الثقافي والإشعاعي لهذه الجامعة؟

– جامعة القرويين كما يعلم الجميع تعتبر من أعرق الجامعات الإسلامية، وقد كانت خلال تاريخها المجيد قائمة بدورها الإسلامي الكامل في خدمة علوم الشريعة والحفاظ على التراث الثقافي والفكري الإسلامي، هذا فضلاً عن الإسهام الفعّال في التطور الاجتماعي والحضاري لبلاد المغرب الأقصى، لم تكن جامعة القرويين حصنا للعلم والمعرفة فحسب، بل كانت قلعة من قلاع مقاومة الاستعمار وتكريس مفهوم الجهاد والنضال، فلا غرو إذاً أن يكون علماء الجامعة مناضلون ومجاهدون قد أوذوا في سبيل الله وعذبوا ونُكل بهم.

أما الإشعاع الثقافي والفكري كما جاء في سؤالكم فيتمثل في تلكم الأفواج الهائلة من العلماء الأفذاذ الذين تخرجوا فيها وعادوا إليها مدرّسين ومفتين، ناهيك عن المؤلفات والشروح والحواشي المختلفة التي أنضجتها قرائحهم والتي تزخر بها خزانة القرويين وغيرها من الخزانات المغربية.

وجامعة القرويين في العصر الحاضر ومن خلال كلياتها الأربع تمد الثقافة الإسلامية برصيد مهم وحظ لا بأس به، فعلماؤها وأساتذتها يعملون من خلال التدريس



● الأستاذ الدكتور حسن عزوزي

أجرى الحوار : سومع عبدالسلام

الجامعي على المحافظة على الارث الثقافي والفكري الذي تركه العلماء الأوائل، وذلك من خلال التركيز على أهمية اجتهاداتهم وفتاويهم والعمل على نشرها ومقارنتها بغيرها من اجتهادات العلماء المشارقة، ولعل في هذا الدور الذي تقوم به الجامعة ما يكفل لها إشعاعاً متميزاً وذا خصوصيات، بيد أن الذي تدعو إليه ونحن نحرص على أن يكون للقرويين إشعاع أوسع وتواصل أفضل مع محيطها الاجتماعي والثقافي هو نوع من التجديد والانفتاح والعمل على تطوير آليات ومناهج الدراسة والتدريس مما يساعد حتماً على أداء وظيفة الجامعة التعليمية على أحسن الوجوه وأكملها مع التطلع دوماً إلى مزيد من الفعالية المنتجة والمسؤولية الهادفة والإسهام الكامل في إنتاج المعرفة الإسلامية الصحيحة.

● حبذا لو حدثتمونا عن إنتاجكم الفكري؟ وما الأسباب التي حفّزتكم إلى اختيار الإسلام والغرب ... والاستشراق كموضوعات لاختصاصكم العلمي والجامعي؟

– لعل أكثر حافز دفعني إلى اختيار موضوع علاقة الإسلام بالغرب مجال اهتماماتي البحثية بالإضافة إلى تخصصي في القرانيات هو ما يلاحظه كل مهتم ومتتبع من تحامل الغرب الشديد على الإسلام دينا وحضارة وهو ما يتضح بجلاء من خلال العمل على تشويه صورة الإسلام ومحاولة تمييع مبادئه وتعاليمه ومثله وبث عوامل التخويف والترويع منه، لقد أصبح الإسلام يشكل إزعاجاً للغرب ولذلك يتهمه بأنه دين العنف والإرهاب ودين التخلف والانحطاط إلى غير ذلك من الإسقاطات المغرضة التي نبرئ الإسلام منها.

لذلك وجب الانتباه والاهتمام لهذا الأمر والبحث عن أسباب التهجم الغربي وتحامله الشديد على الإسلام، وذلك من أجل العمل على إيجاد سبل ووسائل تحسين صورة الإسلام وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي تروّج عنه ولعل أبرز قاعدة يستند إليها

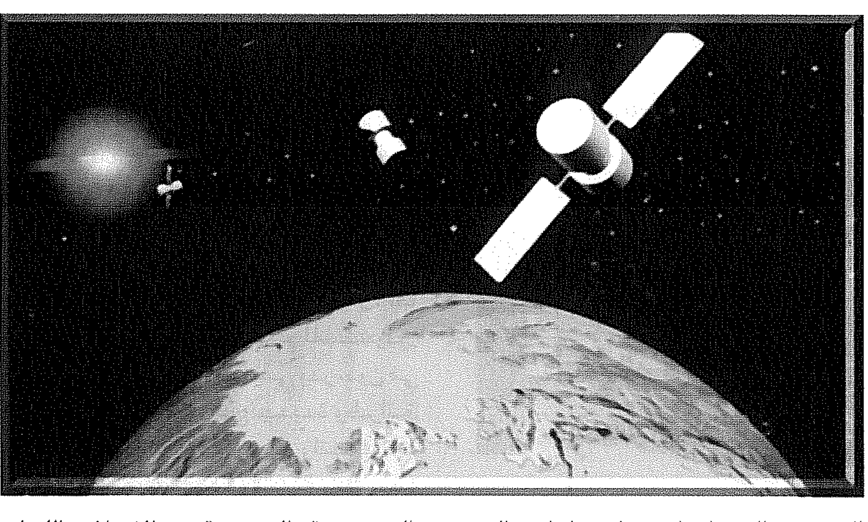
الغرب بجميع مؤسساته الإعلامية والثقافية وغيرها من أجل تشويه صورة الإسلام هي قاعدة المنظومة الاستشراقية التي يتغذى من أطاريحها ونظرياتها، ومعلوم أن الاستشراق قد سخر كل آلياته وإمكاناته من أجل تقديم الإسلام للغربيين في صورة قاتمة ومظلمة.

لذلك باتت دراسة الاستشراق وخلفياته ومناهجه ومدارسه المختلفة أمراً ملحاً على الباحث في الإسلاميات، وهذا ما دفعني إلى تخصيص كثير من أبحاثي ودراساتي لهذا الموضوع البكر إلى حد ما، ونحن لا نعتبر الاستشراق شراً كله، فهناك مجالات الفهرسة والتكشيف والبليوغرافيا، وبحث معالم الحضارة الإسلامية، مما أجاد فيها القوم ووضعوا لنا فيها كتباً مفيدة لا يمكن للباحث الاستغناء عنها، نذكر منها على سبيل المثال: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، الذي وضعه لفيف من المستشرقين في أواسط هذا القرن، وكتاب تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان وغيرهما... بيد أن دراسات هؤلاء الباحثين المرتبطة بأصول التشريع الإسلامي من قرآن وحديث وفقه وسيرة قد طالها كثير من التشويه والتحريف.

أما عن إنتاجي الفكري في هذه المجالات فهو ينحصر بالأساس في مجموعة لا بأس بها من الأبحاث والدراسات المنشورة في المجلات والدوريات والجرائد العربية وأشير هنا إلى صدور كتاب منذ بضعة أشهر يحمل عنوان: «الإسلام والغرب» قضايا ومواقف، واشتغل الآن في موضوع الحوار بين الإسلام والغرب.

● إن الغربيين يخافون من الإسلام ويحاربونه بجميع الوسائل ويشوهون صورته الحقيقية، ما الأسباب، وما الطرق التي يكمن بوساطتها استئصال هذه الصورة المشوهة للإسلام والمسلمين في ديار الغرب؟

– نعم إن الغربيين يخافون من الإسلام، ولذلك فهم يُخَوِّفون منه، وقد أصبحت سياسة التخويف من الإسلام ظاهرة ملفتة للانتباه، حيث توالت الصيحات والنداءات التي تحذر الغربيين من خطورة الإسلام وسرعة انتشاره معتبرين إياه عدواً جديداً قد حل محل العدو الشيوعي الذي انهار وتهافت، لذلك فالغرب يحاول تشويه صورة الإسلام بكل الوسائل المتاحة له، ولعل أبرزها وسائل الإعلام الغربية المكتوبة والمرئية والمسموعة وهي ما تمتلكه من قدرة على الانتشار وقوة الجذب والتأثير واستطاعت أن تجعل الصورة النمطية المشوهة عن الإسلام ضمن اهتمامات الإنسان الغربي حتى أصبحت وخصوصاً في أوقات الأزمات السياسية والاجتماعية حديث المجالس والمنتديات الشعبية وهنا تكمن الخطورة الجسيمة للدور الذي تقوم به التغطية الإعلامية الجماهيرية في الغرب، من أجل ترسيخ الصورة النمطية المشوهة للإسلام في مخيلة الفرد الغربي، ولبلوغ هذا الهدف يتنافس المطبوع والمرئي والمسموع من أجل التركيز المغالي على كل ما قد يبدو غريباً في الإسلام في زعم الغربيين.



أما عن الأسباب التي تدفع الغرب إلى تشويه صورة الإسلام، فتتجلى أساساً في الحقد الدفين الذي يضمره للإسلام كدين ما فتئ يكتسح الديار الغربية نفسها ويستقطب مزيداً من الاتباع فهو في تصورهم ينافس الديانة النصرانية وقد يتجاوزها في وقت من الأوقات، ثم هناك أسباب قديمة تعود إلى أيام الحروب الصليبية وأوقات الصراع الذي كان يجمع بين أتباع الديانتين، أما عن الطرق التي يمكن بوساطتها القضاء على هذه الصورة المشوهة للإسلام، فهي كثيرة لا تتطلب سوى تقوية العزائم وشحذ الهمم وتوفير الطاقات والإمكانات، يجب التفكير مثلاً في حسن استغلال وسائل البث الفضائي بقصد تقديم برامج عن الإسلام والمسلمين تبين الصورة الصحيحة والحقيقية عن الإسلام باللغات الأجنبية، وهناك أيضاً ضرورة ربط جسور الحوار والتواصل مع المؤسسات الإعلامية الغربية التي تعتبر المنتج الرئيسي لتلك الصورة المشوهة عن الإسلام وهذا يعني أن وزارات الإعلام في بلداننا الإسلامية يجب عليها أن تعني بخطورة هذا الأمر، ومن ثم تقوم بواجبها في إقناع الإعلام الغربي بضرورة التخلي عن سياستها التحاملية تجاه الإسلام، وهذا أمر متاح عن طريق اتفاقات التعاون بين الجانبين.

● يقال: إن الاستشراق هو المصنع الفكري الذي يغذي المنصّرين والمستعمرين والغزو الفكري الرجاء تحليل هذا لقول؟

– هذه مقولة كانت تصدق على أهداف الاستشراق قبل حدود العقود الثلاثة الأخيرة، فمع انحسار الاستعمار أصبح الاستشراق يتشكل في قوالب جديدة ويهدف إلى الغايات والأغراض نفسها، لكن بطرق مغايرة، فالتنصير مثلاً لا يزال موجوداً وربما بحدة أكبر مما كان عليه في الماضي، لكن لم تعد للاستشراق صلة به إلا بقدر ضئيل، لأن المؤسسات التنصيرية اليوم مستقلة بنفسها، لها دعاتها ومنظروها وطرقها الخاصة في استمالة الناس إلى النصرانية والتبشير بها.

أما الغزو الفكري، فصحيح أن الاستشراق لا يزال يغذي هذا التيار بأطاريحه ونظرياته، والاستشراق ذاته ليس إلا شكلاً من أشكال الغزو الفكري المغرض والمتسلط أنه يبتغي فرض معرفة جديدة عن الإسلام قوامها

التشويه والتحريف وملؤها الطعن والافتراء.

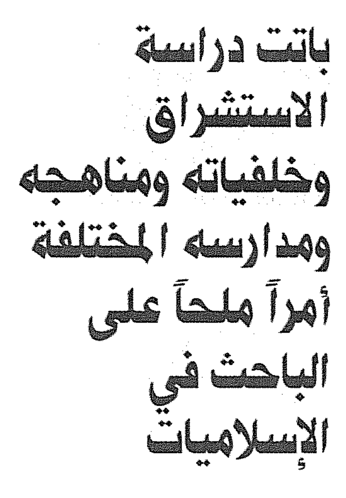
فالمقولة التي استشهدتم بها إذاً كانت تنطبق على واقع معين فيما .... كان فيه المستشرقون يسهمون في الحملات التنظيرية ويرافقون دعاتها، وحاملي ألويتها وقد يرافقون أيضاً الحملات العسكرية، كما كان الشأن في حملة نابليون على مصر، والتي استعان فيها بعصبة من المستشرقين، أما الآن، فقد توجهت أنظار وهمم المستشرقين نسبياً نحو المجال الأكاديمي يدرسون في إطاره الإسلام بمناهج جديدة وطرائق متباينة، مما جعل مدارسهم واتجاهاتهم تتفاوت من حيث الجدة والجدية ومن حيث التزام الموضوعية والحياد والنزاهة.

● يقول المستشرق هانس دابير: إن إسهامات المسلمين في المجال العلمي والثقافي لم تعد كبيرة وتكاد تكون مقصورة على تقوية الوعي الأخلاقي لدى الأفراد. إلى أي حد يصح هذا الزعم؟

– هذا زعم خاطئ، يُراد به التمويه والتعمية واتهام الإسلام بأنه السبب في تخلف المسلمين ونكوصهم عن الإبداع في المجالات العلمية والفكرية واقتصارهم على المجالات الروحية والأخلاقية، وهذا الزعم يندرج في إطار نظرية عامة مفادها أن الإسلام ضد العلم.

وقد ظهرت منذ أكثر من قرن عندما نادى الفيلسوف الفرنسي رينان من خلال محاضرة شهيرة له «أعتقد أنها كانت العام ١٨٨٤» تحت عنوان: «الإسلام والعلم» اتهم فيها الإسلام بأنه ضد العلم، ولا يتلاءم معه، وقد رد عليه وقتئذ كل من جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ونقول لهذا المستشرق وغيره ما فعلتم بتراث الإسلام الخالد في شتى العلوم التي برع فيها كبار علماء الإسلام في الطب والفيزياء والرياضيات وغيرها؟

أين هم من كتب ونظريات ابن سينا والرازي وابن رشد والخوارزمي وابن النفيس وغيرهم، ألم تكن كتبهم وأبحاثهم العلمية منارات مشعة في سماء الغرب الذي اقتات لقرون عدة من الزمان من موائدها بعدما استفاق من سبات عميق مترجماً إلى مختلف



لغاته واستفاد منها، فكانت بذلك الأساس الذي لا ينكسر في الإقلاع الحضاري والنهضة العلمية اللذين شهدهما الغرب في عصر النهضة وهذه أمور أصبحت مسلمة لا ينكرها عقلاء الغربيين، فهم يعترفون بذلك ويقرون بأن إسهامات المسلمين في المجالات العلمية كان لها شأن عظيم وفضل عميم على التطور العلمي في الغرب.

● تنظر الديانات بعضها إلى بعض نظرة سلبية وبخاصة نظرة الغربيين إلى الإسلام. هل يمكن للحوار الإسلامي المسيحي الذي يعقد من حين لآخر أن تكون له نتائج إيجابية تخدم الإسلام والمسلمين؟

– قضية الحوار الإسلامي المسيحي من القضايا المثيرة للجدل في الآونة الأخيرة وهي قضية ترتبط بعلاقات الإسلام بالغرب بصفة عامة، وهي تثير ولا تزال كثيراً من تضارب الآراء بين مناصر ومعارض، إلا أن

باتت دراسة الاستشراق وخلفياته ومناهجه ومدارسه المختلفة أمراً ملحاً على الباحث في الإسلاميات

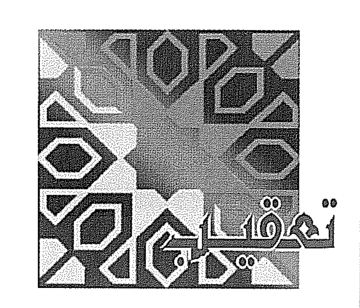
حقيقة الأمور وواقعها لا يمكن أن تظهر في غياب إدراك تام ووعي كامل بملابسات وحيثيات انعقاد مثل تلك المؤتمرات واللقاءات ذلك أن المسألة ليست مرتبطة بمبدأ قبول المشاركة أو رفضها بقدر ما هي مرتبطة أساساً بمعرفة ظروف وحيثيات انعقاد اللقاء وخلفيات الجهة القائمة بتحضير وترتيب أعمال اللقاء، وكذا معرفة طبيعة الأطراف المشاركة ثم التأكد من مدى الاستفادة التي يمكن أن يجنيها الطرف الإسلامي المشارك، وهي الاستفادة التي يؤمل أن تكون عبارة عن تحقيق نتائج إيجابية تخدم الإسلام والمسلمين.

مبدئياً يمكن القول إن الإسلام دين الحوار فهو دعوة سلمية محضة ودعوة إلى الله بالتي هي أحسن (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) النحل:١٢٥.

لذلك جاءت الدعوة إلى الحوار في القرآن الكريم والمبادرة إليه من جانب المسلمين قال تعالى: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) آل عمران: ٦٤.

ولهذا نجد أن روح الإسلام السمحة والمرنة تنسجم أتم الانسجام مع مبدأ الحوار ومجادلة الآخر وفق شروط معينة وضوابط مقررة لا تسمح بالتنازل عن أدنى مبدأ من مبادئ ديننا الحنيف أو الانسياق وراء بعض الشعارات الزائفة والمضللة التي أصبح ينادى بها في بعض اللقاءات الإسلامية المسيحية المحسوبة على الإسلام.

فالحوار الإسلامي المسيحي إذاً كفيل بأن يحقق نتائج ملموسة إذا التزم كل طرف بآداب الحوار وشروطه مع الاستعداد التام لتقبله آراء الطرف الآخر وتفهمها جيداً، فمثل تلك اللقاءات الحوارية كفيلة بأن تكرس توحيد الجهود من أجل وضع أسس التعايش بين الأقليات الدينية في مختلف البلدان، وكذا العمل على تقوية الجانب الروحي والأخلاقي لدى الشعوب، ناهيك عن الاسهامات الفعالة في التخفيف من حدة التوتر والصراع بين الإسلام والغرب. ■



حول موضوع الإدارة الإسلامية

بقلم: أحمد عبدالعظيم محمد

طالعت - باهتمام - في العدد ٣٩٤ (جمادى الآخرة ١٤١٩هـ) دراسة الأستاذ مطلق القراوي تحت عنوان «الإدارة الإسلامية»... وإذ أشكر لمجلتكم الغراء الاهتمام بهذا المجال الحيوي الذي لا يزال بكراً في حاجة إلى التنقيب عن كنوزه فإنه ليسعدني كباحث إسلامي في مجال الإدارة أن أشارك في جهودكم التنويرية بمقال حول الموضوع نفسه لعله يجد لديكم القبول.

(أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون) سورة الزخرف:٣٢ صدق الله العظيم.

الإدارة من أهم العلوم التي تسهم في إقامة الحضارات وتنظيم المجتمعات، ويذهب بعض المفكرين إلى أننا نعيش الآن في «عصر الإدارة»... ولو أن مجتمعاً توافرت له كل مقومات النجاح المادية والبشرية ولم يجد إدارة ناجحة توظف هذه الإمكانات في تحقيق أهدافه فلن يلحق بركب التقدم... بل ربما ضاعت دون جدوى.

فما الإدارة؟

الإدارة كما يراها كثير من المفكرين هي عملية إنسانية مستمرة تعمل على تحقيق الأهداف المطلوبة باستخدام الجهد البشري وبالاستعانة بالموارد المادية المتاحة، وهي في ظل هذا الفهم تشمل مجالات كثيرة منها: الإدارة العامة، وإدارة الأعمال، وإدارة الأموال... إلخ.

والسؤال: هل عرف الإسلام الإدارة فكراً وتطبيقاً؟

ليس ادعاء أن نقول إن الفكر الإسلامي قد أمد العلوم الإدارية بأسسها ومبادئها ومقومات وجودها.

يشهد بذلك الأستاذ الدكتور «عبدالحميد بهجت» أحد أساتذة الإدارة البارزين في الجامعات المصرية فيقول:

«إن الفكر الإنساني في مجال الإدارة قد استمد جزءاً كبيراً من تكوينه الحالي من الثقافة الإسلامية.

إن الدين الإسلامي وما أفرزه من حضارة إسلامية باهرة هي إحدى مصادر الإلهام الرئيسية للفكر الإداري الأوروبي الحديث».(١)

بل إنه يذهب إلى أكثر من ذلك فيقول: «ليس عدلاً الادعاء بوجود مبادئ إدارية تم اكتشافها أو التوصل إليها مع بداية حركة الإدارة العلمية في أوائل القرن العشرين على الرغم من شيوعها نظرياً في أحكام الدين الإسلامي أو تطبيقاً في بناء الدولة الإسلامية».(٢)

والحقيقة أن كل مسلم درس العلوم الإدارية يدرك من أول وهلة أن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والقواعد السلوكية التي وضعها رجال الدولة الإسلامية تمثل أرقى النماذج الإدارية التي يدعى البعض أنها لم تكتشف إلا في العصر الحديث.

يؤكد ذلك أستاذ متخصص أيضاً في مجال الإدارة هو الدكتور «منصور أحمد منصور» فيقول: «لا مراء في أن الإسلام قد أمدنا بفيض من النظم والقواعد والمبادئ والفلسفات تمكننا من تطوير حياتنا وتنمية قدراتنا، وصياغة سلوكنا والتقدم عبر منعطفات تحقق أهدافاً متقدمة ومتطورة وهائلة، والمشاهد عملياً أن الدول المتقدمة قد استخدمت هذه الينابيع الإنسانية في شتى مجالات تقدمها بصفة عامة وفي نظم الإدارة بصفة خاصة، فقد قامت الدول المتقدمة باستخدام هذه المصادر في فكرها الإداري، وفي المبادئ والنظريات التي تغطي سلوك المنظمات وفلسفة الإدارة، وسياساتها بصفة عامة.(٣)

هذه الشهادات من رجال حصلوا على درجتهم العلمية «الدكتوراة» من جامعات أوروبية وشرقية وعايشوا التجارب الإدارية في الشرق والغرب إنما تثبت لها الحياد وتؤكد مصداقيتها... ولنقترب قليلاً قليلاً من الواقع لنرى أنه...

في مجال الإدارة العامة:

أرسى مبدأ الجماعية في الرأي والمشاركة في اتخاذ القرارات من خلال مبدأ الشورى ... يقول الدكتور منصور أحمد منصور: «كان نظام في الإسلام ركناً جوهرياً وركيزة من الركائز الإسلامية المتطورة التي يتكون منها نظام الإدارة، وكان هذا المبدأ يجري استخدامه في الإدارة الإسلامية حينما كان يقتضي الأمر الفصل في المسائل والأمور الخطيرة، هذا إلى جانب تطبيق هذا المبدأ في الشؤون اليومية، ومن ثم نرى أن الإدارة في الإسلام أرست مبدأ الجماعية في الرأي واتخاذ القرارات».(٤)

كما أن الإسلام قد أمد الفكر الإداري بمبادئ مهمة أخرى كالعدل والمساواة والطاعة لأولي الأمر... وكلها أسهمت في صياغة مناهج الفكر في مجال الإدارة العامة.

في مجال إدارة الأعمال:

قدم إلينا الإسلام نظرية النظام - أحدث النظم الإدارية - والتي ترى أن المنظمات تتكون من أجزاء فرعية يعتمد كل جزء منها على الآخر في بقاء ونموه ووظائفه بحيث إن فساد أي جزء منها يؤثر تأثيراً مباشراً في بقية الأجزاء الأخرى... هذه النظرية استلهمت من حديث الرسول ﷺ .

«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»(٥). وانطلاقاً من هذا الحديث صاغ المفكرون الإداريون في الدول المتقدمة نظرية الأنظمة التي أفادت الفكر الإداري المعاصر في فهم ودراسة وتطوير الأعمال وحل المشكلات الإدارية في المنظمات العامة.

في مجال إدارة الأفراد:

أرسى الإسلام والنظم الخاصة بتعيين الأفراد وتحديد واجباتهم ومسؤولياتهم، فعند تعيين والٍ أو عامل كان يحتوي عقد تعيينه على تحديد سلطاته ومسؤولياته وواجباته، وقبل أن يبرح العامل المدينة يجتمع المواطنون في المسجد ويقرأ على الملأ الأمر أو عهد التعيين ليعرف كل مواطن حقيقة سلطات ومسؤوليات الولاة والعمال.

كما أن الإسلام وضع أسساً دقيقة لكل وظائف إدارة الأفراد من تعيين وتدريب وتقويم وتوجيه وتحديد الأجور والحوافز والجزاءات وتوفير مناخ العمل المناسب ... إلخ.(٦)

في مجال إدارة الأموال:

يمكن القول إن القواعد الأساسية التي توصل إليها علماء المالية العامة حديثاً وهي العدالة ـ اليقين ـ الملاءمة والاقتصاد، قد أخذ بها النظام الإسلامي فكراً وتطبيقاً منذ أكثر من أربعة عشر قرناً.

وفي مجال الإدارة العسكرية:

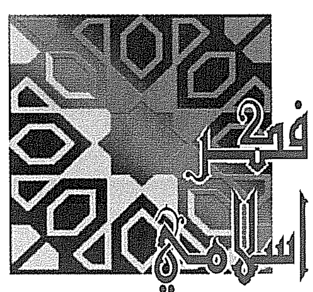
أرسى الإسلام مبادئ الحرب الشريفة فلا يقتل شيخ ولا صبي ولا امرأة ولا عامل ما لم يشتركوا في الحرب، ولا يقطع شجر ولا يخرب دار ولا يحرق زرع... إلخ.

وخلاصة القول: إنه منذ العام ٦١٢م بدأت الدولة الإسلامية تحت زعامة الرسول ـ ﷺ ـ في وضع قواعد الإدارة الإسلامية وإرساء مبادئ القيادة الديموقراطية، وأرست نظماً إدارية أخذت مسيرتها نحو النمو والتطور في عصور الدولة الإسلامية المتتابعة... وكان القرآن الكريم دستوراً راسخاً ومرجعاً علمياً وروحياً في هذا المجال... كما كانت السنة النبوية الشريفة نوراً يضيء كل غامض، ويشرح كل موجز، ويفتح سبل الهدى والرشاد.

ولعلنا نلتقي بمشيئة الله في لقاء آخر مع الإدارة الإسلامية فكراً وتطبيقاً. ■

الهوامش:

١ ـ د. عبدالحميد بهجت: الإدارة العامة ـ الفصل الحادي عشر «الإدارة العامة في الإسلام نموذج من الفكر والتطبيق ـ مجموعة محاضرات مقررة على طلبة كلية التجارة بجامعة أسيوط».
٢ ـ المرجع السابق: ص٣٩٨.
٣ ـ د. منصور أحمد منصور: قراءة في تنمية الموارد البشرية ـ المقدمة.
٤ ـ المرجع السابق ـ المقدمة.
٥ ـ متفق عليه: عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما.
٦ ـ لمزيد من التفاصيل ـ انظر: أحمد عبدالعظيم «نحو منهج إسلامي في الفكر الإداري» ـ المؤسسة العربية الحديثة ـ مصر ـ ص١٨٥ وما بعدها.



مسؤولية الإنسان عن علمه

بقلم: د. أحمد عبدالرحيم السايح

لقد جاء الإسلام، وفي أولى قطرات الوحي، الذي حبا الله البشرية به، ما يشيد بالعلم ويرفع من مكانته، ووسائله، وموضوعه، قال تعالى في سورة العلق: (اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علّم بالقلم. علّم الإنسان ما لم يعلم) وقال تعالى في سورة القلم: (ن. والقلم وما يسطرون) وقال تعالى في سورة الطور الآية ٢٨: (والطور. وكتاب مسطور)، وقال تعالى في سورة فاطر الآية ٢٨: (إنما يخشى الله من عباده العلماء).

وليس العلم الذي عناه الإسلام قاصراً على ما وقر في نفوس البعض من العلم الديني فحسب ـ وإن كان في القمة ـ كلا، فإن العلم الذي عناه الإسلام إنما هو العلم بمفهومه العام، ومدلوله الشامل، الذي تضم مسائله جميع الأصول والفروع، في شتى العلوم والمعارف، سواء منها الإلهية، والإنسانية، أو المادية بكل مشتقاتها وألوانها.

والإسلام الحنيف لا يقيد الإنسان في طلب العلوم بأي قيد، اللهم إلا قيد الالتزام العلمي، والموضوعية المحايدة، ثم من قبل ذلك ومن بعده قيود الحق، والخير، والعدل، والفضيلة، والقصد، والإنصاف، على أن تكون الغاية منه معرفة الله، والقرب منه، بمعرفة أسراره في كونه، ونواميسه في خلقه، تلكم التي تكشف عن أزلية وجوده، ودقيق علمه،

كرامة الإنسان ذات صلة وثيقة باحتفاظه بسيادته

وعظيم قدرته، وبديع صنعه، وأن يكون من وراء ذلك هدف عام يعود على الإنسانية كلها بالخير والرفاهية والتقدم، وتحطيم كل أغلال القصور، وقيود التخلف، وتأكيد السيادة التي أرادها الله للإنسان على الكون.

ولا شك في أن كرامة الإنسان ذات صلة وثيقة باحتفاظه بسيادته، ولا شك أيضاً أن احتفاظ الإنسان بسيادته مرتبط بمدى استطاعته وقدرته على أن يتمكن مما جعل ذا سيادة عليه مما هو دونه في الكون.

مسؤولية العالم توجب عليه العمل بما علم انطلاقاً من شعور الإنسان بواجبه نحو ذاته

والإنسان هو الكائن المتميز المتفوق، وما سواه من موجودات أخرى قضى عليها أن تكون في صالح الإنسان، وبهذا تنطق آيات كثيرة من القرآن الكريم، قال تعالى في الآية ٣٣ من سورة إبراهيم: (وسخّر لكم الشمس والقمر دائبين وسخّر لكم الليل والنهار).

وقال تعالى في الآية ١٤ من سورة النحل: (وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون).

وقال تعالى في الآية ١٣ من سورة الجاثية: (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون).

فإذا لم يتمكن الإنسان مما خلق له، وسخر ما في الكون من أجله، فقد قطعا سيادته عليه، وبالتالي لم يحتفظ بتفوقه وميزته، وعندئذ لاتكون له كرامة الكائن الموجود الذي ارتبطت كرامته بممارسة خصائص طبيعته.

والإنسان لايتمكن مما سُخّر له من الموجودات الأخرى إلا إذا علم أسرارها ووصل في كشفها إلى معرفة القوانين التي تحكمها.

والإسلام في اللحظة التي أعلن فيها القرآن الكريم تكريم الإنسان في قوله تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم)، وأعلن فيها خلافته في الأرض، وتسخير ما فيها وما فوقها وما يحيط بها للإنسان ولجنسه البشري، في هذه اللحظة أوجب الإسلام على الإنسان العلم والمعرفة، لا ليدرك ربه فحسب فيؤمن به ويعبده، وإنما أيضاً لينتفع بما سخّر الله له في كونه.

العلم والعمل به والإخلاص فيه والتجرد له من شيم العلماء العاملين

وآيات القرآن التي تدفع الإنسان - بطريق مباشر أو غير مباشر - إلى تحصيل العلم في صوره المختلفة، سواء في صورته النظرية العقلية، أو صورته الواقعية أو صورته التجريبية - آيات كثيرة ومتنوعة.

قال تعالى: (وفي أنفسكم أفلا تبصرون).

وقال تعالى: (وفي السماء رزقكم وما توعدون).

وقال تعالى: (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس).

فيستحيل علينا أن نقف على أنفسنا، وخواص هذه النفوس وطبائعها، وأن نقف على ما يعلو هذه الأرض، وما يحيط بها، مما فيه فائدة ورزق لنا، وأن نقف على الحديد مثلاً، وما فيه من بأس شديد، ومنافع للناس، وما فيه من قوة ترهب وتخيف، يستحيل علينا أن نقف على هذه الخواص الكونية وما وراءها من قدرة خالقة مصورة هي قدرة الله جل شأنه إلا إذا تصورنا ما يتصور منها على وجهه الصحيح، وأحسسنا بما يحس ويشاهد منها عن قرب، وتلك هي ضروب العلم وصنوفه، تبعاً لمجالات ما يعلم، وموضوعات ما يدرك أو يختبر.

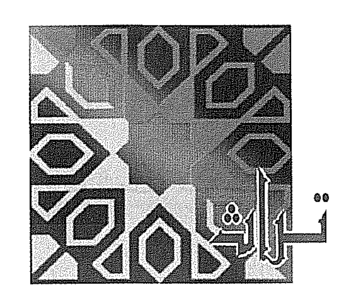
ولا يخفى على عاقل: أن العلم والعمل به، والإخلاص فيه، والتجرد له، من شيم العلماء العاملين، وسمة المؤمنين الذين يطبقون العلم على العمل، ويربطون الحق بالواقع، فينقلون المجتمعات والأمم إلى نور العلم، وآفاق التقدم، وقويم الحضارة، والعلم لا قيمة له في حياة البشر وتقدمهم إلا حين يصبح في دنيا الناس واقعاً عملياً، وتجسيداً حياً، روى مسلم والترمذي والنسائي عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله - ﷺ - كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لايستجاب لها».

إن مسؤولية العالم توجب عليه العمل بما علم انطلاقاً من شعور الإنسان بواجبه نحو ذاته، وضرورة مساءلته يوم القيامة عن مدى انتفاعه بعلمه وتطبيقه له، حيث يوقف الخلق بين يدي الله، فيسأل كلاً منهم على رؤوس الأشهاد: ماذا عمل فيما علم.

فما أحرانا أن نتعلم العلم، ونُعلّمه غيرنا، وننفع به أنفسنا، ومجتمعاتنا.

عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنة».

وجدير بنا وأمتنا الإسلامية أن تخطو إلى مجد مشرق، وأن نضاعف من جهودنا العلمية لنسهم إسهاماً فعالاً في كل ما من شأنه أن يأخذ بالأمة إلى الطريق الصحيح. ■



لم تعرف أمة من الأمم المكتبات كما عرفها المسلمون، فقد عرفها المسلمون منذ صدر الإسلام، فكلمة «اقرأ» التي بدأ بها نزول القرآن الكريم كانت أول الغيث الذي روى القلوب القاحلة والعقول الجرداء فنمت وترعرعت وأثمرت وأعطت أكلها للبشرية جمعاء، كانت البداية في تدوين القرآن الكريم، ثم اتسعت الدائرة لتشمل التفسير وعلوم القرآن، ثم شمل التدوين السنة النبوية التي أوجدت عشرات العلوم والفروع كعلم الرجال والجرح والتعديل والطبقات وغيرها. كل هذه العلوم فرضت الحاجة لوجود مكتبات لحفظ التراث الإسلامي العظيم.

المكتبات الإسلامية بين كيد الأعداء وجهل العامة

بقلم: محمد الفقيه

وتعددت المكتبات في تاريخنا القديم، فكان منها المكتبات العامة والخاصة، ومكتبات المساجد والقصور والمدارس والمستشفيات والسجون وغيرها، وانتشرت في معظم البلاد والمدن، وازدهرت ازدهاراً عظيماً، وتعددت خدماتها للباحثين وللطلاب ولغيرهم.

وقد نشأت منها صناعات وأسواق، فازدهرت صناعة الورق والأقلام والمداد والتجليد في أسواق بغداد ودمشق والقاهرة وغيرها، بيد أن هذا الازدهار لم يسلم من نكبات حلّت بعالمنا الإسلامي على مدى العصور، وكان للمكتبات حظ منها، فكم من مكتبة أُحرقت، وأخرى دُمِّرت وغيرها نُهبت، مما يدل على كيد الأعداء الذين اجتاحوا بلادنا، أو على جهل العامة الذين استغلوا ظروف الفتن والاضطرابات فقاموا بنهب المكتبات، وعبثوا بما فيها.

ولكن الكيد الخارجي كان الأشد والأقسى، فما من عدو قديم أو حديث اجتاح بلادنا إلا وانتقم من تراثنا العظيم، فحرق دور العلم والمكتبات ظناً منه أنه سيغير ثقافة المسلمين، ولكن الله الذي تعهد بحفظ كتابه الكريم حفظ معه كل العلوم الناشئة منه، ورغم الحرائق التي التهمت الكثير من مكتباتنا، نجد مقداراً غنياً من تراثنا لا يزال محفوظاً إلى يومنا هذا، وكذلك نجد مئات الآلاف من المخطوطات التي لا تزال تعمر مكتباتنا الكثيرة.

النكبات الخارجية

تعرضت بلادنا الإسلامية لكثير من الغزوات، وكان كل عدو يجتاح بلادنا يقوم بحرق المكتبات التي يجدها في طريقه.

فقد أقدم الصليبيون سنة ٥٠٢هـ على حرق مكتبة «بني عمار» في طرابلس الشام، وكانت تحتوي على أكثر من مليون كتاب(١)، ونالت هذه المكتبة شهرة عظيمة لما كانت تحتويه من كتب ونسّاخ ووكلاء وفهارس، ولم يكتف الصليبيون بهذه الجريمة البشعة، بل أحرقوا مكتبات عدة في بلاد المسلمين كما في القدس وعسقلان وغيرهما.(٣)

أما المغول، فعندما اجتاحوا بغداد سنة ٦٥٦هـ، أضرموا النار في بيت الحكمة التي كانت أشهر مكتبة في العالم الإسلامي، وألقوا ما بقي من المجلدات في نهر دجلة، فاسودت مياهه من كثرة ما ألقي فيه من كتب(٣)، ويذكر بعض المؤرخين أن هولاكو بنى اصطبلاً للخيول وطوالات للمعالف من مجلدات الكتب، وأقام ثلاثة جسور منها على نهر دجلة(٤)، فكان الفارس يعبر عليها من ضفة إلى ضفة.

أما دمشق، فقد اجتاحها التتار سنة ٦٩٩هـ، وخربوا أماكن ومعالم كثيرة، من بينها دار الحديث الأشرفية التي كانت تحتوي على كتب نفيسه، أوقفها كثير من العلماء كالسبكي والنووي، ونهبوا كتباً كثيرة من الرباط الناصري والضيائية وخزانة ابن البزوري، وصار الجند يبيعونها بأبخس الأثمان وهي مكتوب عليها الوقفية.(٥)



ذكر ياقوت الحموي أن المغول لم يتركوا مكتبة في طريقهم إلا أحرقوها، وقد ذكر في كتابه أن عشر مكتبات دُمرت كما حدث في مرو وساوة وغيرهما(٦)، وعندما اجتاح تيمور لنك بلاد المسلمين، عبث بكل ما وجده من آثار حضارية، فطالت يده أكثر المكتبات التي وجدها، وقد كانت دمشق سنة ٨٠٣ عامرة بالمكتبات، فأضرم النار بالمدينة، وبقيت تحترق ثلاثة أيام، وبعد تلك النكبة جُمِع ما بقي من الكتب من مختلف الخزائن التي لم تُصب بالحريق، أو التي أصابها بعض الحرق من قِبَلِ بعض العلماء، ثم وُضعت في مكان واحد

عرف فيما بعد بالمكتبة الظاهرية.(٧)

أما في بلاد الأندلس التي كان لها الفضل في نهضة أوروبا - التي كان يعارضها رجال الدين النصرانية الذين تسلطوا على الحياة الفكرية - فقد بدأت الكتب تنتقل منها إلى أوروبا، فلم يرق ذلك للمتعصبين والكنية، فأضمروا في أنفسهم الانتقام من المسلمين، فوجدوا الفرصة مواتية لهم عندما حلت بالبلاد النكبة المعروفة، فقد أمر المطران خمينس - رأس الكنيسة - سنة ٩٠٥هـ بجمع الكتب من أنحاء الأندلس، وكدِّست في أكبر ساحات غرناطة، واحتفل بإحراقها، وقُدِّر عدد ما أحرق يوم ذاك بما لا يقل عن مئة ألف مخطوط(٨).

وقد حصل الشيء نفسه في مختلف المكتبات التي كانت عامرة في بلاد الأندلس طوال نصف قرن.

وقد ضمت مكتبة الاسكوريال في مدريد بضعة آلاف من المجلدات سلمت من الحرق، ثم ضم إليها نحو أربعة آلاف مخطوط لتشكل قسماً مهماً من محتويات المكتبة، وتم ذلك سنة ١٠٣٠هـ، وذلك على الرغم من أن شروط تسليم غرناطة نصّت على السماح للمسلمين بالاحتفاظ بدينهم وملاكهم وثقافتهم وكتبهم ما شاؤوا ولكن ذلك لم يحدث ألبتة.

وعندما هاجم شارل الخامس «شارلكان»إمبراطور الإمبراطورية الرومانية مدينة تونس العام ١٥٢٦م، دمر جنوده المكتبة العامة في تونس، وأحرقوا مخطوطاتها النادرة(٩).

وعندما احتل الفرنسيون شمال أفريقيا العام ١٨٤٠م، اتبعوا سياسة الأرض المحروقة في طريقهم، فأقدموا على حرق مكتبة قسنطينة المشهورة بكتبها ومكانتها العلمية عن بكرة أبيها.(١٠)

وقامت منظمة التحرير الفرنسي السريَّة بعد مدة من الزمن بحرق مكتبة جامعة الجزائر المحتوية على أكثر من نصف مليون كتاب.(١١)

وفي العام ١٩٢٥م، أقدم الفرنسيون كذلك على ضرب مدينة دمشق بالمدافع، مما تسبب في حرق المدرسة الجوزية ومكتبتها العامرة، فانهارت وصارت ركاماً(١٣).

أما اليهود فقد أسهموا كغيرهم من الأعداء في الكيد للتراث الإسلامي، فقاموا بسرقة مخطوطات البحر الميت، وتكمن الخطورة في إخفائها ووضعها في مكان آخر آمن لا يستطيع أحد أن يطلع عليها فيه، وذلك لما تتضمنه من حقائق بالغة الأهمية من شأنها لو ظهرت أن تكشف زيف توراتهم وأكاذيبهم الكثيرة، وأكد كثير من المحققين أن المخطوطات توافق وتؤيد ما جاء في القرآن الكريم من آيات وتكشف كذب العقيدة التلمودية اليهودية.(١٣)

وقد كُشفت هذه المخطوطات بوساطة أحد الرعاة سنة ١٩٤٧م، ومازالت مودعة في الجامعة العبرية منذ ذلك الحين، مع الإحاطة بالسرية التامة، وقد كان في القدس وحدها قبل العام ١٩٤٧م، أربعون مكتبة أو أكثر(١٤) ذهب أكثرها نهباً للمحتلين.

اليهود أسهموا كغيرهم من الأعداء في الكيد للتراث الإسلامي

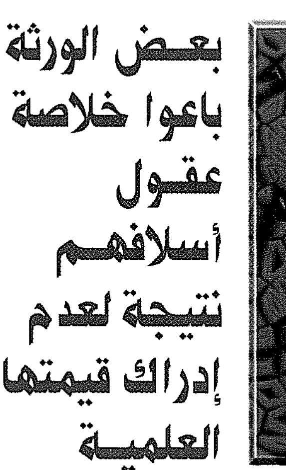
النكبات الداخلية

من أسباب النكبات الداخلية التي حلت بمكتباتنا ما يرجع أحياناً إلى انتهاء بعض المكتبات الخاصة إلى بعض الورثة الجهلة الذين لا يقدرون العلم والعلماء وإلى بعض الفتن والحروب الداخلية التي كانت تحدث في بعض البلدان، وما يخلف الغزو الخارجي من قِبَلِ الأعداء من فوضى وعدم استقرار.

وكان بعض الورثة قد باعوا خلاصة عقول أسلافهم نتيجة لعدم إدراك قيمتها العلمية، أو للإفادة المادية من بيعها، وبيعت بعض الكتب المنهوبة وكتب المديونيين والمفلسين.(١٥)

فالعلامة ابن القيم كان مولعاً بجمع الكتب على اختلاف فنونها، وقد اقتنى منها ما لايحصى وما لم يحصل لغيره، حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهراً طويلاً سوى ما اصطفوه منها لأنفسهم(١٦)، وقد قام الشيخ طاهر الجزائري بجهود فائقة في القرن الماضي من أجل إحياء المكتبة الظاهرية بدمشق، فجال في أسواق دمشق وبيوتها من أجل جمع المخطوطات بعد أن دبت الغيرة في نفسه، ويذكر أنه ذهب إلى أحد حمامات دمشق فرأى غلاماً يوقد النار بمجلدات لمخطوطات يضعها بجانبه كلما خبت النار ألقى فيها حزمة من الكتب لتستعر، فدهش الشيخ ومنع الغلام من عمله، وسارع إلى صاحب الحمام يسأله عن هذه الجريمة، فقال له صاحب الحمام: إنه منذ زمن وهو يشتري الكتب من الجيران لاستعمالها بدل الحطب، فما كان من الشيخ إلا أن أشترى منه ما سلم من الحرق، وقام بجولة لشراء الكتب من الناس وضمها إلى المكتبة الظاهرية.

وأغرب النكبات التي تثير الضحك ما فعلته زوجة الأمير ابن فاتك من أمراء القرن الخامس الهجري، فقد كان له مكتبة ضخمة يجلس فيها أكثر أوقاته ولا يفارقها، فداخلت الغيرة زوجته من الكتب، فلما توفي نهضت هي وجواريها إلى خزائن كتبه، وفي قلبها لوعة منها، لأنه كان يشتغل بها عنها، فجعلت تبكيه وتندبه، وفي أثناء ذلك ترمي وجواريها الكتب في بركة كبيرة في وسط الدار.(١٧)



بعض الورثة باعوا خلاصة عقول أسلافهم نتيجة لعدم إدراك قيمتها العلمية

أما السبب الأهم في ضياع المكتبات فهو الفتن والاضطرابات، إذ كان العامة يستغلون تلك الأوضاع فيهرعون إلى مكتبات المساجد والمكتبات العامة، ويختلسون منها ما يقدرون على حمله فقد روت لنا كتب التاريخ الكثير من تلك الحوادث المؤسفة، ففي سنة ٤٥١، تعرضت خزانة سابور التي كانت تعرف بدار العلم لحريق

هائل إذ احترق بعضها، ونهب ما سلم من الحريق، وذلك أن العامة استغلوا الفوضى ونهبوا بعض كتبها(١٨)، ومن المؤسف أن الوزير عميد الملك الكندري سمع بما حدث فحضر بنفسه إلى الدار مع قوة من الجند وأزال العامة ونهب منها لنفسه أجودها وأحسنها.(١٩)

وكذلك تعرضت مكتبة الخلفاء الفاطميين في القاهرة سنة ٤٦١هـ إلى اقتحام الجنود من عبيد المغاربة بسبب التأخر في دفع مرتباتهم فمزقوا الكتب، واقتسموا جلودها واتخذوها نعالاً لهم، ثم أحرقوا الكتب، وما لم يحرق منها سفت الرياح التراب عليه فصار تلالاً، عرفت بتلال الكتب.(٢٠)

ضمت مكتبة الاسكوريال في مدريد آلاف من المجلدات سلمت من الحرق

وفي مطلع القرن الخامس الهجري حاصر البربر قرطبة، فتعرضت مكتبة الحكم المستنصر لهزات عنيفة بعد موته، وتبددت كنوزها، ثم تمَّ توزيعها بين ملوك الطوائف، وتعرضت مكتبة الصوفية في حلب إلى سرقة من قِبَلِ جيرانها في فتنة قامت بين سكان حلب في أيام عاشوراء.(٢١)

أما مكتبة البيمارستان المنصوري الكبير فقد ذهب معظم كتبها أو تفرقت بين أيدي الناس، ثم تعرضت خزانة الكتب فيما بعد لحريق أتى على كتب العلوم والمصاحف والوقفيات.(٢٢).

المستشرقون والمكتبات الإسلامية

يرجع اهتمام الفرنجة بالمخطوطات الإسلامية إلى القرن العاشر الميلادي، فقد جمعوا كثيراً مما ألفه المسلمون في الطب والرياضيات والأدب واللغة وغيرها.

وخلال الحروب الصليبية بهرتهم المكتبات المنتشرة في أكثر البلاد التي اجتاحوها، فأحبوا أن ينقلوا هذا الفن إلى بلادهم فاستولوا على الكثير من المجلدات التي سلمت من شرهم ونقلوها إلى بلادهم، حتى أن لويس التاسع ملك فرنسا ١٢٢٦م ـ ١٢٧٠م، لما عاد من الحرب نقل معه من دمياط مخطوطات عربية وقبطية زين بها خزائن قصره، واحتذى حذوه كثيرون من أمراء الفرنسيين وأغنيائهم الذين رافقوا الملك في زيارته للأماكن المقدسة.

وكذلك نقل الإيطاليون بعض المخطوطات العربية وأرسلوا البعثات لاقتناء ما يناسبهم وقد جمع رجال الكنيسة كثيراً من المؤلفات العربية في مكتبة الفاتيكان في روما.(٢٣)

وبدأت حملات المستشرقين تجوب البلاد الإسلامية بحثاً عن المخطوطات وقد ساعدهم في ذلك جهل الناس في ذلك الوقت بأهميتها، فباعوها بأبخس الأثمان، واستبدلوا بها أدوات منزلية، وكانت جولاتهم تتم على المنازل والمكتبات والأديرة، ونقل معظم هذه المخطوطات إلى أوروبا.(٢٤)

إن مكتبات أوروبا وأميركا الآن تضم نحو مئة ألف مخطوط عربي على أقل تقدير، هذا عدا ما في مكتبات المستشرقين وأساتذة الجامعات، وما في أيدي الناس ممن لهم عناية بالمخطوطات العربية والآثار الشرقية.(٢٥). ■

الهوامش:

١ ـ وفي رواية لابن الفرات: كان عدد كتبها ٢,٨٠٠,٠٠ مجلد.

٢ ـ د. مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، دار القرآن الكريم ـ بيروت ـ ١٩٨٠م.

٣ ـ ابن خلدون، العبر، ج٥ ص ٥٤٣.

٤ ـ محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية، ج١، ص٣٢٣.

٥ ـ د. يوسف العش، دور الكتب العربية العامة وشبه العامة، دار الفكر ـ دمشق.

٦ ـ يا قوت الحموي، معجم البلدان.

٧ ـ د. محمد عجاج الخطيب، لمحات في المكتبة ـ عن محاضرة د.عبدالرحمن الحجي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٩٨٠م.

٨ ـ المصدر السابق.

٩ ـ محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام، مؤسسة الرسالة ـ بيروت: ١٤٠١هـ.

١٠ ـ الفرد بتلر، فتح العرب لمصر.

١١ ـ محمد ماهر حمادة: المكتبات في الإسلام.

١٢ ـ أكرم الحلبي ـ خطط دمشق ـ دار الطباع ـ دمشق ١٩٨٩م.

١٣ ـ أحمد علي المجذوب، أهل الكهف ـ الدار المصرية اللبنانية ـ القاهرة ـ ١٩٩٥م.

١٤ ـ عبدالرحمن العودة ـ مجلة المكتبات والمعلومات العربية.

١٥ ـ مجلة الدارة عدد ١٣٤، سنة ١٤١٣هـ.

١٦ ـ الدرر الكامنة ٢٢/٤.

١٧ ـ مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا.

١٨ ـ يذكر بعض المؤرخين أن احتراق المكتبة كان سنة ٤٤٧هـ، أثناء دخول طغرل بجيشه إلى بغداد.

١٩ ـ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٨٨/٨.

٢٠ ـ المقريزي، الخطط المقريزية ٢٥٣/٢.

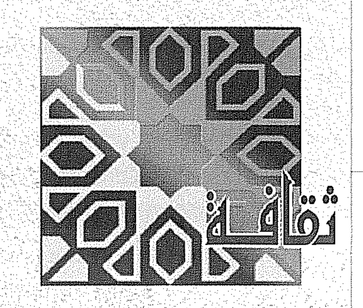
٢١ ـ د. مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا.

٢٢ ـ المقريزي ـ الخطط المقريزية ٣٨٠/٢.

٢٣ ـ خزائن الكتب العربية في الخافقين.

٢٤ ـ جريدة الحياة، عدد ١٠٦٥٤ ـ ١٩٩٢/٤/١٠م.

٢٥ ـ د. محمد عجاج الخطيب، لمحات في المكتبة، وانظر رحلات الأستاذ حمد الجاسر إلى مكتبات فيينا وألمانيا ـ مجلة الفيصل، الأعداد ١٩٢ ـ ١٩٣ ـ ١٩٤ ـ ١٩٥.



العولمة من أكثر العناوين والقضايا حضوراً واهتماماً على النطاق العالمي الواسع.

وتعود بدايات استخدام مصطلح «العولمة» إلى كتابين صدرا العام ١٩٧٠م، الأول لمارشال ماك لوهان ـ عالم الاجتماع الكندي. «حرب وسلام في القرية الكونية»، والثاني «أميركا والعصر التكنتروني» لزبغنيو بريزنسكي ـ مستشار الأمن القومي في عهد الرئيس الأميركي كارتر (١).

العولمة الثقافية

وأثرها على التنشئة الاجتماعية في العالم الإسلامي

بقلم : مصطفى دسوقي كسبه

في أواخر الثمانيات انهار المعسكر الاشتراكي، وحققت «أيديولوجيا» السوق انتصاراً شبه كامل. وكان سقوط سور برلين يرمز إلى نهاية عهد، وجرفت العاصفة بعض الناس إلى درجة أنهم أعلنوا نهاية التاريخ. هذا، فضلاً عن أن التجارة الدولية منذ الحرب العالمية الثانية، ظلت تنمو بضعف معدل نمو الاقتصادات الوطنية، وهكذا أصبح الاقتصاد العالمي مترابطاً. وأصبحت الشركات المتعددة الجنسية هي الأكثر فاعلية في الساحة الاقتصادية. كما جرى تحديد الاستراتيجيات الصناعية في القطاعات الأكثر تقدماً على النطاق العالمي. وقد تعزز هذا الاتجاه بالثورة في مجال المعلومات والاتصالات التي تحول العالم معها إلى قرية صغيرة، كما أن الثورة في المجال المالي أصبحت تتجاوز الحدود السياسية.

وكان تحقيق تكامل الأسواق المالية وحركة رؤوس الأموال، والتقلبات في أسعار الصرف من العوامل التي أدت إلى زيادة ضخمة في الاستثمار والادخار على نطاق عالمي. وقد شجع الإطار المؤسسي الدولي هذا الاتجاه نحو العولمة إذ يتحكم البنك الدولي وصندوق النقد الدولي في الاقتصاد العالمي. ومع إنشاء منظمة التجارة العالمية اكتملت الدائرة (٢). كما ظهرت ثلاث مشكلات اجتماعية رئيسية هي الفقر، والبطالة، والتفسخ الاجتماعي. ورغم أن هذه المشكلات الثلاث ليست جديدة، إلا أن تفاقهما في السنوات الأخيرة، جعل آثارها تتعدى الحدود القومية. فالفقراء كاد عددهم في العالم يصل إلى الخمس أي ١.٥ مليار نسمة. والعاطلون عن العمل يصلون إلى مثل هذا الرقم. وأدت البطالة والفقر معاً إلى مزيد من التفسخ الاجتماعي في الكثير من المجتمعات: فأزدادت حدة الجريمة والعنف، والتطرف والفساد، والرقيق الأبيض، وتعاطي المخدرات، والتهريب بكل أنواعه. كما أن من هذه الآثار انفجار صراعات أهلية مسلحة، وسرعان ما تنتشر رقعتها إلى خارج حدود الدولة التي بدأ فيها الصراع. ومن ذلك تدفق المقتلعين واللاجئين والهاربين، والذين يقدر عددهم في الوقت الحاضر بأكثر من خمسين مليوناً (٣).

وحال الضعف الاقتصادي والسياسي في عدد ليس بالقليل من أقطار العالم الإسلامي، ربما يجعل جبهتها الداخلية أكثر هشاشة، وقابلة للاختراق من قوى خارجية قريبة أو بعيدة، فضلاً عن زعزعة الاستقرار واستمرار التخلف أكثر مما تساعد على التماسك الاجتماعي والتقدم.

ومسلسل الاعتداء على العالم الإسلامي، مسلسل تمتد حلقاته إلى يومنا هذا، لكن الغلاف الخارجي، يتغير بتغير الأحوال، فالذي كان «احتلالاً» أو «انتدابا»، أصبح يسمى مقتضيات «النظام العالمي الجديد»، والذي كان «تنصيراً مباشراً» أصبح ينعت «بالتنوير»، والذي كان اسمه «استعمار الشعوب المسلمة» أصبح يكنى بكنية لطيفة مستساغة هي «مقاومة الأصولية»، والذي كان يعرف بالقضاء على اللسان العربي أصبح اسمه الجديد «كونية الثقافة» أو «إنسانية المعرفة» (٤).

ولكن هذا الجيل ليس أول جيل يحيا ذروة تحول هائل. والتغيرات العنيفة التي شهدها العقد الماضي ليست مغايرة لتلك التي صاحبت انتشار الإسلام خلال القرن الذي أعقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، أو الاستعمار الأوربي للأميركيتين بعد العام ١٤٩٢م، أو بداية الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر، أو إنشاء النظام الدولي الراهن في هذا القرن. بيد أن ثمة اختلافاً بين تجربة التغير المعاصرة وتلك التي حدثت في الأجيال السابقة: فلم يحدث إطلاقاً من قبل أن حدث التغير بمثل هذه السرعة ـ بل دفعة واحدة في بعض الحالات ـ على مثل هذا النطاق العالمي، وعلى هذا النمو المشهود عالمياً (٥).

وعصرنا الراهن عصر تحولات مدوخة ومثيرة وسريعة، عصر اتسم بالثورة التقنية والاتصالية العارمة، التي لم تستطع مجاراتها ثورة أخلاقية ودينية وروحية معاصرة لها.

وقد تطور العلم بشكل مذهل مما جعل الإنسان يكاد يفقد قواعده الروحية أمام اجتياح المادة. كأنما العالم اليوم منقسم إلى جنوبي متخلف اقتصاديا وصناعياً وتقنيا، وإلى شمالي متخلف روحياً (٦).

وفي كلتا الحالين فإن التخلف يعني الشقاء وانعدام الشعور بالأمان، الأول: «معوق مادياً»، والثاني: «معوق روحياً»، أي أن الأول يفتقد «الوسائل»، والثاني يفتقد «الغايات»، حسب تعبير المفكر الفرنسي «آلن توران» في كتابه نقد «الحداثة» (٧).

ولا شك أن العولمة تمثل تحدياً حقيقياً للشعوب المسلمة ولعموم الشعوب المستضعفة، ليس فقط لأنها مفروضة عليهم، بما هي نتاج لحضارة غير حضارتهم، ولكن لكونها تهدد في الصميم كيانهم المعنوي، بل ربما كيانهم الحقيقي أيضاً.

وللتعرف على الآثار المترتبة على العولمة الثقافية سواء على سلوك الأفراد، أم التنشئة الاجتماعية فإننا سنحاول الإجابة على التساؤلات التالية:

١ ـ هل لنا الاختيار أصلاً في قبول نتائج العولمة وقد أصبحت قدراً محتوماً من العبث تجاهلة؟

٢ ـ لماذا لا نتعامل معها كمكاسب إنسانية ونستثمرها لخدمة قضايانا المصيرية؟

وخطة الدراسة ستتناول ما يلي:

أولاً: مفهوم الثقافة.

ثانياً: مفهوم العولمة.

ثالثاً: العولمة الثقافية.

رابعاً: العولمة الثقافية وأثرها على السلوك الاجتماعي.

خامساً: العولمة الثقافية وأثرها على التنشئة الاجتماعية.

سادساً: الخاتمة.

أولاً: مفهوم الثقافة:

تقوم العلوم الاجتماعية على حقيقتين أساسيتين:

ـ إحداها أن الإنسان كائن اجتماعي.

ـ أما الأخرى فتتصل بالسلوك الإنساني الذي يصدر في أشكال أو إنماط منتظمة، وفي صورة كبيرة على قدر كبير من الاطراد والتواتر.

وهكذا عنى الباحثون في العلوم الاجتماعية بدراسة هذا التواتر في السلوك الإنساني وفي الحياة الجمعية.

وقد استخدموا لذلك مفهومين، مازالا من المفاهيم الأساسية في الحقل الاجتماعي، وهي الثقافة والمجتمع.

فالثقافة لا توجد إلا بوجود مجتمع، ثم إن المجتمع لا يقوم ويبقى إلا بالثقافة، وتلعب الثقافة دوراً مهماً في حياة الإنسان، ومن هنا تحتل الثقافة مكاناً بارزاً في دراسات علم الاجتماع والأنتروبولوجيا الثقافية والاجتماعية.

إن الثقافة هي التي تميز بين فرد وآخر، وبين جماعة وأخرى وبين مجتمع وآخر بل إن الثقافة هي التي تميز الجنس البشري عن غيره من الأجناس، لأن الثقافة هي التي تؤكد الصفة الإنسانية في الجنس البشري (٨).

إن الفرد في المجتمع يتفق مع بعض الناس في كل النواحي، كما يتفق مع بعض الناس في نواح أخرى، ولا يتفق مع أي من الناس في نواح ثالثة.

وتهتم علوم البيولوجي والفسيولوجي بدراسة الجانب الأول. كما تهتم علوم النفس بدراسة الجانب الثالث.

أما الجانب الثاني فيشكل مجالاً للدراسة في علوم الاجتماع والأنتروبولوجيا تلك هي مظاهر الاتفاق والاختلاف بين الأفراد والجماعات والمجتمعات.

بناء على ذلك، تصبح الثقافة عنصراً أساسياً في حياة المجتمع، وفي دراسة المجتمع كذلك. فالأسلوب الذي يسير عليه الناس في حياتهم إنما يعتمد على طبيعة الثقافة السائدة في المجتمع، مع بعض الآثار التي تتركها العوامل الجغرافية والبيئية.

وهنا تبرز أهمية الثقافة كعنصر لا غنى عنه في الدراسة التي تهدف إلى التعرف على الحياة الاجتماعية للناس وتفسيرها وفهمها، وهي موضوع للبحث العلمي الذي يعني بالتحليل والتنظير (٩).

ومن أقدم التعريفات للثقافة، وأكثرها ذيوعاً حتى الآن لقيمته التاريخية تعريف «إدوارد تايلور» الذي قدمه في أواخر القرن التاسع عشر في كتابه عن «الثقافة البدائية» والذي يذهب فيه إلى أن الثقافة هي:

«كل مركب يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق، والقانون والعرف، وغير ذلك من الامكانات أو العادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في مجتمع».

وهكذا يُبرز هذا التعريف العناصر اللامادية لحياة الناس في جماعة، كالأخلاق والقانون والعرف التي تنشأ نتيجة للتفاعل الاجتماعي، وتأخذ طابعاً إلزامياً إلى جانب العنصر المادي للثقافة، علاوة على العلاقات بين الناس وبين العناصر المكونة للثقافة (١٠).

ونظراً لتعدد وتنوع تعريفات الثقافة بشكل يصعب حصره، ركّز مؤلفو كتاب «نظرية الثقافة» (١١) على اتجاهين واضحين في تلك التعريفات، وإن كان بينهما تنافس. ينظر أحدهما للثقافة على أنها تتكون من القيم والمعتقدات والمعايير والرموز والأيدلوجيات وغيرها من المنتجات العقلية.

أما الاتجاه الآخر فيربط الثقافة بنمط الحياة الكلي لمجتمع ما، والعلاقات التي تربط بين أفراده، وتوجهات هؤلاء الأفراد في حياتهم. واستمدوا منهما ثلاثة مفاهيم تمثل الثقافة في نظرهم وهي:

ـ التحيزات الثقافية.

ـ العلاقات الاجتماعية.

ـ أنماط وأساليب الحياة.

ويتضح أنها ظواهر أو عناصر مرتبطة ببعضها بعضاً في الكل المركب للثقافة.

ـ فالتحيزات الثقافية تشمل القيم والمعتقدات المشتركة بين الناس.

ـ والعلاقات الاجتماعية تشمل العلاقات الشخصية التي تربط الناس بعضهم إلى البعض الآخر.

ـ أما نمط الحياة فهو الناتج الكلي المركب من الانحيازات الثقافية والعلاقات الاجتماعية (١٢).

ثانياً: مفهوم العولمة

العولمة هي وحدة المعمور من الأرض في مجالات التفاعل الإنساني وهي ذات مدلولين:

أ ـ مدلول سالب، وهو انفعال المغلوبين القابلين لتأثير أصحاب الغلبة في عصر من عصور التاريخ للمعمور من الأرض.

ب ـ مدلول موجب، هو فعل الغالبين في التاريخ بأدوات الفعل الغازي: غزواً بارداً (بالثقافة والاقتصاد)، أو حاراً (بالعنف والاضطهاد) منذ أقدم الأمبراطوريات الشرقية:

ومن المعلوم أن وسائل الهيمنة كانت ولا تزال مبنية على قواعد تعد قوائم اخطبوط السياسية الدولية منذ الدولة الفرعونية (١٣): ـ الغزو الروحي ـ العلوم النظرية وتطبيقاتها ـ العلوم العلمية وتطبيقاتها.

ـ أما الغزو الروحي فيزيل الأمم بتغير هويتها.

ـ العلوم النظرية وتطبيقاتها بالاستيلاء على شروط وجودها الرمزية بفضل التقنيات الثقافية والإعلامية.

ـ العلوم العلمية وتطبيقاتها بالاستحواذ على شروط وجودها المادية بفضل التقنيات الاقتصادية والعسكرية.

والتنوع الحضاري والثقافي وتعدد المراكز الاقتصادية المتنافسة اليوم أقدر على إدخال التوازن على العولمة، وذلك بحكم آليتين كانتا منعدمتين في القديم:

أ ـ آلية التراجع بين سرعتي التأثير وإزالة التأثير الأمر الذي يوفر فرصاً أكبر للصعود عند المغلوب.

ب ـ آلية تحصيل الوسائل المنتظم فما كان يتطلب قرونا للحصول عليه، ومثلها لإزالته صار الآن يحدث ويزول في أقل من عقد.

فما كان يتطلب قروناً عدة كي تساوي إمبراطورية لاحقه إمبراطورية سابقة، أصبح قابلاً للتحصيل السريع بحكم انتظام التعليم ونقل الخبرات النسقى، فكان بعض العقود كافياً لليابان مثلاً، أو لأميركا قبلها أو لمن نراه الآن يحقق المعجزة الاقتصادية. هذا، فضلاً عن أن ما حدث بعد الحرب العالمية الثانية وعودة ألمانيا واليابان إلى مسرح التاريخ الفاعل أمر يعد من أكبر الأدلة على أن روح الأمم وزادها الحضاري هو المحدد الحقيقي، وليس الاقتصاد.

وكل أمة مغلوبة تنتسب بالاستسلام إلى العولمة السالبة، وكل أمة غالبة تنتسب بالإقدام إلى العولمة الموجبة، خصوصاً إذا كانت هذه الأمة ـ الإسلامية ـ قد سبق لها أن أسهمت في تحديد آفاق الإنسانية لمدة ثمانية قرون على الأقل، ولم تفقد الطموح إلى استئناف الإسهام (١٤).

ويؤكد هذا المفهوم للعولمة الدكتور علي الدين هلال ـ عميد كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، في جامعة القاهرة. فيقول: «إن الكوكبية كتطلع فلسفي وسياسي كانت موجودة دوماً، فعلى المستوى الفلسفي والعقيدي، كان للإسلام والمسيحية دور كوني، وكلا الرسالتين تطرح عقائد وأطاريح للإنسانية كلها، وليس لهما بعد عنصري أو إثني «عرقي» بأي شكل من الأشكال.. والكوكبية التي نحن بصددها الآن، مرحلة متقدمة من عملية تاريخية بدأت منذ وقت مبكر وارتبطت بتطور النظام الرأسمالي، ومصير الكوكبية يتأثر بما يحدث للنظام الرأسمالي» (١٥).

ويلاحظ أن العالم المعاصر له اتجاهان أحدهما توحيدي، والآخر تفكيكي:

أما الأول: فهو توحيدي تكاملي بمقتضاه يتم انتشار قيم ومفاهيم وسلوكيات معينة عبر أنحاء الكون.

وأما الآخر: تفكيكي: حيث نرى تزايداً لعدد من الحركات الاجتماعية التي تؤكد الخصوصية الثقافية والذاتية الحضارية، وترفض الانخراط في تلك العملية الكوكبية وتعدها خطراً، إن لم تكن مؤامرة على الثقافات الوطنية لكل شعب. ونرى أيضا التفجيرات الدامية للولاءات السلالية والإثنية التي تختلط أحيانا بالدين. وهنا يثور سؤال حول مدى حدود العلاقة بين هذين الاتجاهين، وهل هما وجهان لعملة واحدة؟ (١٦).

كما تثير العولمة في حقيقة الأمر مفارقات وأسئلة كثيرة منها:

أ ـ ففي الوقت الذي تهدد الولايات المتحدة ـ باعتبارها النموذج الكوني والعالمي ـ من يرفض الالتزام بقيم العولمة: كالديموقراطية والليبرالية السياسية واقتصاد السوق وحقوق الإنسان، نراها تغض الطرف عن ذلك كله عندما يتعلق الأمر في دولة إسرائيل أو في دول أخرى صديقة لها، أو عندما تفرض المصالح التجارية الأميركية ذلك.

ب ـ ما يطرح على بساط التفكير الجدي في التمييز بين حقيقة ما وصلت إليه العولمة وما تنسب إليها من انجازات. وما حصل في جمهوريات آسيا الوسطى بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، وفي حروب البلقان من البوسنة إلى إقليم كوسوفو، وفي الشرق الأوسط وعلى أرض فلسطين.

ج ـ وفي تنامي الظاهرة الدينية بتعبيراتها الإسلامية والمسيحية واليهودية، له علاقة مباشرة بهذا التشبث بالهوية أو بالبحث عنها في ذروة العولمة أو «الأمركة» المفروضة على العالم حتى أن البعض يعتبر أن الهويات الثقافية الجماعية كانت دائما القاعدة التاريخية وليس الاستثناء لبناء الحياة والمؤسسات السياسية (١٧).

وظاهرة العولمة لا تقتصر على الاقتصاد بل أيضاً على السياسة والثقافة والاجتماع، والسلوك البشري، واستخدامنا اليوم لتعبير العولمة لأن فيها عامل فرض مباشر، وهذا الفرض ينطلق من قيم حضارية غربية، بعضها أورث التسلط. وأخطر ما في هذه الأزمة القيمية وجود العنصرية وفكرة الكسب، وفكرة النظر إلى الإنسان على أنه مجرد مستهلك.

وظاهرة العولمة موجودة فلنتعامل معها ولكن لنثق بقدرتنا على المواجهة. فعملية محاولة إنهاء الثقافات وتنميط البشر على ثقافة غربية واحدة يقيناً سيفشل.

ولنثق بأن هويتنا الحضارية (*) ستكون راسخة، والهوية دائماً جماع ثلاثة عناصر: العقيدة التي توفر رؤية كونية، واللسان الذي يجري التعبير به، والتراث الثقافي الطويل المدى.

ولنثق في أن قيم حضارتنا ستنجح في التغلغل في داخل دائرة تسيطر عليها العولمة وهي الدائرة الغربية، لأن في الإنسان نزعة للتطهر. وهناك قيم في داخل تلك المجتمعات تلتقي مع قيمنا. ولذا سيحدث تغلب لها على قيم الاستهلاك والتسلية وما تأتي به العلمانية التي لا تنظر إلى الإنسان إلا على أنه مستهلك مادي ليس إلا (١٨).

كما أن التقنية ملك عالمي ليست ملك دائرة بعينها، وما وصل الغرب إلى هذه الثورة التقنية إلا بفعل ما وصلت إليه في حضارتنا، وحضارتنا ما وصلت إليه إلا بفعل من سبقوها، ولذا، فالتقنية عامة، ويجب أن نستفيد منها إلى آخر مدى مع شرط واحد ألا تؤذي البيئة ولا تؤذي الإنسان (١٩).

ثالثاً: العولمة الثقافية:

يقول الدكتور جلال أمين: «نحن إزاء العولمة كالعميان إزاء الفيل. كل منا في وصفه للعولمة على صواب تماماً. وكلنا مستعد للإقرار بأن للعولمة تأثيراً في الهوية الثقافية، ولكن من الطبيعي أن كلا منا لا يرى إلا هذا الأثر الذي يصدر عن ذلك الجانب من العولمة الذي يلمسه بيده، ومن ثم كان من الطبيعي أن يختلف المحللون لظاهرة العولمة حول تحديد ذاك الأثر في الهوية الثقافية» (٢٠).

وكل من المواقف المؤيدة للعولمة أو المضادة لها يحمل جزءاً من الحقيقة، نعم العولمة تؤدي إلى تعظيم الإنتاج على الأقل من وجهة نظر العالم ككل. والعولمة تمثل تقدماً لا يمكن إنكاره في بعض القدرات المهمة للإنسان في المعرفة وفي السيطرة على الطبيعة، وفي بعض أنواع التنظيم السياسي والاجتماعي، وفي بعض أنواع الإنتاج العلمي والفني.

والعولمة تتضمن أيضاً اتجاهاً نحو مزيد من الاستغلال الاقتصادي من جانب الشركات العملاقة للمستضعفين في الأرض، وتتضمن قهراً لمعتقدات بعض الأمم ومقدساتها لصالح نظرة تتخذ على الأقل موقف اللامبالاة من العقائد الدينية، والعولمة، بلا شك، تهدد أنماط الحياة الخاصة بالأمم التي كانت أكثر انعزالاً عن العالم لصالح نمط معين من الحياة هو السائد في الدول الأكثر سطوة (٢١).

العولمة بنت التطور أو التقدم التكنولوجي، سواء تمثل هذا التطور في اختراع العجلة أو البوصلة أو المطبعة أو الآلة التجارية أو التلغراف أوالطائرة أو التلفاز أو الكمبيوتر.. إلخ.

والاعتقاد الشائع بأن العولمة ظاهرة حتمية لا يمكن صدها أو الوقوف في وجهها سببه الاعتقاد بأن التطور أو التقدم التكنولوجي هو كذلك ظاهرة حتمية. لكن العولمة أيضاً تحمل دائماً في طياتها نوعاً أو آخر من «الغزو الثقافي» أي من قهر الثقافة الأقوى لثقافة أضعف منها. فالذي فعله المهاجرون الأوائل إلى القارة الأميركية بالهنود الحمر كان نوعاً من «الغزو الثقافي» وإن كان بالغ القسوة. وكذلك ما فعله المهاجرون الأوربيون إلى استراليا لسكانها الأصليين، وسائر صور الاستعمار الأخرى، التي هي أيضاً صور للعولمة وللغزو الثقافي في الوقت نفسه (٢٢).

العولمة قديمة، وكذلك الغزو الثقافي، كذلك مقاومة هذا الغزو الثقافي. وكل الشعارات التي ترفع لتبرير العولمة مرة باسم نشر الحضارة ومرة باسم تعظيم الإنتاج. وقد قامت حركات المقاومة ضد كل ذلك باسم الدين مرة، وباسم القومية مرة أخرى، وباسم الاشتراكية ومقاومة الاستغلال مرة ثالثة.. الخ.

ولكن من الضروري تأكيد العامل الأساسي المسؤول عن نشأة ظاهرة العولمة، واستمرارها وتسارعها، وهو التقدم التكنولوجي.

إذ إنه يعتمد في وجوده على الميل الطبيعي لدى الإنسان لتخفيف ما يبذله من جهد وما يتحمله من مشقة في سبيل البقاء على قيد الحياة أو من أجل الإنتاج والاستهلاك (٢٣).

ليس صحيحاً أن العولمة الثقافية هي الانتقال من حقبة «من ظاهرة الثقافات الوطنية والقومية إلى ثقافة عليا جديدة هي الثقافة العالمية أو الكونية - كما يدعي مروجو فكرة العولمة الثقافية».

بل إنها فعل اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الثقافات، فيهدد سائر الثقافات التي تبلغها عملية العولمة.

ومن الأهمية التعرف على الفارق بين التثاقف والعنف الثقافي من جانب واحد.

التثاقف: يعني الإصغاء المتبادل من سائر الثقافات بعضها إلى البعض الآخر، فضلاً عن الاعتراف المتبادل بينها، ومنه الاعتراف بحق الاختلاف وهو من أقدس حقوق الإنسان. ويرادف ذلك معنى الحوار والتفاهم.

العنف الثقافي: ينطوي على الإنكار والاقصاء لثقافة الغير، وعلى الاستعلاء والمركزية الذاتية في رؤية ثقافته ويرادف ذلك الإكراه والعدوان (٢٤).

أي أن العولمة الثقافية تعني السيطرة الثقافية الغربية على سائر الثقافات بوساطة استثمار مكتسبات العلوم الثقافية في ميدان الاتصال.

وهي التتويج التاريخي لعمليات السيطرة منذ انطلاق عمليات الغزو الاستعماري منذ قرون، وحققت نجاحات كبيرة من الحاق التصفية والمسخ بثقافات جنوبية متعددة وبخاصة في أفريقيا، وأميركا الشمالية والوسطى والجنوبية.

والثقافية الأميركية هي المسيطرة على الثقافة الغربية، وأوربا نفسها تنظم مقاومة ضدها وتعتبرها خطراً استراتيجياً يهدد استقلالها السياسي والاقتصادي وهويتها الثقافية، وقد تكون مقاومة فرنسا لها، أثناء مفاوضات الغات - ودفاعها عما بات يعرف باسم الاستثناء الثقافي أسطع دليل على وجودها ومخاطرها (٢٥).

إن أكثر ما يلفت الانتباه من ظواهر العولمة المدى الذي بلغته الثقافة الشعبية الأميركية من الانتشار والسيطرة على أذواق الناس في العالم. فالموسيقا الأميركية والتلفاز من مايكل جاكسون إلى رامبو إلى دالاس، أصبحت منتشرة في مختلف أنحاء العالم، كما أن النمط الأميركي في الملابس، والأطعمة السريعة وغيرها من السلع

الاستهلاكية انتشرت على نطاق عالمي واسع وخصوصاً بين الشباب. إضافة إلى ذلك أخذت اللغة الانكليزية وبخاصة اللهجة الأميركية تصير لغة عالمية (٢٦).

ومن أهم أسباب هذا النفوذ الثقافي الأميركي الواسع:

١ ـ سيطرة الاقتصاد الأميركي بوصفة مستورداً ومصدراً، كما أن اعتماد اقتصادات أخرى على الاستهلاك في الولايات المتحدة إضافة إلى هيمنة شركات الاعلان الأميركية على التسويق العالمي، كل ذلك أدى إلى أن تكون أساليب الدعاية والتسويق عالمية الاتساع، ما جعل لها تأثيراً كبيراً في توجيه الأذواق عالمياً وفي قولبة الرموز الثقافية الناشئة.

٢ ـ للولايات المتحدة الأميركية تفوق واضح على منافسيها الاقتصاديين في المجالات الثقافية الشعبية، وخصوصاً في صناعتي الأفلام والموسيقا. وقد تمكنت الولايات المتحدة من استغلال قوتها في الإنتاج الفني التلفازي وفي الصناعات الترفيهية وشركات الأقمار الصناعية، فدخلت كل بيت على وجه الأرض وأثرت في كل فرد.

ومن أهم أسباب الإقبال على هذه الصادرات الثقافية الأميركية:

أ ـ أن الصادرات الثقافية الأميركية لا تعكس إلا المستوى المتدني من الأنشطة الثقافية الأميركية، فخلافاً لأوروبا الغربية أدركت الولايات المتحدة مبكراً أن الحضارة الرفيعة سوقها محدود، وأن الثقافة المتدنية المستوى سوقاً أوسع كثيراً من سوق الثقافة الراقية.

ب ـ يبدو أن الثقافة الأميركية قابلة للتسوق العالمي أكثر من بعض الثقافات الأخرى لأسباب منها: أن الولايات المتحدة الأميركية بلد المهاجرين، وهي بالتالي مكّونه من مزيج عالمي من المجموعات العرقية والدينية والثقافية (٢٧).

الصورة هي اليوم ـ المفتاح السحري للنظام الثقافي الجديد: نظام إنتاج وعي الإنسان بالعالم.

كانت فاعلية الكلمة وقفاً على سعة الاطلاع اللغوي للمتلقي، أما الصورة اليوم فقد باتت قادرة على تحطيم الحاجز اللغوي تماماً، كما تستطيع العولمة الاقتصادية ـ اليوم ـ تحطيم الحاجز الوطني والجمركي كي تصل إلى أي إنسان في عقر داره.

النظام الثقافي المسيطر في حقبة العولمة الثقافية، هو النظام السمعي البصري، والمتمثل في عشرات الإمبراطوريات الإعلامية الضارية التي تبث ملايين الصور يومياً يستقبلها مئات الملايين من المتلقين في شتى أنحاء العالم وهذا النظام الثقافي الجديد ليس وسيلة بل هو ـ أكثر من ذلك ـ طريقة معينة لإدراك العالم والتعبير عنه (٢٨).

رابعاً: العولمة الثقافية وأثرها على السلوك الاجتماعي:

الهوية: معناها في الأساس التفرد. والهوية الثقافية هي التفرد الثقافي، بكل ما يتضمنه معنى الثقافة من عادات وأنماط سلوك وميل وقيم ونظرة إلى الكون والحياة.

التكنولوجيا «التقنية» في الأساس مجرد طريقة للإنسان في إشباع حاجاته: طريقة إنتاج أو طريقة استهلاك ومن ثم فهي طريقة الإنسان في ممارسة عاداته ومختلف أنواع سلوكه وطريقته في التعبير عن ميوله وقيمه وعن نظرته للكون والحياة.

ومن البدهي أن أي تقدم في التكنولوجيا لابد من أن ينطوي على زيادة قدرة الإنسان على تحقيق تفرده والتعبير عن نفسه، فلماذا إذاً نفترض أن من الممكن أن ينشأ تضاد أو تعارض بين التكنولوجيا والهوية؟

أليست التكنولوجيا هي وسيلة تحقيق الهوية وطريقة التعبير عنها؟ أليست اللغة مثلاً تكنولوجيا التعبير؟

وهل خدمة اللغة وتطويرها (أي تطوير هذا النوع من تكنولوجيا الاتصال بين الناس لا يمكن أن تكون إلا خادمة الهوية؟

ويقال مثال هذا عن المطبعة التي تنشر ثقافة الأمة وتدعمها، وأدوات الكتابة والتسجيل والتخزين التي تحفظ تراث الأمة من الضياع.. الخ من أين إذاً يأتي هذا التضاد المزعوم بين التقدم التكنولوجي والهوية؟(٢٩).

ومنذ أن صنع الإنسان أولى أدواته الحجرية لتسهيل عملية الصيد، ضماناً لبقائه وتحقيقاً أكبر لذاته، كان هناك دائماً خطر في أن تستبد به هذه الأدوات نفسها وتتحول إلى أداة لقهره بدلاً من أن تكون أداة لتحريره.

إن هناك تفسيرات عدة ممكنة لانطواء أي تقدم تكنولوجي على إمكانات القهر:

ـ وقد يكون التفسير هو حاجة الإنسان إلى إثبات تفوقه على غيره، فإذا به يحاول أن يستأثر دون غيره بالأدوات المتاحة (سواء أكانت سلاحاً أم أداه إنتاج أم أداه من أدوات الاستهلاك) لمجرد الاستمتاع بتفوقه على غيره عن طريق قهره له.

ـ وقد يكون تفسير هذه القدرة الكامنة في التكنولوجيا، وبخاصة في التكنولوجيا الحديثة على أن تصبح أداة قهر، هو ما تنطوى عليه من زيادة درجة النمطية في عملية الإنتاج ومن ثم في عملية الاستهلاك كذلك. إذ إن النمطية بطبيعتها نقيض التفرد.

أيا كان السبب، فإن من المؤكد أن التكنولوجيا الحديثة، أي ما طوره الإنسان من وسائل للإنتاج والاستهلاك خلال القرنين الماضيين وخصوصاً خلال النصف قرن الأخير كانت تحمل خطر إخضاع الإنسان للقهر، وتهديداً لهويته وآدميته أكبر مما تعرض له الإنسان طوال تاريخه الطويل (٣٠).

هوية الإنسان وثقافة الأمة:

إن ما تفعله التكنولوجيا الحديثة بهوية الإنسان داخل الدولة، تفعل مثله ثقافات مختلف الأمم في العالم ككل، فكما خلبت التكنولوجيا الحديثة لب المستهلك الفرد حتى استسلم لها، خلبت لب الأمم، فضحت الواحدة بعد الأخرى بجزء بعد آخر من استقلالها الثقافي.

وكما استخدمت التكنولوجيا الحديثة من جانب طبقة لقهر الطبقات الأخرى داخل الأمة الواحدة، استخدمت من جانب الأمم المتقدمة تكنولوجيا لقهر سائر أمم العالم، وكما انتشرت النمطية في الإنتاج والاستهلاك داخل الدولة الواحدة، انتشرت في سائر أمم العالم حتى

أصبح من الصعب على المرء أن يعرف ما إذا كان يسير في شوارع أي مدينة من مدن العالم.

هذا الأثر من آثار التقدم التكنولوجي في طمس الهوية الثقافية للأمم لا يختلف في طبيعته عن أثره في الاعتداء على هوية الإنسان الفرد داخل الأمة الواحدة (٣١).

والأثر بشع في الحالين وإن كانت تستخدم في وصفه أسماء برّاقة. فما يرتكب ضد هوية الفرد داخل الأمة الواحدة يحدث تحت شعار «زيادة الرفاهية الاقتصادية» وكأن الرفاهية الإنسانية يمكن تجزئتها إلى جزء اقتصادي وجزء غير اقتصادي. وما يرتكب ضد الهوية الثقافية للأمم يحدث تحت شعار «التنمية الاقتصادية» وكأن نهضة الأمم لا تقاس إلا بمتوسط دخل الفرد من السلع والخدمات.

ومن الغريب أن القلق المتزايد داخل المجتمعات المتقدمة اقتصادياً، من التهديد الذي تتعرض له بعض أنواع الحيوانات والطيور التي يهددها التقدم التكنولوجي، بالانقراض، لا يقابله قلق لما يحدث لثقافات الأمم المختلفة من وراء هذا التقدم التكنولوجي نفسه، مع أن هذه الثقافات مهدده هي أيضا بالانقراض، والخسارة في هذه الحال فادحة جداً (٣٢).

خامساً: العولمة الثقافية وأثرها على التنشئة الاجتماعية وخصوصاً لدى الأسر والمدرسة:

الأسرة: هي أول وأهم المصانع الاجتماعية التي تنتج الوجدان الثقافي الوطني. ففي هذه المؤسسة يتلقن الطفل: لغته ومبادئ عقيدته والقوالب الأخلاقية العامة والعليا لسلوكه، كذلك يتلقن بعضاً من المبادئ المؤسسة للشعور بالجماعة أي هوية الجماعة الوطنية التي ينتمي إليها.

وقد تهتز في مراحل الشباب، ثقة الفرد في سلطة الأب وشرعيتها، أو قد يتعرض اعتقاده الديني إلى أزمة شك، أو قد يختلط عليه شعور الحنق على النظام السياسي والاجتماعي بالحنق على وطن مجحف، غير أن هذه السلطة جميعها تظل تتمتع بالاستقرار والرسوخ في وجدانه ووعيه طيلة فترات التربية التي يتلقاها داخل الأسرة، بل حتى حينما يجنح إلى التمرد عليها في طور «الشباب، لا يقطع معها قطيعة كاملة، إذ تظل آثارها في سلوكه فاعلة على هذا النحو أو ذاك (٣٣).

المدرسة: وتمثل المدرسة مؤسسة الإنتاج الاجتماعي الثانية التي تستأنف عمل الأولى وتنتقل بأهدافه إلى مدى أبعد من حيث البرمجة والتوجيه.

وربما كانت المدرسة أسرة ثانية للناشئة تمارس الوظائف التربوية عينها، غير أن موطن القوة فيها أنها تفعل ذلك على نحو نوعي متميز، فضلاً عن قدرتها على صقل تكوين الفرد الاجتماعي، وتنمية ملكة التحصيل والإدراك لديه بدرجة لا يستطيعها.

الفعل التربوي الأسري وتنفرد بكونها تنتقل بوعيه من حدود الجماعة الطبيعية «أي الأسرة إلى رحاب الجماعة الوطنية».

وعند هذه العتبة بالذات تؤدي المدرسة وظيفة إنتاج ثقافية وطنية أو أساسيات تلك الثقافة، وذلك من خلال توحيد الإدراك ومركزيته على برنامج تكوين عام على صعيد الوطن كله، أو من خلال بث وتكريس جملة من المبادئ التي تؤسس لقيام وعي وطني (٣٤).

ويبدو أن الضعف قد دبّ في أداء هاتين المؤسستين، ونال من وظائفهما التربوية والتكوينية، ومن قدرتهما على الاستمرار في أدوارها التقليدية في إنتاج وإعادة إنتاج منظومات القيم الاجتماعية ورصيد الوعي الوطني، للذين يؤسسان البنى التحتية للثقافة الوطنية وللسيادة الثقافية.

وهذا الخلل الطارئ على العمل الوظيفي الطبيعي للأسرة والمدرسة الوطنية إنما يرجع إلى إخفاق النظام التعليمي، وتفكك بنية الأسرة.

إخفاق النظام التعليمي

ويمكن رصد ذلك من خلال مؤشرين: كمي، ونوعي.

المؤشر الكمي: العجز عن تحويل التعليم في المجتمعات العربية والإسلامية المعاصرة إلى حق عام، وقصوره عن شمول جميع الفئات الاجتماعية الشابة والناشئة، وانحصاره في مجال اجتماعي محدود.

ما أدى إلى حرمان جيش اجتماعي هائل من حق التحصيل والتكوين، وذلك بسبب شحه وضعف الموارد والبنى الأساسية للتعليم. المؤشر النوعي: يتعلق بفقر محتوى برنامج التكوين التعليمي وقصوره عن الإجابة عن الحاجات المعرفية والعلمية، وتخريج أفواج ودفعات متلاحقة من أنصاف المتعلمين ممن لا تستفيد من طاقاتهم المتواضعة مؤسسات الإنتاج المادي والرمزي.

أما تفكك بنية الأسرة. فقد كان نتيجة لتحولات اجتماعية وثقافية عميقة لدخولها حداثة مرتبكة.

والمظهر المثير لهذا التفكك هو فقدان الأسرة المتزايد لقدرتها على الاستمرار كمرجعية قيمية وأخلاقية للناشئة، بسبب مصادر جديدة لإنتاج القيم وتوزيعها، وفي مقدمها الإعلام المرئي (٣٥).

فضلاً عن تخلي المرأة عن وظيفتها الأساسية في رعاية الناشئة، وإفراغ طاقتها في «الإنتاج المادي» و«صناعة الأدوات» على حساب «صناعة الإنسانية».

كل ذلك قد أدى إلى غياب البيئة الصالحة التي تنشئ وتنمي فيها القيم والأخلاق الإنسانية التي تتمثل في الجيل الجديد الذي يستحيل أن ينشأ في وحدة أخرى غير وحدة الأسرة المتخصصة، والنتيجة أجيال من الشباب الضائع الحائر الذي يفتقد إلى الحب والحنان... والانتماء اللهم إلا إلى عصابات القتل والاغتصاب، والانتحار، بالهيروين أو بالإيدز أو بغيرهما (٣٦).

والاضمحلال التدريجي للسلطة الأبوية في الأسرة وأثر ذلك على حريات الأفراد وانطلاق طاقاتهم وشعورهم بحقوقهم كما رافق ذلك انهيار نظام القيم الاجتماعية وكانت النتيجة حال من الاستباحة والتسيب القيمي تجعل الفرد مصابا بمرض فقدان المناعة القيمي.

ويتزامن تمدد العولمة الثقافية مع انحسار السيادة الثقافية وتراجعها في مجتمعات الجنوب بعامة وفي المجتمعات العربية والإسلامية بخاصة (٣٧).

سادساً: الخاتمة:

العلاقات الاقتصادية والاجتماعية الجديدة التي خلقها الأفراد

والجماعات والتي تسير بالعالم باتجاه العولمة نابعة من إدراك هؤلاء الأفراد للإمكانات المتاحة لهم في هذا الظرف الجديد.

إن إدراكنا الزماني والمكاني للأشياء وعلاقتها ببعضها بعضاً وعلاقتنا بها قد تتغيّر تغييراً جذرياً في ظل الظرف الذي نعيشه اليوم.

أن نفكر في موضوع العولمة على أنه شيء خارج عنا، لنا الخيار في قبوله أو رفضه كأن نضع أمامنا خيارين، إما الاستسلام للخسارة أو الانسحاب من مبارة التدافع الحضاري:

- الاستسلام في مبارة التدافع الحضاري يعني الانحلال والانقراض.

- أما الانسحاب فيعني العدم (أو الانتقال إلى صفوف المتفرجين).

ويبدو أن مبارة التدافع الحضاري قد دخلت طوراً جديداً ما زال العرب والمسلمون يجهلون قوانين واستراتيجيات إدارتها.

السؤال الذي ينبغي أن ينشغل به المفكرون العرب والمسلمون هو ليس كيفية المحافظة على هويتنا وخصوصيتنا في ظل الهيمنة الغربية والنزوع نحو العولمة - فقط؟

وإنما كيف يمكننا، ضمن معطيات وحدود الوضع الراهن، تغيير مجرى أحداث مبارة التدافع الحضاري لصالحنا؟

وخصوصا إذا علمنا أنه بعد زمن طويل من الانحسار والتراجع الحضاري، حتى بات الاعتقاد عند أوساط كثيرة في الغرب والشرق بأن الإسلام لا عودة له، بعد أن اكتسحت الحداثة والعلمانية العالم برمته، وبعد كل هذا التقدم والتطور الشامل الذي جعل من هذا القرن الأخير فاصلاً حضارياً عن القرون السابقة عليه، يأتي الانبعاث الإسلامي الكبير ويفاجئ العالم به، وهو في أشد مراحله التاريخية حساسية حيث الهزات العنيفة في كل جهات العالم والمخاضات الخطيرة في كل جانب منه، في السياسة والفكر والاجتماع والاقتصاد والإعلام... الخ وهي المخاضات التي تسبق التحولات الحضارية المهمة.

فضلاً عن أنه تتأكد من وقت لآخر قناعة في هذا العالم على أن الإسلام من الممكن أن يكون أحد الخيارات الحضارية العالمية البديلة - أو كما عبر عنه «مراد هوفمان» في كتابه «الإسلام كبديل» أو «روجية جارودي» في كتابه «الإسلام دين المستقبل». أو عزت بغوفيتش في كتابه «الإسلام بين الشرق والغرب» والمهم في هذه الكتابات أنها تكشف عن ظاهرة أخذه في النمو والاتساع داخل المجتمعات الغربية. ■

الهوامش:

(*) رئيس قسم الاستشارات، ومنسق المؤتمرات والندوات في مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي - جامعة الأزهر، ومحاضر الاقتصاد الإسلامي في الجامعة الإسلامية للعلوم والتقنية - باكستان ١٩٨٨ - ١٩٩٢م.

(١) د. طلال العتريسي، «المناظرة حول العولمة»، مجلة شؤون الأوسط. العدد ٧١ (أبريل ١٩٩٨م)، ص٤.

(٢) د. حازم البيلاوي، «الهوية والمصلحة: الدولة الريعية والديموقراطية»، مجلة الاجتهاد، السنة العاشرة، العدد ٣٦، ٩٩٨م، ص١٦.

(٣) انظر: د. سعد الدين إبراهيم، من القاهرة إلى كوبنهاغن إلى بكين: متابعة مؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية كوبنهاغن ٦ - ١٢ مارس ١٩٩٥م، مركز ابن خلدون، ص٥.

(٤) انظر وقارن: أفكار أولية بشأن تنظيم مؤتمر العالم الإسلامي والتحدي الحضاري، جامعة عين شمس، ٩٩٦م، ص٣٠٢.

(٥) انظر: جيران في عالم واحد: نص تقرير لجنة إدارة شئون المجتمع العالمي، ترجمة: مجموعة من المترجمين، مراجعة: عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة - العدد ٢٠١ - سبتمبر ١٩٩٥م، ص٣١ - ٣٢.

(٦) د. أحمد القديري، الإسلام وصراع الحضارات، كتاب الأمة رقم ٤٤، ذي الحجة ١٤١٥هـ، ص٦٠.

(٧) المرجع السابق، ص٥٣.

(٨) د. الفاروق زكي يونس، تقديم لكتاب نظرية الثقافة، سلسلة عالم المعرفة (٢٢٣)، يوليو ١٩٩٧م، ص٧.

(٩) د. الفاروق زكي يونس، المرجع السابق ص٨.

(١٠) المرجع السابق، ص٩.

(١١) مجموعة من المؤلفين، نظرية الثقافة، ترجمة د. علي سيد الصاوي، مراجعة: د. الفاروق زكي يونس، سلسلة عالم المعرفة ٢٢٣، يوليو ١٩٩٧م.

(١٢) د. الفاروق زكي يونس، تقديم الكتاب نظرية الثقافة، ص١٠.

(١٣) د. أبو يعرب المرزوقي، «أوهام علموية حول الحداثة الغربية»، مجلة المستقبل العربي «بيروت». العدد ١٩٩ - (سبتمر ١٩٩٥م)، ص١١٨.

(١٤) انظر: د. أبو يعرب المرزوقي، المرجع سابق، ص١١٩ - ١٢٠.

(١٥) د. علي الدين هلال، «قضايا ومفاهيم جديدة: الشمال والجنوب»، حلقة نقاش، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٠١، (نوفمبر ١٩٨٥)، ص٩٠.

(١٦) انظر. د. علي الدين هلال، مرجع سابق، مجلة المستقبل العربي ٢٠١، ص٩١.

(١٧) طلال العتريسي، شؤون الأوسط، ص٧.

(*) الحضارة العربية الإسلامية، تضم ثقافات عدة، وذلك باعتبار أن الحضارة هي الدائرة الأوسع، والثقافة دائرة أضيق داخلها.

(١٨) انظر: د. أحمد صدقي الدجاني، «الثقافة العربية والإسلامية وتحديات العولمة»، مجلة الكلمة، العدد ١٨، (١٩٩٨م / ١٤١٩هـ)، ص١٤٢ - ١٤٣.

(١٩) المرجع السابق، ص١١٤.

(٢٠) انظر: د. جلال أمين، العولمة والهوية الثقافية والمجتمع التكنولوجي الحديث، مؤتمر: «العولمة وقضايا الهوية الثقافية» المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٢ - ١٦ ابريل ١٩٩٨م، والمنشور بمجلة المستقبل العربي، العدد (٢٣٤)، أغسطس ١٩٩٨، ص٥٨.

(٢١) المرجع السابق، ص٥٩.

(٢٢) المرجع السابق، ص٦١.

(٢٣) المرجع السابق، ص٦١.

(٢٤) عبد الإله بلقزيز، العولمة والهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة، مجلة المستقبل العربي، العدد (٢٢٩) مارس ١٩٩٨م، ص٩٨.

(٢٥) عبد الإله بلقزيز، مرجع سابق، ص٩٩.

(٢٦) بول سالم، الولايات المتحدة الأميركية: معالم الهيمنة في مطلع القرن الحادي والعشرين، مجلة المستقبل العربي، العدد (٩٩)، ص٨٦.

(٢٧) بول سالم، مرجع سابق، ص٨٧.

(٢٨) المرجع السابق، ص٩٦.

(٢٩) د/ جلال أمين، مرجع سابق، ص٦٢.

(٣٠) المرجع السابق: ص٦٣.

(٣١) المرجع السابق، ص٦٤.

(٣٢) المرجع السابق، ص٦٥.

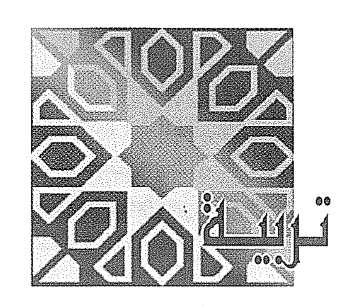
(٣٣) عبد الإله بلقزيز، العولمة والهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة، مجلة المستقبل العربي، العدد (٢٢٩)، مارس ١٩٩٨م، ص٩٣.

(٣٤) المرجع السابق، ص٩٤.

(٣٥) المرجع السابق، ص٩٤، ٩٥.

(٣٦) د. علي أحمد مدكور: الثقافة والحضارة في التصور الإسلامي، مؤتمر العمل الإسلامي: الواقع والمستقبل جامعة الأزهر.

(٣٧) عبد الإله بلقزيز، مرجع سابق، ص٩٦.



واجه الضغوط النفسية بهدي رسول الله ﷺ

بقلم : د. حسان شمسي باشا

الحياة مليئة بالضغوط النفسية، وما من أحد إلا ويتعرض لنوع من أنواع هذه الضغوط، والضغط النفسي ليس سيئاً بحد ذاته، ولكن الطريقة التي نواجه بها تلك الضغوط قد لا تكون حسنة.

وتختلف استجابة الناس للشدائد والضغوط النفسية، فمنهم من يتكيف ويسيطر على الوضع الذي هو فيه، ويكون جاهزاً للمجابهة والمواجهة، ومنهم من يبقى ماقتاً للشيء، مبغضاً للحال الذي هو فيه Aversive، ويبقى حذراً لمدة طويلة.

ومنهم من يذعن للأمر الجديد ويخضع له Subnissive.

والذين يواجهون ضغوطاً نفسية شديدة يشكون عادة من صداع في السطح العلوي من الرأس، ومن آلام عضلية في الرقبة والظهر، ولا ينامون نوماً هنيئاً، وقد يشكو بعضهم من الخفقان، أو الإسهال... أو الإمساك.

وقد سئل ابن عباس - رضي الله عنهما - : أيهما أضرُّ على البدن الغضب أم الحزن؟ فقال: «مجراهما واحد، والمعنى مختلف، فمن نازع من لا يقوى عليه أكمنه(١) ذلك، فصار ذلك حزناً، ومن نازع من يقوى عليه أظهره فصار غضباً»(٢).

ورحم الله ابن عباس ما أحسن حكمته، صحيح مجراهما واحد، فكلاهما يرفعان مستوى هرمون الأدرينالين في الدم... وكلاهما يزيدان من ضغط الدم، ويضرّان بالقلب. ومعظم الناس يتعرض لنوع أو لآخر من الضغوط النفسية، أو الهموم اليومية، فقد أجريت حديثاً دراسة على عائلات أميركية، فتبين أن ١٨٪ من الناس هناك فقط، من يعتقد أنه ليس بحاجة لخفض الضغوط النفسية المتراكمة على حياته.

ومن الناس من يثور غضبه عندما يتعرض لضغط نفسي، أو نوع من الشدائد، وقد وصف الرسول - ﷺ - الغضب بجمرة تُوقد في القلب.

«إن الغضب جمرة تُوقد في القلب»(٣).

وحثَّ ﷺ على كظم الغيظ فقال: «من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً»(٤)

وقال تعالى: يمدح الكاظمين الغيظ:

(والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) آل عمران:١٣٤.

ووصف ﷺ العلاج للغضب فقال:

«إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب، وإلا فليضطجع».(٥)

وهذا ما يشير إليه في القرن العشرين الأطباء النفسيون بـ«تغيير الحال الجسمية الظاهرة»، ويعتقدون أن ذلك التغيير يؤدي إلى ضعف الانفعال وإخماد ثورته.

كما أثبت العلم الحديث أن هرمون الأدرينالين يزداد أضعافاً مضاعفة أثناء الغضب، ويرتفع إلى مستويات أعلى عند الوقوف، في حين ينخفض في حال الجلوس والاضطجاع، فمن علَّم رسول الله - ﷺ - هذه الحقائق العلمية؟!!

كما وصف الرسول - ﷺ - الوضوء والصلاة لمن أصابه الغضب أو الهمّ أو الحزن، قال ﷺ : «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»

«وكان النبي - ﷺ - إذا حَزَبَهُ أمرٌ فزع إلى الصلاة».

ويقول: «جعلت قرة عيني في الصلاة».

وفئة من الناس تستسلم للضغوط النفسية، وتصاب بالحزن والاكتئاب، والهموم.

ومن أبرز الأعراض في تلك الحال: الشعور بالكآبة والحزن، والإحساس بالعجز واليأس والرغبة في البكاء، وقد تكون الأعراض مزيجاً من القلق والاكتئاب، وقد يتفاعل

الجسد مع الضغوط النفسية، فيصيبه الاضطراب المؤقت أو الدائم، ويشكو حينئذ الإنسان من أعراض مختلفة، تستمر أشهراً ولا نعرف لها سبباً، وأهمها الصداع والغثيان والإقياء وآلام مختلفة، كالدوخة وغيرها من الأعراض.

وقد ينسحب الإنسان، ويبتعد عن الناس.

وهنا ينبغي على الإنسان أن يسأل نفسه:

أأستطيع مواجهة كل المسؤوليات اليومية؟ وهل أكبت مشاعري وأحاسيسي، أم أفرغها لشخص أمين يمكن أن يفعل شيئاً حول تلك الأحاسيس؟

وهل ينبغي أن آخذ شيئاً من الوقت للاسترخاء كل يوم؟

وكيف ينجو الإنسان من هذه الهموم، ويخفف وطأة الضغوط النفسية؟

وهل يستطيع الإنسان بجهد إرادي أن يتعامل مع الضغوط النفسية بشكل واقعي وصحي؟

والحقيقة أن الإنسان يستفيد من خبراته السابقة في مواجهة الأزمات، في التغلب على المشاكل الجديدة.

والإنسان الحكيم من يكون لديه ما يشبه جهاز امتصاص الصدمات، فتتلاشى آثار تلك الضغوط النفسية عليه.

ولا شك أن الإيمان بالله والاستعانة به يزيد من كفاءة جهاز امتصاص الصدمات، والإيمان بالله يجعلنا نصبر على المكاره، وعدم الاستسلام لها، والصبر معناه تلقي الصدمة، وعدم الانهيار أمامها.

ومع تلقي الصدمة بثبات يبدأ الإنسان في محاولة السيطرة عليها، واحتوائها ومعالجتها، وقد يحتاج الإنسان إلى مساعدة شخص آخر، وهذا هو معنى التعاون والتآخي والمحبة، وكلها تقوي جهاز امتصاص الصدمات.

وكما يقول الدكتور عادل صادق: «فإن الذين يمرضون حقاً بفعل الضغوط النفسية هم الذين يفتقدون الحب في حياتهم، ويفتقدون مساندة وفهم إنسان آخر، ولا يجد من هو على استعداد للتضحية من أجلهم وقت الملمات.

فالإيمان بالله... والصبر ... والعلم... والخبرات السابقة... ثم حب الإنسان للإنسان، كل ذلك يشكل أقوى جهاز لامتصاص الصدمات وتخفيف الضغوط النفسية»(٦).

هدي الرسول ﷺ في علاج الكرب والهم والحزن:

حذَّر رسول الله - ﷺ - من كثرة الهموم فقال: «من كثر همه سقم بدنه»(٧).

ووصف - ﷺ - الاستغفار والدعاء دواء للحزن والهمّ، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله - ﷺ - قال: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هَمّ فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب»(٨).

وجاء في صحيح البخاري ومسلم أن رسول الله - ﷺ - كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم. لا إله إلا الله رب العرش العظيم. لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب الأرض، ورب العرش الكريم».

وفي سنن أبي داود عن أبي بكرة أن رسول الله - ﷺ - قال: «دعوات المكروب: اللهمّ رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح شأني كله لا إله إلا أنت».(٩)

وعن أسماء بنت عُمَيس قالت: قال لي رسول الله ﷺ : «ألا أعلمك كلمات، تقولين عند الكرب، أو في الكرب: الله ربي لا أشرك به شيئاً»(١٠).

ودخل رسول الله - ﷺ - ذات يوم إلى المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار يُقال له أبو أمامة، فقال: يا أبا أمامة ما لي أراك في المسجد في غير وقت الصلاة؟! فقال: هموم لزمتني وديون يارسول الله. فقال: ألا أعلمك كلاماً، إذا أنت قلته أذهب الله عزَّ وجلَّ همَّك، وقضى دينك؟ قال: قلت بلى يا رسول الله. قال: قلْ: «إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهمّ والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين، وقهر الرجال».

قال: ففعلت ذلك، فأذهب الله عزَّ وجلَّ همِّي وقضى عني ديني».(١١) ■

الهوامش:

١ - أكمنه: أخفاه، وكمن الغيظ في الصدر.

٢ - مساوئ الأخلاق للخرائطي ص٣١.

٣ - أخرجه الترمذي.

٤ - رواه ابن أبي الدنيا.

٥ - رواه أحمد وأبو داود وابن حبان «صحيح الجامع الصغير ٦٩٤».

٦ - العربي العدد ٣٨٢ سبتمبر ١٩٩١م.

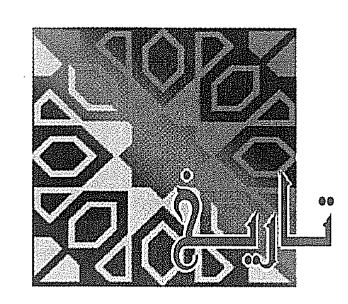
٧ - أخرجه ابن السني وأبو نعيم.

٨ - رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد.

٩ - رواه أبو داود (٥٠٩٠) وأحمد ٥/٤٢، والبخاري في الأدب المفرد، وسنده حسن.

١٠ - رواه أبو داود (١٥٢٥) وابن ماجه (٣٨٨٢).

١١ - رواه أبو داود (١٥٥٥) وفي سنده غسان بن عوف البصري، هو لين الحديث.



الهجرة من المراكز الأندلسية الساقطة بأيدي النصارى

امتد الفتح الإسلامي إلى ربوع شمال إفريقيا، فانتشر بها الدين الحنيف الذي كان للعرب دورهم الفعّال في تركيزه بها، فمنذ الربع الثاني من القرن الأول للهجرة، بدأت طلائع الفاتحين تصل إلى هذه المنطقة، ثم تغلغلت أفواجهم متجهة غرباً تؤدي رسالتها السامية في صقل عقول البربر من سكانها، وفي تطهير نفوسهم من أوشاب العقائد الزائفة، وتبشرهم بتعاليم الإسلام وشريعته العادلة، فدخلوا في دين الله أفواجاً، وأصبحوا من جنوده الأبطال، وأسهموا في دعمه، وخاضوا ميادين الجهاد مستبسلين، وما أن حلت سنة اثنتين وتسعين للهجرة، حتى فتح المسلمون جزيرة الأندلس(١) التي يفصلها عن طنجة المغربية مضيق، عرف بعد ذلك بمضيق جبل طارق بن زياد والي طنجة الذي كان أمير الجيش الإسلامي الفاتح، وبذلك بدأ التغلغل في القارة الأوروبية لرفع راية الإسلام بها، ونشر نوره في أرجائها، لإخراج أهلها من ظلمات الزيغ والضلال.

وعرفت الأندلس أزهى حضارة في ظل الحكم الإسلامي، وقد عاش بها كثير من العرب الوافدين من قبائل مختلفة، وكان للإسلام أثر في انصهارهم مع سائر السكان من أهل البلاد الأوروبيين المعتنقين للإسلام، ومن بربر المغرب الذين سبقوا إلى هذا الدين الحنيف.

وكانت قرطبة قاعدة العهد الأموي في هذه البلاد مركز إشعاع حضاري وتقدم علمي ومناخ ثقافي ممتاز، كان له أثر في دفع عجلة التقدم الأوروبي، ولكن الروح الصليبية أبت إلا أن تعكر صفو الحياة الإسلامية بالأندلس وتحرك العداوة، وتذكي جذوتها في نفوس النصارى، حتى لا تستمر عزة المسلمين في هذه الرقعة الأوروبية، وحتى ينحسر حكمهم عنها.

وها هو ذا الأستاذ «مكندريك» MEKENDRICK يحدثنا عن هذه الروح المقيتة: «إن هذه الروح الصليبية كانت قد انبعثت في أسبانيا منذ منتصف القرن الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي - إذ كان البابا، بإلحاح من رهبان ديركلوني، وكانوا غلاة في تعصبهم للكاثوليك وعدائهم للمسلمين، قد سمى شبه جزيرة إيبيريا سنة ٤٥٦هـ - ١٠٦٣م منطقة حرب صليبية ضد المسلمين، وبالتالي فإن حرب «الاسترداد» الأسبانية أصبحت منذ ذلك التاريخ أمراً يهم كل مسيحي أوروبي»(٢)واستمر الصراع بين الصليبيين والمسلمين قروناً، كان المدد المغربي خلالها يصل إلى الأندليسيين الذين توافرت لديهم قوة مناعة جعلتهم يصمدون فترة، ويستبسلون في الدفاع عن حوزة الإسلام ويذبون عن حماه.

وأخذت تظهر بوادر التقهقر عندما تمزق الشمل، وسيطر ملوك الطوائف على ممالك مشتتة تسرب إليها الضعف، لما استحكمت الأطماع وظهرت الفتن وتعذر رأب الصدع، فقويت لدى النصارى نزعة العدوان، وازداد تكالبهم على المراكز الإسلامية، وامتحن المسلمون في مواقع، وخسروا بعض مراكزهم ومواقعهم: «قرطبة سنة ٦٣٣هـ وبلنسية سنة

بقلم : أ.د محمد أبو الأجفان

٦٣٦، ودانية ومرسية سنة ٦٤١، وجيات سنة ٦٤٣، وشاطبة سنة ٦٤٤، وأشبيلية سنة ٤٤٦».

وتعالت صيحات الفزع والرثاء ونظمت أبلغ القصائد مسجلة هول الفجائع فاضحة لوعة على ضياع مناطق أندلسية مسلمة، ومن أشهرها قصيدة أبي البقاء صالح النفزي الرندي المتوفى سنة ٦٨٤هـ ومنها:

لكلِّ شيءٍ إذا ما تمَّ نقصانُ
فلا يغرُّ بطيبِ العيشِ إنسانُ
هي الأمورُ، كما شاهدتها دُوَلٌ
من سرَّه زمنٌ ساءته أزمانُ
وهذي الدارُ لا تبقي على أحدٍ
ولا يدوم على حال لها شانُ

إلى أن يقول:

قواعد كنَّ أركان البلاد فما
عسى البقاء إذا لم تبق أركان
تبكي الحنيفية البيضاءُ من أسفٍ
كما بكى لفراق الإلف هيمان
على ديار من الإسلام خالية
قد أسلمت، ولها بالكفر عمرانُ
حيث المساجد قد صارت كنائس
ما فيهن إلا نواقيس وصلبانُ
حتى المحاريبُ تبكي وهي جامدةٌ
حتى المنابرُ ترثي وهي عيدان(٣)

وانشغل الأندلسيون من سكان المناطق الباقية تحت الحكم الإسلامي بما أصبح يناوئهم ويجيرهم: حبل الأمن المنخرم، صراع الأمراء على السلطة، الفتن الملتهبة في بلدانهم، هجمات الأعداء الصليبيين، فقدان بعض الجنود في المعارك واستشهاد آخرين، الوضع السيئ لأسراهم والسعي لفك أسرهم، حال إخوانهم في المراكز والقواعد الساقطة بأيدي الأسبان، فقد حدا ضياعها بالكثيرين إلى الهجرة إلى البلاد الأندلسية المجاورة، وإلى اللجوء إلى المنطقة الغرناطية التي يحكمها بنو الأحمر، بل امتد ببعضهم طريق الهجرة إلى خارج حدودهم الأندلسية، فعبروا البحر إلى العدوة المغربية، وإلى البلاد التونسية، حيث وجدوا من إخوانهم الرعاية والمساعدة، مما خفف من هول مصابهم، فآووهم ومكّنوهم من الاستقرار ومن فرص العمل والإسهام في النشاط الاقتصادي، ثم كان الانصهار والاندماج الاجتماعي والتلاحم بين الأسر بالزواج والمصاهرة.

كان المهاجرون من مختلف طبقات المجتمع الأندلسي، ومنهم الماهر في بعض الصناعات وذو التجربة والمعرفة في الميدان الفلاحي، وفيهم ثلة

من العلماء والأدباء أسندت إليهم الخطط والمناصب في البلاد التي هاجروا إليها، فأثروا الحركة العلمية وعملوا على ازدهارها، يقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: «كان علماء الأندلس لشعورهم بسوء العاقبة - يعملون في الهجرة إلى ما جاورهم من بلدان، وكان مقصدهم من ذلك تلمسان والمغرب الأقصى ثم تونس، وبدخول رحالة الأندلس أصبحت هاته الأقليم وارثة العلوم الأندلسية»(٤)

هذا وإن بعض المهاجرين قد واصلوا الطريق - متجاوزين بلاد المغرب - ليستقروا ببعض بلدان المشرق الإسلامي.

ونذكر من العلماء الأندلسيين الذين هاجروا من الأندلس إلى البلاد التونسية وحطوا بها الرحال في عهد الدولة الحفصية التي احتضنت أهل العلم والأدب واستفادت من نبوغهم وطاقاتهم العلمية، نذكر هذه الثلة الممتازة:

- أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن الأبار (-٦٥٨).
- أبو بكر بن سيد الناس اليعمري (-٦٥٩ على الراجح).
- أبو الحسن علي بن موسى بن عبدالملك الغرناطي (-٦٨٥).
- أبو العباس أحمد الفهري اللبلي (-٦٩١).
- أبو يعقوب يوسف بن محمد المرسي أندراس الطبيب (-٧٢٩).
- أبو عبدالله محمد بن جابر الوادي آكسي (-٧٤٩).

وقد نوه المؤرخون بالأثر الفعّال الذي كان لهؤلاء المهاجرين في حياة البلاد التي حلوا بها واستقروا بين أهلها، ينعمون بحسن الاستقبال، ويرتبطون معهم بأواصر الأخوة الدينية التي تتحطم إزاءها الحواجز، وتذوب الفوارق، ويتم التآلف الذي تقتضيه الحياة الاجتماعية السلمية.

ومن المسلمين الذين سقطت بلدانهم من واصل إقامته بها ولم يهاجر، لم يهن عليهم ترك الوطن والتخلي عما يملكون، ولعلهم اعتبروا الهجرة مغامرة مصيرها مجهول، ولعل حواجز حالت بين بعضهم وبين الهجرة.. ولكن الخناق اشتد عليهم، وقبضة العدو الصليبي لم تهادنهم، فأجبر الكثير منهم على التنصر، وأخفى البعض إيمانه خوفاً من البطش الشديد، وأطلق على هؤلاء عبارة المدجنين «واحدهم مدجن» وسموا كذلك بالموريسكيين، «واحدهم موريسكي»، ومن الباحثين المعاصرين من اهتم بنبش الوثائق القديمة الأسبانية للبحث عن طبيعة حياتهم في المجتمع الصليبي الذي كان ينبذهم وعن عاداتهم وظروف عيشهم القاسية واستهدافهم لويلات العقاب والظلم، وما يكتنف وضعهم من أخطار داهمة، وما تتعرض له معالم دينهم من وسائل الطمس. ومن هؤلاء الباحثين نشير إلى باحث أوروبي هو الدكتور «لوي كاردياك» من جامعة «مونبيلياي» في فرنسا، فقد كتب دراسة نال بها درجة الدكتوراة عنوانها «المورسكيون الأندلسيون والمسيحيون: المجابهة الجدلية: ١٤٩٢ - ١٦٤٠» طبعت بالفرنسية سنة ١٩٧٧م في فرنسا، ثم ترجمت إلى الأسبانية وطبعت في مدريد سنة ١٩٧٩م، ثم ترجمت إلى العربية وطبعت في تونس سنة ١٩٨٣م.وقد أكد هذا الباحث أن الموريسكيين أصبحوا مجبرين على حمل أسماء أسبانية، وأن عاداتهم الإسلامية استمرت معهم فترة طويلة بقوا فيها متمسكين ببعض المقومات الدينية، وأنهم أجبروا على إخفاء عقيدتهم على وجه التقية حذراً من عرضهم على محاكم التفتيش التي تسلط عليهم أقسى العقاب، وأن بعض تصرفاتهم تجلب لهم المحن، فمن ذلك أن جماعة من فلاحيهم سيقوا إلى دواوين التحقيق لأنهم كانوا يحصدون ولما قدم إليهم الغذاء أعرضوا عن تناوله لأنه مطبوخ بشحم الخنزير، فوشى بهم أحد المسيحيين(٥). ومن ذلك أن إحدى الموريسيكيات نبهت جارتها الموريسيكية التي تطبخ الخنزير إلى أنه حيوان نجس، فأجري معها التحقيق لدى محاكم التفتيش.

وهناك موريسكية أخرى لم تعلق صليباً في غرفة نومها، فبلغ خبرها ديوان التفتيش، فقام باختبارها فوجد أنها لا تحسن صلاة المسيحيين ولا تجيد طقوسهم، فاتهمت بممارسة العبادات الإسلامية في الخفاء واعتبر ذلك ضلالاً بيّناً تستحق عليه العقاب(٦).

وتحدث الباحث المذكور عن موقف الآباء المسلمين من تعميد أبنائهم في الكنيسة جبرا، فقال: «نظراً إلى أن الآباء الموريسكيين لايقدرون على رفض تعميد أطفالهم، فإنهم يسارعون بعد رجوعهم من الحفل إلى غسل رأس الطفل غسلاً دقيقاً جيداً وفركة بعد ذلك بلباب الخبز، محاولة منهم لإلغاء تأثيرات التعميد».

وذكر أن المسلمين ينظمون لقاء ودياً في مساء يوم التعميد تتلى خلاله آيات من القرآن الكريم، للوقاية مما حصل من التعميد والطقوس المسيحية التي أجبروا عليها.(٧)

كما ذكر أن طائفة منهم لها معرفة بأحكام الإسلام كانت تتولى التعليم الديني والوعظ وبيان الأحكام الشرعية في كنف السر، وإذا بوغت أحدهم عند قيامه بذلك يساق إلى سجون محاكم دواوين التفتيش، وقد واصل أحدهم القيام بهذه المهمة داخل السجن الذي سجن فيه في مدينة طليطلة الساقطة.(٨)

وقدم الباحث إحصاءات تعرّف بعدد الذين أحرقتهم دواوين التفتيش، وعدد الذين سلطت عليهم عقوبات أخرى.(٩)

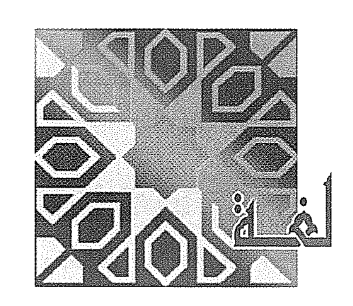
مع هذا الجو الخانق لعيش الأندليسيين في المراكز الساقطة، تصبح الهجرة أفضل طريق للخلاص، يضمن النجاة من كيد العدو الصليبي والفرار بالنفس وسلامة العقيدة والأمن من الفتن، وهل يوجد لدى المؤمن ما هو أعز عليه وأغلى عنده من عقيدته وعقيدة أبنائه وأحفاده.

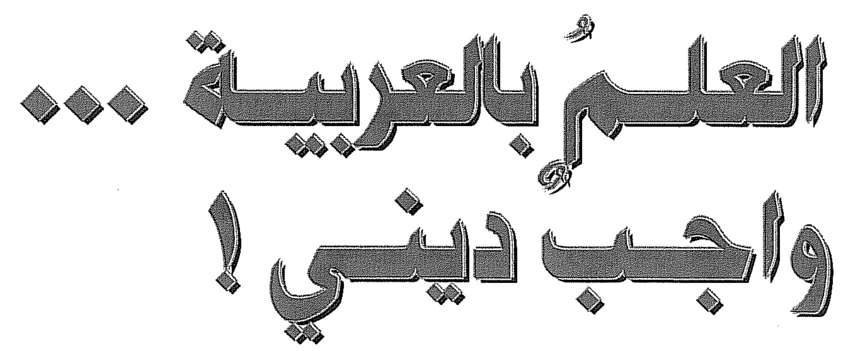
إن إيماننا هو أجلّ نعم الله علينا، وكل ما يصيب المؤمن في جسمه وأهله وماله يهون إذا سلمت عقيدته ولم يتزعزع إيمانه، ولم يفتن في دينه، ولم يتعطل أداء شعائره وعباداته التي يقوى بها إيمانه وتبرأ بها ذمته ويتقرب بها إلى ربه سبحانه.

والملاحظ أن هجرة الأندلسيين من البلاد الساقطة بأيدي الكفار إلى البلاد الإسلامية، في منطقة غرناطة التي تأخر سقوطها، أو في المناطق المغربية والمشرقية التي تعيش تحت ظل الحكم الإسلامي، قد صدرت في شأنها فتاوى اشتملت على آراء الفقهاء، وأوضحت الحكم الشرعي لها مع مراعاة الأحوال والملابسات، كانت تلك الفتاوى مواكبة للأحداث الأندلسية والأوضاع المتقلبة مبرهنة على مسايرة فقهائنا للحوادث والنوازل الطارئة، وسنرى بعض هذه الفتاوى في موضوع لاحق. ■

الهوامش:

١ - جذوة المقتبس، للحميدي: ٥.
٢ - بحث الأستاذ أمين الطيبي: مدينة لشبونة الإسلامية من الفتح العربي حتى سقوطها في أيدي الصليبيين، ضمن كتابه: «دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٤٢، وينقل عن كتاب «مجمل لتاريخ أسبانيا ص ٦٧ - ٦٨ بالإنكليزية».
٣ - أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس، للدكتور رضوان الداية ص ١٣٤ وما بعدها.
٤ - أليس الصبح بقريب، لابن عاشور: ص ٧٩ - ٨٠.
٥ - الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون، تعريب د. عبدالجليل التميمي: ص٢٨.
٦ - المصدر نفسه: ص ٣٦.
٧ - المصدر نفسه: ص٣٦.
٨ - المصدر نفسه: ص٧٨ - ٧٩.
٩ - المصدر نفسه: ص١٠٦.





العلمُ بالعربيةِ ... واجبٌ ديني!

بقلم: د. محمد السيد علي بلاسي

وُضعت اللغات لدى شعوب الأرض لإقدارها على التفاهم والتواصل، وحملت اللغات رسالات السماء إلى الأرض، وتمكّن الخلق بوساطتها من تنظيم فكره وتطويره. واللغة العربية حملت آخر تلك الرسالات، وأريد لها أن تكون لسان الوحي، وقُدر لها أن تستوعب دليل نبوة الإسلام، واختزال مضامين الرسالات السابقة، والانطواء على المنهج الذي ارتضاه الله لخلقه إلى يوم الدين.(١)

«قد كانت دراسة اللغة العربية عند الأقدمين مرتبطة بالعامل الديني، ونتيجة لهذا الارتباط الوثيق، فقد خلفت لنا العصور الأدبية على امتداد التاريخ اهتماماً كبيراً بلغة القرآن سواء فيما يتصل برصد مروياتها من الآثار الأدبية من شعر ونثر، أو فيما يتصل بإحصاء مفرداتها، وتسجيل أوابدها وغرائبها في المعجمات والقواميس اللغوية، أو فيما يتصل باستنباط القواعد والأسس التي تُعني بسلامتها، والمحافظة على أصولها الموروثة، ووضع الدراسات اللغوية الخاصة باكتناه أسرارها، والكشف عن خصائصها ومميزاتها»(٢).

ويقرر هذا أبو منصور الثعالبي (٣٥٠ - ٤٢٩هـ)، إذ يقول: «من أحب الله - تعالى - أحب رسوله محمداً - ﷺ - ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإيمان، وآتاه حسن سريرة فيه، اعتقد أن محمداً - ﷺ - خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد.

ثم هي لإحراز الفضائل، والاحتواء على المروءة، وسائر أنواع المناقب كالينبوع للماء، والزند للنار، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصارفها، والتبحر في جلائلها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة التبصر في إثبات النبوة التي هي عمدة الإيمان لكفى بهما فضلاً، يحسن فيهما أثره، ويطيب في الدارين ثمره»(٣). فاللغة العربية ليست مادة لفظية وأصواتاً مسموعة فحسب، لكنها - إلى جانب ذلك - طاقة فكرية وعلمية وشعورية تحمل في مضمونها فعاليات النشاط الإنساني والحضاري بأبعاده وألوانه. والعالم بدوله وشعوبه لن يفهم العرب حق الفهم، ولن يدرك الإسلام وحضارته تمام الإدراك إلا بوساطة اللغة العربية، ذلك المفتاح السحري القادر على إزاحة الستار الحديدي أمام العالم لفهم حقيقة العرب والمسلمين.(٤)

وجوب تعلم اللغة العربية

والعربية ليست كأي لغة من اللغات الأخرى! بل هي فريدة من نوعها، اصطفاها الله من بين اللغات جميعاً لتكون وعاء لكتابه الخالد: «القرآن الكريم»، كما اختارها لتكون لسان نبيه الأمين، لذا أوجب الشارع الحكيم تعلمها، حتى يفهم مقاصد الكتاب والسنة.

يقول الإمام الشافعي - رحمه الله -: «فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك»(٥).

وأرجع شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - رحمه الله - الخلط في الدين - عند أهل البدع - إلى قلة فهم اللغة العربية، فيقول: «لابد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ وكيف يفهم كلامه، ومعرفة العربية التي خُوطبنا بها مما يُعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك ضلال أهل البدع كان لهذا السبب، فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدّعون أنه دالٌّ عليه ولا يكون الأمر كذلك»(٦)

ويؤكد هذه الحقيقة الجاحظ (١٥٩ - ٢٥٥هـ): إذ يقول: «للعرب أمثالٌ واشتقاقاتٌ وأبنيةٌ وموضعُ كلام يدل عندهم على معانيهم وإرادتهم... فمن لم يعرفها جهل تأويل الكتاب والسنة والشاهد والمثل، فإذا نظر في الكلام وفي ضروب من العلم، وليس هو من أهل هذا الشأن هلك وأهلك»(٧).

من هنا، أوجب شيخ الإسلام ابن تيمية على المسلم تعلم اللغة، فقال: «إن معرفة اللغة من الدين ومعرفتها فرض واجب، وإن فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»(٨).

ولعل هذا هو ما دفع العلامة أحمد بن فارس (٣٩٥هـ) إلى إفراد باب في كتابه «الصاحبي» تحت عنوان: «باب القول في حاجة أهل الفقه والفتيا إلى معرفة اللغة العربية»، يقول فيه: «إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلم من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب، حتى لا غناء لواحد منهم عنه، وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب، ورسول الله - ﷺ - عربي، فمن أراد معرفة ما في كتاب الله - عز وجل - وما في سنة رسول الله - ﷺ - من كل كلمة غريبة أو نظم عجيب، لم يجد من العلم باللغة بداً»(٩)

وغاية القول: إن فهم النصوص هو منطلق البحث عن الأدلة الشرعية، والفهم موكول إلى المعرفة الدقيقة باللغة، وبتصاريف القول فيها: إذ لا يتأتى استنباط حكم لا تقتضيه طبيعة اللغة.

فالمعنى الشرعي يؤخذ من الدليل اللفظي، وقد يستدل عليه بغير اللفظ، ولكن يظل اللفظ دالاً على المعنى التابع لقصد المتكلم، فاللفظ في تصور الأصولي هو دليل الحكم على صحة الفكر أو خطئه، إذ اللغة ترجمة لما يجرى في الفكر، من هنا أخذت اللغة عند الأصوليين منحنى علمياً أصبحت به وسيلة لاستنباط الحكم، تتجه إلى الاصطلاح وتخاطب العقل. والشافعي في وضعه للأصول المعتمدة في فهم النصوص وتأويلها

اعتمد منطق اللغة العربية، وقد أورد السيوطي (٩١١هـ) ـ قول حرملة بن يحيى: «سمعت الشافعي يقول: «ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان لعرب وميلهم إلى لسان أرسطو طاليس... ولم ينزل القرآن ولا أتت السنة إلا على مصطلح العرب، ومذاهبهم في المحاورة والتخاطب والاحتجاج والاستدلال لاعلى مصطلح اليونان، ولكل قوم لغة واصطلاح»(١٠)

وهكذا يتضح أن المنهج في استنباط الحكم من النص أسس على منطق العربية، وابن خلدون وهو يؤرخ للعلوم في الحضارة الإسلامية أطلق علوم اللسان العربي على علوم العربية، وجعلها أركاناً أربعة: اللغة والنحو والبيان والأدب، وقرر أن «معرفتها ضرورية على أهل الشريعة، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهي بلغة العرب، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب، وشرح مشكلاتها من لغاتهم، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة»(١١)

الحملة على اللغة حملة على الدين

بدهاء شديد ومكر خبيث اتخذ أعداء الإسلام اللغة العربية بوابة خلفية، للنيل من المسلمين وإبعادهم عن عقيدتهم، واستخدموا صنوفاً من المكائد للوصول إلى مآربهم الخسيسة ومراميهم الدنيئة، وهي كثيرة ومتنوعة!

ويحدد الأستاذ محمد قطب بعض الخطوات التي اتبعها أعداء الإسلام لضرب الدين عن طريق اللغة، فيقول(١٢): حينما تولى «المستر دنلوب» القسيس الثري عيّنه كرومر مستشاراً لوزارة المعارف ـ جاء دنلوب ليضرب الأزهر على الأسلوب البطيء الأكيد المفعول، ففتح مدارس جديدة تعلّم العلوم الدنيوية، ولا تعلّم الدين إلا تعليماً هامشياً، أما من ناحية اللغة العربية: لغة القرآن الذي يحترق قلب الصليبية حقداً عليه، فقد خطط دنلوب لقتلها والقضاء عليها، فكان الراتب الذي يتقاضاه المدرسون من أصحاب المؤهلات العليا «اثني عشر جنيهاً» إلا مدرس اللغة الرعبية وحده يتقاضى «أربعة جنيهات!»، وكان لهذا الوضع انعكاساته ولا شك سواء في داخل المدرسة أو في المجتمع.

ففي المدرسة: لم يعد مدرّس اللغة العربية هو المقدم، بل أصبح في آخر القافلة! يتقدمه المدرسون جميعاً حتى ذوو المؤهلات المتوسطة، بل يتقدمه ـ في الراتب ـ فراش المدرسة ـ أحياناً ـ إذا كان ذا أقدمية؟!! ومن ثم لم تعد له كلمة في المدرسة، فلا هو مستشار في شؤونها، ولا هو يشارك في شيء من إداراتها، ولم يعد له حتى عند التلاميذ أي احترام ولا أي حساب.

أما في المجتمع: فهو أشد ضياعاً منه في المدرسة، فالناس جميعاً يعلمون وضعه المالي، ويعلمون أنه في ذيل القائمة، وأن المدرسين الآخرين مقدمون عليه في الراتب والاحترام!

وهكذا يتحدد وضع مدرّس اللغة العربية في المجتمع بقدر ما يتحدد راتبه ويصبح مادة دائمة للسخرية، يتحدث الناس عن جهله وتخلفه وضيق فهمه وانحطاط مستواه الاجتماعي والفكري، وأشد ما يعاب عليه أنه لا يعلم اللغة الأجنبية! وحين أصبح مدرّس اللغة العربية في هذا الوضع المهين الذي لا يبعث على الاحترام، فإن وضعه يؤثر حتماً على المادة نفسها، وهذا هو الهدف المقصود.

وبالفعل، انتقل هذا الوضع المهين المزدري من المدرس إلى المادة، وبذلك أصبحت اللغة العربية موضع الازدراء والنفور، فالطلاب يشكون من صعوبة اللغة من نحو وصرف وبلاغة ونصوص وأدب.

وهكذا صُوِّبت السهام إلى اللغة العربية من كل جانب، ولم تعد شيئاً يعتز به المسلم العربي كما كان يعتز به طيلة ثلاثة عشر قرناً من قبل، بل أصبحت معرة يسارع الإنسان إلى الانسلاخ منها وتمتين العيب فيها، والانتقاد عليها، لكي يصبح من المثقفين!! ولم يكن بد من أن ينتقل هذا الوضع المزري من اللغة ذاتها إلى ما هو مكتوب بتلك اللغة، وكان هذا هو الهدف الأخير المطلوب من ذلك التخطيط الخبيث!

فالمكتوب باللغة العربية هو ذات الأمر كله، وهو القرآن الكريم، والمطلوب هو: صرف الأمة عن تراثها كله وعلى رأسه القرآن الكريم، وانصرف الناس بالفعل عن قرآنهم وتراثهم بالتدريج، فلم يعودوا يشعرون أنه هو الزاد إنما الزاد هو المكتوب بلغة السادة الغالبين!

وقد تم بالفعل صرف المسلمين في تركيا عن تراثهم الإسلامي بتغيير الحروف العربية، وكتابة اللغة التركية بالأحرف اللاتينية على يد كمال أتاتورك وتصفية اللغة التركية من معظم الكلمات العربية التي تتضمنها، لتنشأ أجيال تعجز عجزاً كاملاً عن الاتصال بتراثها الإسلامي، فتنقطع عنه وتنشأ بلا دين، وقد قامت في مصر محاولات مشابهة على يد عبدالعزيز فهمي وغيره، ولكنها ولدت ميتة ولم يقدر لها النجاح.

وبعد، فلنفسح المجال لأديب العربية الكبير مصطفى صادق الرافعي، لنجدد معه صرخته التحذيرية التي تفضح النتائج المنشودة من وراء الحملة المسعورة على لغة القرآن الكريم، إذ يقول:(١٣) «ما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار، ومن هنا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضاً على الأمة التي يستعمرها ويركبهم بها ويشعرهم عظمته فيها، ويحكم عليهم أحكاماً ثلاثة في عمل واحد: فالأول: تحبس لغتهم في لغته سجناً مؤبداً، والثاني: الحكم على ماضيهم بالقتل محواً ونسياناً، والثالث: تغيير مستقبلهم بالأغلال التي يضعها، فأمرهم من بعدها لأمره تبع».

أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تحل بكم الكارثة، وليت ساعة مندم ووقتها لا ينفع الندم! ■

الهوامش:

١ ـ العلم باللغة العربية... ضرورة عقيدية: للدكتور عباس أرحيله، ص٨٢ ـ بتصرف يسير ـ «مقال منشور بمجلة منار الإسلام: عدد محرم ١٤١٥هـ».

٢ ـ مقالات وآراء في اللغة العربية: للدكتور حمد بن ناصر الدخيل، ص٥٣، ٥٤، الطبعة الأولى ـ دار الشبل بالرياض، سنة ١٤١٥هـ.

٣ ـ فقه اللغة العربية وسر العربية: للثعالبي، (المقدمة) بتحقيق السقا وآخرين، ط. الحلبي سنة ١٣٩٢هـ.

٤ ـ مقالات وآراء في اللغة العربية: ص٥٨ ـ بتصرف يسير.

٥ ـ الرسالة: للإمام الشافعي، تحقيق أحمد شاكر.

٦ ـ الإيمان: لابن تيمية، ص ١١١.

٧ ـ الحيوان: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ١/١٥٤، الطبعة الثانية ـ مصطفى الحلبي، د.ب.

٨ ـ اقتضاء الصراط المستقيم: لابن تيمية، ص ٢٠٧.

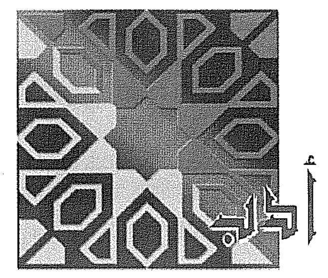
٩ ـ الصاحبي: لأحمد بن فارس، تحقيق أحمد صقر، ص ٥٠، الطبعة الأولى ـ عيسى البابي الحلبي، سنة ١٩٧٧م.

١٠ ـ العلم باللغة العربية... ضرورة عقلية: ص٨٧، وانظر صون الكلام عن فن المنطق والكلام: للسيوطي، شرح وتعليق الدكتور سامي النشار، ص٤٥، الطبعة الأولى ـ السعادة، سنة ١٩٤٧م.

١١ ـ المرجع السابق: ص ٨٧، وراجع مقدمةابن خلدون، تحقيق د. علي عبدالواحد وافي ٣/١٢٢٤، ط. ٣٠، دار نهضة مصر للطبع والنشر، سنة ١٩٧٧م.

١٢ ـ واقعنا المعاصر: محمد قطب، ص ٢٢٢، ٢٢٣.

١٣ ـ وحي القلم: للرافعي، ٢/٣٣.



الحداثيون والتركيب المنسق للكون

بقلم: محمد السيد

١ - الحداثيون والترجمة والعقل

إن ترجمة رديئة وبائسة للحداثة «العملياتية» يجري تثبيتها، وقسر مجتمعاتنا العربية والإسلامية على التعامل مع املاءاتها المشوهة، التي أنتجت عقلية، حاولت شطب كل خطوط النفس الإنسانية الأخرى، الروحية والأخلاقية والتربوية، مستخدمة سلطات الدولة الغاشمة، في عملية تبادلية منفعية، توظف السلطة فيها سطور تلك الحداثة لتغطية أبراج التجبر المقيت، كما يوظف أصحاب تلك السطور السلطة من أجل الامتداد واحتلال المواقع المتقدمة في قاعات الثقافة والفكر، التي أصبحت نهباً لكل متسول لصرعات أتت أكلاً مراً ودامياً في مواطنها الأولى، حيث نبتت نباتاً كأنه رؤوس الشياطين.

لقد كان للهزيمة النفسية، التي أنتجتها عملية الانبهار بالإنجازات العلمية والفلسفية الغربية فعلها السلبي في قطاع غير قليل من المثقفين العرب والمسلمين، سواء كان ذلك في المجال العلمي أو المجال الفكري أو حتى في المجال الأدبي، إذ خطا فيه الحداثيون خطوات شاسعة على طريق الفصام والتجزيء للنفس الإنسانية، وجعل العقل معياراً وحيداً يقود قافلة التقدم، مما أدى إلى تيه من التخبط العلماني، سار بركب الثقافة العربية والإسلامية في سبل انعزالية، لا تستند إلى أي مرجعية أو ثوابت تمنعها من الانسحاق والالتحاق بالآخر، أو حتى أن تحفظها من ذوبان لا تجد لها بعده أي وجود، مدعية: أن اعتماد أي مرجعيات أو ثوابت لا يشكل إلا قيوداً مثبطة لنقل القدم إلى الأمام ولو جزءاً من نقلة، جاعلة من العقل وما يفعل وما يفكر وما يرى نهجاً غائياً، يخضع له كل نص أو كل همس، أو كل قدم تنتقل، إلى الخلق... إلى الأمام... ليس مهماً، وكل ما عدا العقل من روح، من خلق من كتاب الله، من قدسي، من نوازع إنسانية، ومسارات تاريخية، وشواهد موحية ليست إلا مثبطات منصوبة على الطريق، القصد من وجودها تأخير انطلاقة العقل المنفلت عند هؤلاء، فهو يجوب معهم في ثنايا سطور مترجمة شوهاء، لا يفقه حاملوها ومحاولو نشرها - في أبسط الحالات - أبعاد مراميها، وذلك ضمن ظروف بدا فيها هؤلاء أنهم يخدمون ضد الأصالة، دون امتلاك روح نقدية انتخابية، تستطيع التمييز بين ما هو نافع وما هو مدمر، إلى درجة أن المفكر د. محمد عابد الجابري أطلق قوله المعروف: «اللغة العربية ليست لغة تاريخية... إنها لغة بدوية، مضادة للحضارة، إن انحطاط العقل العربي يرجع إلى اللغة العربية وعصر التدوين».

مع أنه يعرف حق المعرفة أن هذه اللغة الرائعة حملت الحضارة الإنسانية قروناً طويلة، وأنجبت من هذا الحمل أفكاراً ونظريات وقواعد علمية وفلسفية واجتماعية، أضافت لسابقتها من المواليد رائعات لم تُسبق إليها، وظلت شعوب العالم تدين لها ولنسقها التجريبي والإنساني والأخلاقي وحتى السلوكي أزماناً وأزماناً، ثم نام أصحابها بعد ذلك عن التقدم بها، بسبب رجال من أمثال هؤلاء الحداثيين، الذين يتخيلون التقدم بوساطة أفكار منبتة لا جذور لها تمدها بأسباب الحياة، وهي في الوقت نفسه تمد جذوعاً وأغصاناً شائهة «منغولية» الشكل والتفكير والتوجه، هجينة مذبذبة، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء هي منتمية.

٢ - بؤس ونتائج

ولقد تجلى بؤس أولئك الحداثيين أكثر ما تجلى في أحضان النقد الأدبي، حيث كان خطابهم النقدي الحداثي لا يقل في الغموض ومحاولات الإبهام عن المشاركة عن نصوص الإبداعيين الحداثيين، الذين راحوا يكتبون ما يكتبون ليتداولوه وحدهم، بعيداً عن الأحضان الدافئة للمشاركة والممازجة والتفاعل والتجاوب الإيجابي، الذي يبتغيه أي مزاول لمهنة الإبداع، وكان ما أنجبه هؤلاء من خلال تزاوجهم مع مترجمات النقد والإبداع شبيهاً بما كان يحدث في بعض قطاعات الإنشاءات في فترة من الفترات في بلد شآمي معروف، إذ كان المقاولون يرفعون أسعار الأبنية بشكل مبالغ فيه، بينما هي - في واقع الحال - لم تكن تتداول إلا فيما بينهم، والفرق بين هؤلاء الحداثيين وتجار البناء الذين ذكرنا، أن هؤلاء الأخيرين انتابتهم لحظة صحوة، بعد أن فقدوا السيولة، نتيجة لعدم التعامل مع الجمهور، فراحوا يبيعون ويبيعون بأي سعر ولو بالخسارة، كي يعوضوا لحظات الضياع والوهم التي عاشوها.

في حين ظل الحداثيون حتى اللحظة، يعيشون في حال إغماء عميقة، عن الحقيقة القائلة: إن معظم ما يكتبون، لا يستطيع أحد أن يتداوله، ولايستطيع عقل أن يحل رموزه المستغرقة في العبث، الذي لايحمل أي معنى، إن مزاولة الكتابة عن طريق العيش في حال الغياب هذه أورثت الأمة تلك النتائج التي تحيا فينا، قمعاً لكل ما هو جميل

ومفيد، وتهميشاً لكل رأي مخالف للسلطات التي دعمت نفسها بنصوص ذلك الغياب، ومحاولة عنيدة ولكنها يائسة لاختراق بناء هذا الكون المركزي التكوين والحركة، ذلك لأنه لا يمكن للأقزام المساس بشيء من هذا البناء القائم بقدرة الخالق، والمستمر في نسقه المنسجم إلى ما بعد هؤلاء وغيرهم، وإلى ما شاء الله.

٣ ـ كهنة وكهانة ورد

إن كلمات كهنة هذا الاتجاه لن تطاول أقدام البناء الكوني المتسق، وإنما هي محاولات لا تنم إلا عن بؤس أصحابها.

إن أدونيس الذي يقول: «ماتت مخيلة صديقي، فامتلأ عقله بالتعاليم والتوابيت والمسوخ»، وقصده من هذه الكلمات التي أصبحت بالية مع الرد معروف، والجابري الذي ينعى إلى العالم فقدان العقلانية من حضارة الإسلام، ليسا إلا مخلبين في أصابع القط الذي بدأ يفقد بريق عينيه، وراحت تتكسر مخالبه واحداً تلو الآخر، وأخذت أمراض جسمه تأكل انتفاخته شيئاً فشيئاً، وبدأت قفزاته ومحاولاته لاختراق البناء المنسق المنسجم تخمد رويداً رويداً ...

ولكن المواجهة المؤنسة، والثورة الشجاعة، والمراجعة الفذة، تحتاج كلها إلى حزم ولو من رجل واحد، يبدأ القصة من عند فيض نور الإسلام، فهو العز الذي لا ذل معه، كما قالت رابعة العدوية لسفيان الثوري.

لقد طال مكوثنا عند كيل الشتائم للحداثيين ونصوصهم النقدية والإبداعية، ولابد من تشمير أذرع الحزم والعزم، من أجل البناء فوق الأساس والأصول، رغماً عن أدونيس الضائع التائه في زورق ليس له قاع، تتناوشه التيارات، وهو معلّق بحوافه التي تهتز، وتكاد تنخلع من مكانها بفعل الأمواج العاتية.

كما أنه مضى علينا ردح طويل من الزمن، جعلنا فيه الآخر وثناً، وجعلنا محاولة الوصول إلى محاورته الركيزة الأهم في حياتنا الثقافية، النقدية منها والإبداعية.

ولما كنا داخلين في هذه المعركة، بلا سلاح من قراءة عميقة لأساساتنا، نبني فوقها نظريتنا النقدية الخاصة، ونتخذ لها مصطلحات مناسبة، استطاع هذا الآخر أن يدخل بيوتنا من دون استئذان، وأن يحتل كثيراً من غرف معيشتنا، ورحنا من خلال هذه الحال نفتش عن الهوية، لنبرزها في مواجهة هذا الدخيل الذي استخف بنا، فأبدى المعوّمون منا في سوق الثقافة كثيراً من الجهل بهذه الهوية، وبدل الخروج من حال الهوان هذه، دخل هؤلاء في حال هوان أشد تتمثل في حيرة تامة في ظل التقليد المترجم، فأصبح حالهم كحال الغراب، الذي لم يستطع العودة إلى مشيته، ولا استطاع تقليد قفزات العصفور المنتشية بالنصر.

٤ ـ حالتان من حالات الذيلية

إن التعددية والانفتاح في الثقافة وغيرها أمران مشروعان، إذا كان الذي يمارسهما مستوفياً شروط الشخصية القابلة للتأثر النقدي الانتقائي، بعيداً عن قابلية الذوبان والانقراض، إن الذيلية هي أخطر ما يواجه الناقد العربي والإسلامي كمثقف، منذ بدء ما يسمى عصر النهضة في أوطاننا، وذلك بسبب أن هذه الذيلية تتماهى في صيغتين، وطنية وحضارية خادعتين، ففي حال التماهي بالصيغة الوطنية، يكون هذا المثقف ذيلاً للسلطات المختلفة الطاغية غير القابلة لأي رأي آخر، فهي استقصائية قمعية ترفض كل فكر أو رأي أو ممارسة خارجة عن الحدود التي رسمتها، ظانة نفسها خارجة من قمقم المنقد، الذي لا يبارى، ولا يُرد عليه، من أجل عيون الوطن والصالح الوطني، اللذين اختزلا اعتسافياً في حكمه الشخصي وسلطاته التي يجب أن تستمر إلى الأبد، وإلا فإن عكس ذلك خيانة للأوطان، وخيانة للثقافة والحضارة، وداخل هذه الحال من التماهي عمل كثير من الناقدين والمثقفين على تثبيت وتطويل أمد محنة الثقافة، لاهثين وراء المنصب أو الشهرة أو الحظوة.

إننا ونحن نثبت هذه الملاحظة، لا نغمض العين عن الكثير من النصوص التي كتبها هؤلاء، وطرحوها في الأسواق السوداء، وهي تحمل وجهاً خادعاً من النقد للسلطات الحاكمة أو سلطات الفكر والثقافة، كما أنه لا يفوتنا في هذا المقام أيضاً أن نشير إلى قضية خدعت الملايين من المعجبين، الذين غابت عن بصائرهم تلك القضية المهمة، وهي أن معظم تلك النصوص الناقدة، لم يتطرق أبداً إلى جوهر وأسّ الخلل الذي صنعته السلطات، بل كانت تلامس عرض الخلل، والممارسات الظاهرة، دون أن تمسّ القاعدة والأسس، التي تقف عليها تلك السلطات، والتي تنطلق مع هذه الأصوات الناقدة من قاعدة واحدة، تؤكد أن روح العصر التي نريد أن نلحق بها، هي الروح السائدة في أوروبا وأميركا، تلك التي تريد أن ينتهي التاريخ عند أقدامها، لتكمل طوق الهيمنة المطبقة في كل أنحاء الدنيا، تحت مسمى جديد يدعى «العولمة».

أما في حال التماهي بالصيغة الحضارية، التي تتجلى فيها صورة المثقف «الناقد أو المبدع» فهي حال يقع فيها المثقف في مربع الوهم، الذي يجعله عائماً فوق سطح مسلمات مشكوك فيها دون أن يدري، أو أنه يدري ولكنه قبض الثمن، وهي حال وقع في وهمها الكثيرون، خصوصاً عندما وجد هؤلاء من يصفق لهم طويلاً، وقد زلت قدم الأستاذ محمد عابد الجابري في مثل هذا الوهم المبسّط، حين قال: إن الحضارة الإسلامية أنتجت عقلاً لا عقلانياً، وأن العقل اليوناني وحده المثل للعقل الإنساني.

ولقد أسقط هؤلاء جميعاً في هذا الوهم خضوعهم لتأثير مخدر التقدم بلا ثوابت، مما جعلهم في وضع نفسي وتركيبي يزري بكل ما هو تابع للهوية الذاتية، ويعلي ـ بشكل فاضح ـ كل ما يأتي من الضفة الأخرى، وهي حال شبيهة بحال «المضبوع» الذي يقع تحت تأثير الصدمة الأولى التي واجه فيها الضبع، فلحق به ذاهلاً عما يدور حوله، ظاناً أنه يخترق مسافات الطريق إلى حمى الأمان، وخادعاً نفسه ـ بل منتشياً ـ بذلك الاختراق الموهم الذي اجتاح كيانه، محدثاً نفسه بأنه سيقلب به موازين الناموس وانسجامه وتنسيقه، بينما يباشر الضبع أكل فريسته التي كانت تضحك عند كل نهشة، ظناً منها أن المفترس يداعبها، والجدير بالذكر هنا القول: إن الكثيرين من المفكرين والمثقفين المتمسكين بالأصالة المتفتحة، ممن وجدوا لهم طريقاً إلى سدة المنابر الإعلامية ـ التي ظلت حتى اليوم محتكرة من

قبل أولئك الحداثيين المتفلتة كلماتهم من كل مرجع - تنبهوا، ونبهوا، بل بحت أصواتهم من كثرة التنبيه بصوت عال إلى قضية الذيلية الحضارية تلك... فهذا روجيه جارودي ابن حضارة أوروبا والمتتلمذ على يديها، لم تغره تلك الإنجازات العلمية والحضارية التي أنتجها الغربيون أمام قولة الحق، لذلك فهو قد ملأ سطور كتبه بالتنبيه إلى أن الحضارة الأوروبية والغربية عموماً، ليست في مكان يؤهلها لتكون الرمز والقدوة، لأن المنهج المادي الذي تتبعه يفقد الإنسان خطوط نفسه الروحية والخلقية والمعنوية، تلك الخطوط التي تقوده إلى الله، وتربطه به بصلة متينة، تجعل من وجوده حقيقة ذات معنى ومغزى، لا يتركان للعبثية مسرباً يصل إليه أو إلى حياته، التي ترتسم معالمها نقطة متسقة منسجمة في صفحة الكون مع كل النقاط الأخرى لتشكل جميعها لوحة لا خلل في توازنها الروحي والمادي.

إن الله جعل هذا لكون منسقاً منسجماً، من أين نظرت إليه وجدته كذلك، (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور)، لذلك فإن الحداثيين المتفلتين لن يستطيعوا اختراق انسجام هذا الكون واتساق خلقه.

٥ - وعودة إلى النقد

والنقد والإبداع الأدبيان صورة من صور هذا الخلق المنسجم، يتحمل التعددية والانفتاح على نتاج الآخرين، لكنه لا يمكن أن يقبل بتلك الهلوسات التخريبية، التي تتباهى بميزات الغموض المعتم، واستعارة مصطلحات الترجمة المخرومة، التي تحتاج إلى شارح ومفسّر ليستطيع الناس فهم محتوياتها، وعندما يفهم الناس القول بعد الترجمة والشرح، يعطون شفاههم عجباً من نصوص لا تمت إلى حياتهم اليومية بصلة وإذاً لمن يكتب هؤلاء؟

ولابد عندئذ أن تستعيد الذاكرة قصة أولئك المقاولين التي جئنا على ذكرهم في سطور سابقة من هذا المقال، ولا نرى بأساً من الاستشهاد بقول الناقد المغربي نجيب العوفي الذي قال:

إن كثيراً من التجارب النقدية المتأخرة هي أقرب ما تكون إلى النقول والمترجمات النقدية، منها إلى النصوص والخطابات النقدية الأصيلة المبتكرة، ومن ثم توالت المآزق النقدية، وتفاقمت أعراض «المنهاجوية» القسرية، والاستعراضية بشكل لافت للنظر... والنقد الأدبي كان ولا يزال مشرعاً على الاحتمالات والتحولات، لكن مع عدم إغفال وإهدار القيم والثوابت الماسكة، التي من دونها يصبح هذا الأفق نهباً للرياح والتيارات.

«دعاة الحداثة في ضائقة لا يستطيعون الإفلات منها، إلا بأن يعترفوا بأن الإجادة والإبداع لا يكونان في التحوير والتبديل والهدم، وقد نص على ذلك العقاد - بل في الاتفاق والصدق والإتيان بالصورة البديعة والمعنى الطريف».

ولكننا مع كل ذلك ملزمون بالالتفات - قليلاً أو كثيراً - إلى ما دبّجته يراع المعلم الكبير عبدالقاهرة الجرجاني في دلائل الإعجاز حين قال: «وكما أن الصفة إذا لم تأتك مصرحاً بذكرها مكشوفاً عن وجهها ولكن مدلولاً بغيرها، كان ذلك أفخم لشأنها وألطف لمكانها».

فهو ناقد حريف، وهو أحد الأساسات في البناء الذي يمكن أن نعليه فوق مقولاته ذات الهوية الصادقة، والمصطلحات ذات النكهة العربية والإسلامية. فأنت من هذا النص المكوّن من ثلاث جمل، تستطيع أن تخرج بخلاصة نقدية فخمة، تدور معك في العصور، ويمكنك من خلالها فتح إضافات إبداعية ونقدية، لا تؤدي إلى مصادمة جدار اللغة، أو إلى «استحالة الجمع بين الحداثة بمفهومها الفوضوي الهدام، والحفاظ على نواميس اللغة العربية» على حد قول يوسف الخال الذي يريد الهدم.

وعندما يتابع الجرجاني القول، يثبت الفهم الذي يحمل بين ثناياه عنقود التطورات المتلاحقة المسوكة بخيط لا يدع مجالاً لفرط عقدها، مهما تعددت وتخالفت في الأوجه والصور، وذلك من خلال قوله : «كذلك إثباتك الصفة للشيء، تثبتها له، إذا لم تلقه إلى السامع صريحاً، وجئت إليه من جانب التعريض والكناية، والرمز والإشارة، كان له من الفضل والمزية، ومن الحسن والرونق، ما لا يقل قليله، ولا يجهل موضوع الفضيلة فيه».

إنها كلمات في نقد النص، تفتح الأبواب أمام الناقد والمبدع، كي يبني فوقها، وينطلق بخفايا فهمها ليغطي أي حاجات تجديدية أو تطويرية ذات قيمة في النقد المنهج المضبوط، فهي تقوده بسلاسلة إلى الرمز، والإشارة، وبعض من الغموض، المفضي إلى جمال أخّاذ وعمق ماتع، بعيداً عن الإيغال المظلم في الطلاسم، التي إذا انكشف عنها الغطاء وجدتها خاوية من كل معنى ذي بال.

إننا مع الأستاذ ماهر الأعرابي حين تساءل :

«فما جدوى ثقافة لا تزيد الإنسان إلا غياباً وتمزيقاً، وتعيده إلى متعة اللامعنى».

ولكن روح الانتقام التي تسكن نفوس غلاة الحداثيين، تجعلهم لا يديرون الوجوه عن الأصيل وحسب، بل تراهم يسعون بكل قوة إلى هدمه وإزاحته من الوجود، كون ذلك التراث المسك بالأزمة، سيثنيهم عن فوضويتهم، مهما حاولوا التجمّل بالكلمات المراوغة.

لقد فتح لنا رجال تاريخنا الأدبي العربي الإسلامي، باب التعددية والانفتاح والتطوير، عندما قالوا بتغير المعنى وإمكانات التصرف بالكلمات التي تحمله تبعاً لتطور ظلاله، والزوايا التي يمكن الدخول منها عليه.

فلماذا يصرّ أولئك المتفلتون على فكر الهدم؟ «أحرق ميراثي.. أقول أرضي بكر ولا قبور في شبابي...»

ليس إلا أن يكون العجز عن مجاراة فخامة لغتنا، أو أن يكون ثمن ذلك التوجه مدفوع.

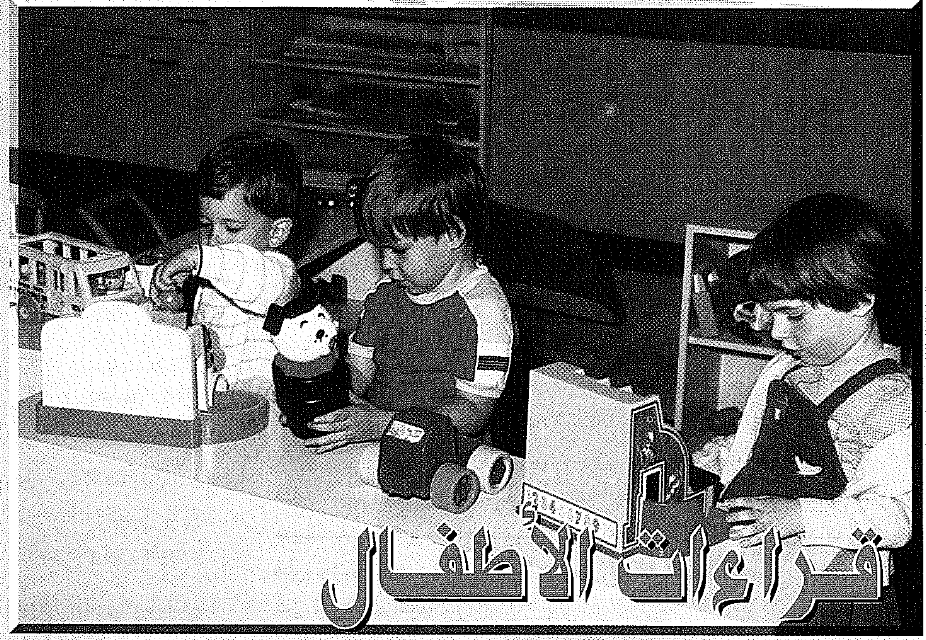
إن الجرجاني وابن قتيبة وأمثالهما من سلسلة النقاد في التراث مشرعو الأيدي، ينادون الأجيال كي يبنوا بناء متطوراً منضبطاً فوق أساسهم المتين، فهلا وجد أولئك الذين ينبذون التزمت والانفلات معاً، فيضعون أقدامهم فوق خط البداية للانطلاق المرسوم المتطور الذي ينظر إلى اختراق انسجام الكون واتساقه على أنه إثم موصل إلى الدمار؟! ■

البيت المسلم

العدد ٣٩٨ - الوعي الإسلامي - شوال ١٤١٩ هـ - يناير / فبراير ١٩٩٩ م

قضايا في الصحافة

- بعد النظر في حياة المتزوجين حديثاً.
- مسكينة هي المرأة.
- فوائد صلاة الفجر.
- المهرج ... والحكيم
- الصبر
- إلى الشباب
- العدوان عند الأطفال
- جدة الأولاد



قراءات الأطفال وأثرها في تربية الوجدان



أغاريد الطفولة

محتويات حقيبتي

من أجل تحرير حقيقي للمرأة

الإسلام يحرر المرأة من جشع الزوج، من طمعه في مالها، ويضع أمامه خطوطاً حمراء يمنعه من تجاوزها. ويحررها حين يحفظ لها جميع حقوقها المالية، ويصونها من أن تمتد إليها يد الزوج، إذا لم تكن راضية كل الرضا.

يحررها حين يمنع زوجها من أن يأخذ شيئاً من مهرها، إذا لم تطب نفسها بهذا الأخذ. ويحررها حين يمنع وليها أيضاً، سواء أكان أباها أم أخاها أو غيرهما، من أن يأخذ من مهرها، أو أي قدر من مالها، من دون رضاها.

تعالوا نتلو قوله تعالى في سورة النساء: (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً) النساء: ٤.

من أجل تحرير حقيقي للمرأة

بقلم : محمد رشيد العويد

ولنتأمل في المعاني والدلالات التالية :

ـ الخطاب موجه لمن في قوله تعالى: (وآتوا النساء) هناك قولان: إن هذا خطاب لأولياء النساء، وذلك لأن العرب كانت في الجاهلية لا تعطي النساء من مهورهن شيئاً، ولذلك كانوا يقولون لمن ولدت له بنت : هنيئاً لك النافجة، ومعناه أنك تأخذ مهرها إبلاً فتضمها إلى إبلك، فتنفج مالك، أي تعظّمه،

وقال ابن الأعرابي: النافجة ما يأخذه الرجل من الحلوان إذا زوّج ابنته، فنهى الله تعالى عن ذلك، وأمر بدفع الحق إلى أهله، وهذا قول الكلبي وأبي صالح واختيار الفراء وابن قتيبة.

الميثاق العظيم

القول الثاني: إن الخطاب موجه للأزواج، أمروا بإيتاء مهورهن، وهذا قول علقمة والنخعي وقتادة واختيار الزَّجاج، قال لأنه لا ذكر للأولياء هنا، وما قبل هذا خطاب للناكحين، وهم الأزواج، وهو قوله تعالى: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء).

قال القفال رحمه الله: يحتمل أن يكون المراد من الإيتاء المناولة، ويحتمل أن يكون المراد الالتزام. قال تعالى: (حتى يعطوا الجزية عن يد) والمعنى حتى يضمنوها ويلتزموها، فعلى هذا الوجه الأول: كأن المراد أنهم أُمروا بدفع المهور التي قد حددوها لهن، وعلى التقدير الثاني: كأن المراد أن الفروج لا تستباح إلا بعوض، سواء أحدد ذلك أم لم يحدد. ثم قال ـ أي القفال ـ رحمه الله: ويجوز أن يكون الكلام جامعاً للوجهين معاً.(١)

ثم نُلاحظ هذا التقييد الدقيق على الرجال في أخذ شيء من المهر دون رضا الزوجة الحقيقي: (فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً).

يقول الرازي: «معنى الآية: فإن وهبن لكم شيئاً من الصداق عن طيبة النفس، من غير أن يكون السبب فيه شكاسة أخلاقكم معهن، أو سوء معاشرتكم معهن، فكلوه وأنفقوه، وفي الآية دليل على ضيق المسلك في هذا الباب، ووجوب الاحتياط، حيث بنى الشرط على طيب النفس فقال: «فإن طبن» ولم يقل: فإن وهبن أو سمحن، إعلاماً بأن المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة».(٢)

فما أعظم إكرام المرأة في تضييق المسلك على الرجل، في أن يأخذ شيئاً من المهر، بدعوى أن زوجته موافقة، وراضية، (واذهبوا واسألوها)، وقد يذهبون ويسألونها، وتعلن المسكينة رضاها، رغبة في وعد لزوجها أو رهبة منه، ونفسها ليست طيبة في هذا الأخذ، وزوجها يعلم بعدم طيبة نفسها، وهذا يعني أن ما أخذه محرّم عليه، ولهذا أجاز كثير من العلماء للمرأة أن ترجع عن هبتها شيئاً من مهرها وأن تسترده لأنه يُعلم من هنا أنها لم تطب عنه نفساً.

عن الشعبي أن امرأة جاءت مع زوجها إلى شُريح القاضي، وهي تطلب الرجوع عن عطية أعطتها إياه، فقال شريح: رُدَّ عليها، فقال الرجل: أليس قد قال الله تعالى: (فإن طبن لكم عن شيء)، فقال شُريح: لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه.

وحكى (أي الشعبي) أن رجلاً من آل أبي معيط أعطته امرأته ألف دينار صداقاً كان لها عليه، فلبث شهراً ثم طلقها، فخاصمته إلى عبدالملك بن مروان، فقال الرجل: أعطتني طيبة به نفسها، فقال عبدالملك: فإن الآية التي بعدها (فلا تأخذوا منه شيئاً) النساء:٢٠، اردد عليها. وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه كتب إلى قضاته: إن النساء يعطين رغبة ورهبة،

فأيما امرأة أعطته ثم أرادت أن ترجع فذلك لها.(٣)

وايم الله إنها لحماية محكمة لحق من حقوق المرأة المالية، تحول دون تحايل الرجل، ومكره، حيث لا يجوز له «أن يأكل شيئاً من مال امرأته إلا إذا علم أن نفسها طيبة به. فإذا طلب منها شيئاً وحملها الخوف أو الخجل على إعطاء ما طلب فلا يحل له، ألا ترى أن الله تعالى نهى عن أخذ شيء من مال المرأة في طور المفارقة فقال: (وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً)، فالتحذير من أخذه في طور الرغبة والتحبب وإظهار القدرة على ما يجب عليه من أعباء الزوجية، من كفالة المرأة والإنفاق عليها، يكون أشد وآكد، ولكن حب المال جعل الرجال يماكسون في المهر كما يماكسون في سلع التجارة»(٤)

أجاز كثير من العلماء للمرأة أن ترجع عن هبتها شيئاً من مهرها وأن تسترده

لو تأملنا قليلاً، في ما يعنيه هذا كله، فإننا سنجد أن الإسلام يضع في يد المرأة ما يشد زوجها إليها، ويجعله يحرص على مودتها، وبخاصة حين تضطره الحاجة إلى الأخذ من مهرها.

ولن تقتصر مدة هذا التودد، على ما قبل إقناع الزوج زوجته بإعطائه مهرها أو شيئاً منه، بل سيستمر هذا التودد إلى ما بعد أخذه أيضاً، لأنها، في أي وقت، تستطيع أن تذهب إلى القاضي، شاكية زوجها، بأنه أخذ مهرها، بغير طيب نفسها، أفليس هذا حماية للزوجة من طمع الزوج، وحماية لها أيضاً من إغضابه لها وإحزانه لقلبها؟!

روي عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: «إذا اشتكى أحدكم شيئاً، فليسأل امرأته درهماً من صداقها، ثم ليشتر به عسلاً فليشربه بماء السماء، فيجمع الله له الهنيء والمريء والماء المبارك».(٥) هل رأيتم كيف يرى عليّ - كرم الله وجهه - مسترشداً بقوله تعالى: (فكلوه هنيئاً مريئاً) أن صداق الزوجة مع العسل والغيث، شفاء للزوج من المرض! ■

الهوامش:

١ - التفسير الكبير - ج٩ - ص١٧٩ - ١٨٠.
٢ - نفسه - ص١٨٢.
٣ - التفسير الكبير - ج٩ - ص١٨٣.
٤ - تفسير المراغي - ج٤ - ص ١٨٤.
٥ - الجامع لأحكام القرآن - ج٥ - ص٢٧.

بعد النظر في حياة المتزوجين حديثاً

من المهم أن يركز المتزوجون حديثاً النظر إلى اختلافاتهم حتى يحددوا كيفية التصرف حيالها والعمل على حلها لتستمر العلاقة ولا تكون هذه الاختلافات سبباً في قطعها. تقترح «مريام آروند» و «صامويل باوكر» في برنامج «أوبرا» الشهير على المتزوجين حديثاً هذه الخطوات التي قد تؤدي إلى تقليل الفجوة بين الشريكين وتؤدي إلى نجاح العلاقة الزوجية والكلام موجه منهما للمرأة على وجه الخصوص.

١ - تعاطفي مع زوجك، وضعي نفسك مكانه، فكما أن هناك أشياء في شخصك لا تحبين تغييرها فكذلك هو. انظري إلى الأشياء التي تؤدي إلى الاختلاف بينك وبينه من وجهة نظره هو، لعلك تقدرينها وتفهمينها وتتقبلينها.

٢ - لا تشكي دائماً في مقاصده، وستجدين أنك من السهل أن تتقبلي أي تصرف لزوجك عندما تتأكدين أن هذه التصرفات التي لا تعجبك منه ليست مقصودة لذاتها وليست موجهة ضدك، وكلما كانت ثقتك بنفسك كبيرة كلما زادت قدرتك على تعرف هذه الحقيقة، وهي أن زوجك شخصية مستقلة.

٣ - ركزي على الأشياء المشتركة بينكما، ففي أحيان كثيرة وفي بعض فترات الزواج تكون الاختلافات في الشخصية بين الزوجين أكثر ظهوراً وبروزاً من الأشياء المشتركة وأحياناً أخرى يحدث العكس. ولابد من مواجهة هذه الحقيقة وهي أن ما جذب أحدكما للآخر عند قبولكما الارتباط، هو الأشياء المشتركة بينكما، ولذلك لابد من أن يركز كل منكما على الأشياء المشتركة ويحاول تثبيتها بدلاً من إضاعة الوقت في إبراز الاختلافات ورعايتها لتؤدي إلى المشاكل.

٤ - اتفقا على ألا تتفقا: إذ ليس من السهل ولا من الطبيعي على الزوجين أو أي اثنين أن يتفقا دائماً على كل شيء، ولذلك لابد من تقبل هذه الحقيقة بقدر الإمكان، لأن هذا سيؤدي إلى أن يعرف كل منكما الآخر ويتقبل ويحترم في الوقت نفسه سلوك وشخصية الآخر كونكما شخصين مختلفين لكل منكما احتياجات ورغبات شخصية مختلفة. لن نقول إن هذه خطوة سهلة جداً، ولكنها ستكون مثل العادة عندما تتوقف الزوجة أو الزوج عن الإلحاح الدائم بأن يغير أحدهما من شخصية الآخر، وبالتدريج سيخف الانتقاد وتتحسن العلاقة الزوجية عندما لا يحس كل واحد منهما بالضغط من الآخر في محاولة لتغييره.

قضايا في الصحافة

خولة العتيقي - الوطن الإسلامي

مسكينة هي المرأة

التقت فتاة جميلة عاقلة مع فتاة جميلة دخلت مسابقة ملكات الجمال، فقالت هذه لتلك بغرور ساذج: لقد صرت مشهورة تنشر الصحف صوري وتنقل وكالات الأنباء أخباري.

فقالت العاقلة: إن اللوحة الفنية التي لا تلمسها الأيدي أغلى ثمناً وأبلغ لفتاً للأنظار من التي لمستها الأيدي حتى غيرت روعة ألوانها الطبيعية.

افتتان كثير من الفتيات بدور العرض والأزياء أصبحت ظاهرة تؤرق الأمهات والآباء، واللباس غير المحتشم، والماكياج الصارخ أصبحا اليوم أبرز مظاهر وصيحات الموضة الجديدة، فإذا كان ذلك في الغرب فهو دليل واضح على رغبة الرجل الغربي في الاستمتاع بأنوثة المرأة ...

وإذا كان هذا التفسخ عندنا فهو تقليد أعمى للغرب وسلوك خاطئ ينافي قيم الدين وآدابه.

والفتاة اليوم التي تتعمد ارتداء اللباس الفاحش غير المحتشم، وتصبغ وجهها بكل ألوان الطيف، وتخرج به إلى الشارع، هل سألت نفسها لماذا تفعل كل ذلك؟ هل تحب أن تكون يوماً فريسة لأصحاب الأهواء والنزوات الطائشة؟

من الصعب أن نلوم الشباب الذي يرى كل هذه المغريات والأجسام والأجساد المتبرجة ثم نطالبه بعدم ملاحقة الشابات أو التحرش بهن.!

لقد وصلت درجة التفنن في انشغال الفتيات بالمغريات والموضات الحديثة إلى تزييف لبس الحجاب، فلم يعد حجاباً بموجب ما أمر الشرع، بقدر ما أصبح موضة عصرية تظهر من خلاله الفتاة ما طاب لها من شعرها وتخفي ما لا ترغب بإظهاره للناس.

إن الذين يزعمون أن من حقهم أن يلبسوا ما يشاؤون باسم الحرية وباسم مجاراة الموضات الغربية، ينسون أن للمرأة كرامة وحرمة لاينبغي التفريط بها، وما مسابقات ملكات جمال العالم إلا دليل على أن المرأة في الغرب أصبحت لا تهمها كرامتها بقدر ما يهمها لفت الأنظار إلى جمالها وأنوثتها.

نصيحة حكيم يقول: «كلنا نحب الدنيا وأجمل ما فيها، ولكن منا من يحب مع الدنيا حب النجاة في الآخرة...؟ ومنا من لا يبالي في أي واد هلك» فلتحذر المبالغات في زينة تبرجهن... وليحذر المتفرجون من هذه الفتنة.

«... فهل من مدكر؟».

عادل القصار - جريدة القبس

فوائد صلاة الفجر

قال الله تعالى: (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً) الإسراء:٧٨.

يرغّب القرآن بالنوم باكراً، والاستيقاظ منذ الفجر، وقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال «بورك لأمتي في بكورها» كما قال صلوات الله وسلامه عليه: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها» والفوائد الصحية التي يجنيها الإنسان بتيقظه عند الفجر كثيرة نذكر منها:

إن أعلى نسبة لغاز الأوزون (03) في الجو تكون عند الفجر، وتقل هذه النسبة تدريجياً حتى تضمحل عند طلوع الشمس، وغاز الأوزون له تأثير مفيد للجهاز العصبي، بحيث يجعل ذروة نشاط الإنسان الفكرية والعضلية تكون في الصباح الباكر، ويستشعر الإنسان عندما يستنشق نسيم الفجر الجميل المسمى بريح الصبا، لذة ونشوة لا شبيه لها في أي ساعة من ساعات النهار أو الليل.

إن أشعة الشمس عند شروقها قريبة إلى اللون الأحمر، ومعروف تأثير هذا اللون المثير والباعث على اليقظة والحركة، إضافة إلى أن نسبة الأشعة فوق البنفسجية تكون أكبر ما يمكن عند الشروق، وهي الأشعة التي تحرض الجلد على صنع فيتامين «د».

من الثابت علمياً أن أعلى نسبة للكورتيزون في الدم هي في وقت الصباح حيث تبلغ «٧ - ٢٢»، مكروغرام/١٠٠ مل بلاسما، وانخفض نسب له تكون مساء حيث تصبح أقل من «٧» ميكروغرام/١٠٠ بلاسما، ومن المعروف أن الكوريتزون هو المادة السحرية التي تزيد فعاليات الجسم، وتنشط استقلاباته بشكل عام.

من هنا نجد أن المسلم الملتزم بتعاليم القرآن، هو إنسان فريد بالفعل، حيث يستيقظ باكراً ويستقبل اليوم الجديد بجد ونشاط، ويباشر أعماله اليومية في الساعات الأولى من النهار، حيث تكون إمكاناته الذهنية والنفسية والعضلية على أعلى مستوى، مما يؤدي لمضاعفة الإنتاج، وكل ذلك في عالم ملؤه الصفاء والسرور والانشراح، ولو تصورنا أن ذلك الالتزام أخذ طابعاً جماعياً فسيغدو المجتمع المسلم، مجتمعاً متميزاً فريداً، وأهم ما يميزه، هو أن الحياة تدب فيه منذ الفجر.

سمير زكريا الأنصاري - الإيمان

المهرّج ... والحكيم

بقلم : عبدالله عيسى السلامة

إنه رجل سيئ، كان يعق أباه ويضربه
يخرج على فطرته فينحدر إلى درك البهائم

قال المهرّج للحكيم :

قل لي يا سيدي الحكيم، ما الفرق بين الحصان والطاوس؟

قال الحكيم مقطباً يفكر :

وما الذي دفعك - ويحك - إلى الموازنة بينهما؟

قال المهرّج :

ما دفعني يا سيدي الحكيم، هو أنني قرأت أن بعض أمثال العرب تقول: «فلان أزهى من حصان» و«فلان أتيه من طاوس»، فظننت أن بينهما تشابهاً داخلياً - أعني نفسياً - مصدره إعجاب كل منهما بنفسه.

قال الحكيم جاداً :

صدقت ... إن كلاً منهما شديد الإعجاب بنفسه، بيد أن مصدر الإعجاب لدى كل منهما يختلف عن مثيله لدى الآخر، فالطاوس مصدر إعجابه بنفسه ريشه الجميل، والحصان مصدر إعجابه بنفسه سرعته في الجري ...

ورواء الكلمات

قال المهرّج :

ولِمَ لا تفترض أن شكل الحصان الجميل، هو مصدر إعجابه بنفسه كذلك؟

قال الحكيم :

لو افترضت هذا، لوجب تعميمه على أنواع الخيول كلها، ما كان منها للسباق وما كان لجر العربات أو المحاريث، والحقيقة هي غير ذلك، فخيول الجر ليس لديها الزهو الموجود لدى خيول السباق.

قال المهرّج :

فإذا أحسّ الحصان بالزهو، وهو يجر العربة أو المحراث، فماذا يكون شأنه؟

قال الحكيم باسماً :

كون قد جمع إلى شقاء بدنه فساد مزاجه.

قال المهرج :

فماذا تقول يا سيدي الحكيم لو أخبرتك بأني رأيت بعض البغال والحمير ينتابها الزهو أحياناً، وبعضها ينتابه الزهو دائماً، وبعضها مبتلى بعقدة زهو مزمنة!؟

نظر الحكيم متفرساً وقال :

أجل ... أهذه دواب حقيقية يا مهرّج؟

قال المهرّج باسماً :

أجل ... إنها دواب ... أعني أنها تدب على الأرض!

قال الحكيم :

ويلك ... أتتذاكى عليَّ ...؟ قل لي : أهي بهائم عجماء!؟

قال المهرّج متضاحكاً :

بل هي بهائم ناطقة يا سيدي الحكيم.

قال الحكيم متنهداً :

ويلك ... كدت تزعزع بعض قناعاتي الراسخة.

قال المهرّج :

كيف يا سيدي ؟

قال الحكيم :

إن مما أعلمه أن للمخلوقات العجماء سنناً لا تحيد عنها، لكل منها سنّة وضعها الله في تكوينه، فلا يجاوزها، وحين زعمت لي أنك رأيت بغالاً وحميراً تزهو، وحاولت إيهامي بأنها مخلوقات عجماء حقيقية، انتابني القلق وخامرني الشك في بعض معلوماتي.

قال المهرّج باسماً :

والآن ... بعد أن عرفت أنها مخلوقات ناطقة ما شعورك؟

قال الحكيم بهدوء:

الآن لا عليك ... إنها «شِنْشِنةٌ» أعرفها من أخزم والشنشنة «هي العادة يا عزيزي المهرّج».

قال المهرّج :

ولكن من أخزم هذا ؟

قال الحكيم :

إنه رجل سيئ كان يعق أباه ويضربه، وحين مات أخزم تولى أبناؤه اضطهاد جدهم وإهانته، وقد ضربوه مرة حتى شجوا رأسه وجلله الدم، فقال مرتجزاً

إن بنيَّ زمّلوني بالدم
شنشنة أعرفُها من أخزم

فذهبت مثلاً.

قال المهرّج :

وهل أخزم هنا في هذا السياق هو الإنسان؟

قال الحكيم :

أجل ... لكنه ليس نوع الإنسان، بل هو الإنسان الذي يخرج على قيود فطرته وسنة الله فيه، فينحدر إلى درك من الحيوانية، تأبى الحيوانات العجماء الانحدار إليها.

قال المهرّج :

الآن فهمت. ■

الصبر

بقلم : زايد الزايد

حوار جرى ودار
وأمر حدث وصار
بين أفراد أسرة في دار
وقطفنا لكم منه بعض الثمار

ثمار يانعة للأخيار
من حديث أولئك الطيبين الأطهار
وسقناه لكم أنتم أيها الأبرار
فتعالوا نقرأ ما جرى وما دار

حوارات أسرية

جلس أحمد وهو يتململ... فقد كان يتضور جوعاً ووالده تأخر عن موعد وصوله ولاحظت أمه ذلك فقالت:

خيراً يا أحمد مالي أراك جزعاً... لابد أنه الجوع قد فتك بك.

نعم يا أماه إني بحق جائع بل جائع جداً.

اصبر يا بني فإن والدك سيصل بعد قليل.

وما أن أتمت الأم كلامها إلا وجرس الباب يقرع وأسرع أحمد يفتح الباب...

أهلاً يا أبي لقد تأخرت كثيراً.

لقد كان حادثاً بسيطاً لكنه سد منافذ الطريق ولولا قدوم سيارة المرور لتأخرنا أكثر من ذلك.

وهل تضايقت من ذلك يا أبي.

نعم يا بني

أسمعت يا أماه... حتى أبي تضايق

أنا معك يا بني ولكن الصبر فضيلة جميلة

وما دخل الصبر في الموضوع يا أم أحمد

لقد شكى لي أحمد الجوع فقلت اصبر أن أباك على وصول وهو الآن شامت بي لأنك تضايقت من الحادث فكأنه يقول لي لماذا لم يصبر أبي؟

هنا قال الأب باسماً:

لكن أمك على حق يا أحمد فالصبر فضيلة جميلة... وصاحبه ذا مرتبه وجاه ووصول إلى الهدف... أما سمعت الشاعر وهو يردد.

أما والذي لا خلد إلا لوجهه
ومن ليس في العز المنيع له كفو

لئن كان بدء الصبر مراً مذاقه
لقد يجنى من غبة الثمر الحلو

نعم يا بني: وأصل كلمة الصبر هو المنع والحبس... فالصبر حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي والجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوهما.

ويقال - يا بني - صبر يصبر صبراً وصبّر نفسه وقال جل وعلا في الآية ٢٨ من سورة الكهف: (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) صدق الله العظيم.

من هذا افهم أن الصبر هو المنع والشدة وذلك باختصار.

هو كذلك يا بني وحتى أوضح لك الصورة أكثر... فيقال: صبر إذا أتى بالصبر، وتصبّر إذا تكلفه واستدعاه، واصطبر إذا اكتسبه، وصابر إذا وقف خصمه في مقام الصبر وصبّر نفسه إذا حملها على الصبر.

وأنا صابر عليكم لأني جائع وأنتم حولّتم الجلسة إلى درس في اللغة العربية.

يا بني: «يضحك».

لماذا تضحك؟

لأني أردت أن أضيف لك معلومة فتذكرت أن تفكيرك في معدتك لهذا ستذهب معلوماتي هباء فضحكت.

لكن الغداء جاهز فما المانع من أن يكون الحوار على المائدة.

قفز أحمد: ذلك جميل ولطيف هيا بنا.

وما أن أخذ أحمد لقيمات عدة وأحس بدفء معدته حتى قال:

الآن يا أبي أصبح تفكيري معك... فماذا تضيف عن الصبر.

الصبر يا حبيبي خُلق فاضل من أخلاق النفس... يُمتنع به من فعل ما لا يحسن وهو أيضاً قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها.

لهذا حينما سئل الجنيد بن محمد عن الصبر قال: هو تجرع المرارة من غير تعبس.

وأيضاً قالوا: الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب.

ارتسمت الدهشة على ملامح أحمد وأخذ يردد بصوت خافت: تجرع المرارة، الوقوف مع البلاء... إنها أمور تكرهها النفس

نعم يا بني إن ما تحدثت به صحيح... ولكن لابد لنا من الصبر ومواجهة الأمر وإلا حدث ما لا يحمد عقباه.

كيف ذلك؟

يقول زهير بن أبي سلمى ذلك الشاعر الفحل ...

ثلاث يعز الصبر عند حلولها
ويذهل عنها عقل كل لبيب

خروج اضطرار من بلاد يحبها
وفرقة إخوان وفقد حبيب

ولو لم نتمسك بالصبر في تلك المواقف التي عددها الشاعر لكان معنى ذلك أننا كلما مات لنا صديق أو قريب جزعنا حتى المرض وإذا ما غاب عنا أخ أو حبيب بلغت منا التعاسة مبلغ فقدان الأمل... وهذا معناه هدم للحياة والعمل.

وهذا يا بني ما لا يجوز للمؤمن، فالمؤمن قوي صابر محتسب وعزيز النفس أبيٌّ.

وهل لعزة النفس دخلٌ في الصبر يا أبي

نعم يا بني

وكيف ذلك

لن أشرح لك ولكن سأروي لك حادثاً... تأخذ منه توافق عزة النفس مع الصبر

وأنا أيضاً مشتاقة مع أحمد للسماع.

روي أن رجلاً كان يُجلد بالسياط جلداً عنيفاً ولم يتكلم أو يتأوه.. بل هو صابر على الجلد... فوقف عنده جماعة من الناس وقالوا: ألا يؤلك الجلد، قال الرجل: بلى، قالوا: فَلِمَ لا تتأوه ولا تصيح؟

ذلك تساؤل في محلة يا أبي.

صبراً يا أحمد واسمع ماذا قال الرجل.

ماذا قال؟

قال الرجل: إن لي صديقاً كان يعدّني أشجع الناس، وهو الآن يقف يرقب ما يحدث لي، فأخشى إن أنا ضجيت أو تأوهت أن يذهب ماء وجهي عنده فلهذا أتصبّر.

يا إلهي ما أعظم عزة نفسه وصدق الشاعر حين قال:

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه
ويحمد منه الصبر مما يصيبه

فمن قلّ فيما يلتقيه اصطباره
لقد قال فيما يرتجيه نصيبه

يا الله... هذه القصة يقشعر لها البدن، نسأل الله العافية.

ذلك دعاء جميل... لكن أتعلم علاقة العافية بالصبر.

عجيب ... عزة النفس والصبر وعرفناهما فما دخل العافية بالصبر؟

يقول محمد الحريري يصف الصبر أو يعرِّفه «الصبر أن لا يفرق بين النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما».

لكن هذا مردود عليه يا أبا أحمد فهو غير مقدور عليه ولا مأمور به.

لماذا يا أماه؟

لأن الله جلّ وعلا ركّب الطباع على التفريق بين الحالين وإنما المقدور حبس النفس عن الجزع لا استواء الحالين عند العبد.. بل إن ساحة العافية أوسع للعبد من ساحة الصبر

وما الدليل على ذلك يا أماه؟

الدليل يا حبيبي ما ورد عن القدوة والأسوة - صلى الله عليه وسلم - في الدعاء المشهور «إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي غير أن عافيتك أوسع لي».

لكن هذا - يا أمي - يناقض قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - «ما أُعطي أحد عطاء خيراً أوسع من الصبر».

نعم يا بني ليس في ذلك تناقض إطلاقاً فمدرسة الرسول - صلى الله عليه وسلم - واحدة وواضحة وجلية، فهو يقول ذلك لأن الصبر بعد نزول البلاء ليس للعبد أوسع منه وأما قبله فالعافية أوسع له.

هل معنى ذلك يا أماه أننا لانشكي.

ولكن قبل هذا السؤال يا بني هل تعرف أنواع الشكوى؟

وهل للشكوى أنواع إننا نشكو وحسب.

لا يا بني إن للشكوى نوعين... الأول: الشكوى إلى الله وهذا لا ينافي الصبر... ولذلك قاله الأنبياء والمرسلون

هل ضربت لي أمثلة عن ذلك يا أبي؟

نعم يا بني... ففي القرآن الكريم نجد أن سيدنا يعقوب يقول: (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) مع قوله: (فصبر جميل).

ويقول سيدنا أيوب عليه السلام: (إني مسني الضر) مع وصف الله جل وعلا له بالصبر.

بل ها هو سيد الصابرين محمد - صلى الله عليه وسلم - حينما عاد مخذولاً مطروداً من أهل الطائف يرفع يديه إلى السماء ويقول: «اللهم أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس».

وهذا موسى - عليه السلام - يقول: «اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بك».

جزاكم الله خيراً هذا هو النوع الأول من الشكوى فما النوع الثاني.

النوع الثاني يا بني: هو شكوى المبتلى بلسان الحال والمآل وهذه لا تجتمع والصبر بل تضاره وتبطله.

وهنا يبرز الفرق بين شكواه والشكوى إليه وما أجمل قول الشاعر في هذا المجال:

اصبر ففي الصبر خير لو علمت به
لكنت باركت شكراً صاحب النعم

واعلم بأنك إن لم تصطبر كرماً
صبرت قهراً على ما خط في القلم

اللهم عفوك ولطفك ومنك اللهم اجعلنا من الصابرين المرضي عنهم بفضلك ومنك يا أرحم الراحمين يا الله.

اللهم آمين اللهم آمين.

آمين آمين... كأنكما أنهيتما الحديث مع أنه شيق وجذّاب نعم يا بني فالساعة الآن الثامنة مساء ولابد لك من أن تحضر جدول الغد، ولا بد لي أن أكتب بعض الأمور الخاصة بي.

وأنت يا أماه ما عذرك.

نحن لا نعتذر، فالحديث معك ممتع ولكن لابد من معرفة أن هناك أموراً لابد أن ننتهي منها قبل النوم وإلا سرقنا الحديث وأهملنا الواجب.

أبي عرفنا أنه يريد كتابة بعض أعماله، فماذا عنك هل تكتبين أنت؟

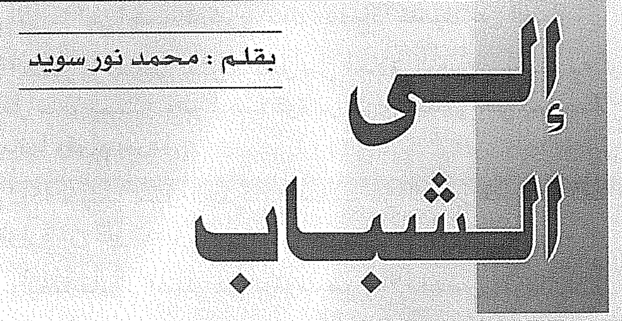
أنا سأذهب لتلاوة الورد الخاص بي لكل ليلة من الكتاب المحكم القرآن الكريم... ثم أصلي صلاة الليل ثم الشفع والوتر... وبعد ها أنام.

وأنا سأحضر جدولي وأصلي الشفع والوتر، شكراً لك يا أماه على التنبيه المبطن.

أنت ذكي يا أحمد أسأل الله أن يكملك بعقلك.

آمين يا رب العالمين... وجزاك الله خيراً.

وقام أحمد بعد أن قبّل رأس والديه ليتوضأ ويصلي، بعد أن وعده والده بأن للحديث بقية. ■



إلى الشباب

بقلم: محمد نور سويد

روى البخاري في كتاب المغازي فقال: حدثنا عبدان عن أبي حمزة عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال كنا جلوساً مع ابن مسعود فجاء خباب فقال يا أبا عبدالرحمن أيستطيع هؤلاء الشباب أن يقرؤوا كما تقرأ قال أما إنك لو شئت أمرت بعضهم فيقرأ عليك قال أجل قال اقرأ يا علقمة فقال زيد بن حدير أخو زياد بن حدير أتأمر علقمة أن يقرأ وليس بأقرئنا قال أما إنك إن شئت أخبرتك بما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في قومك وقومه فقرأت خمسين آية من سورة مريم فقال عبدالله كيف ترى، قال قد أحسن، قال عبدالله ما أقرأ شيئاً إلا وهو يقرؤه ثم التفت إلى خباب وعليه خاتم من ذهب فقال ألم يأن لهذا الخاتم أن يُلقى، قال أما إنك لن تراه عليَّ بعد اليوم فألقاه. رواه غندر عن شعبة ورواه الإمام أحمد ٤٢٤/١.

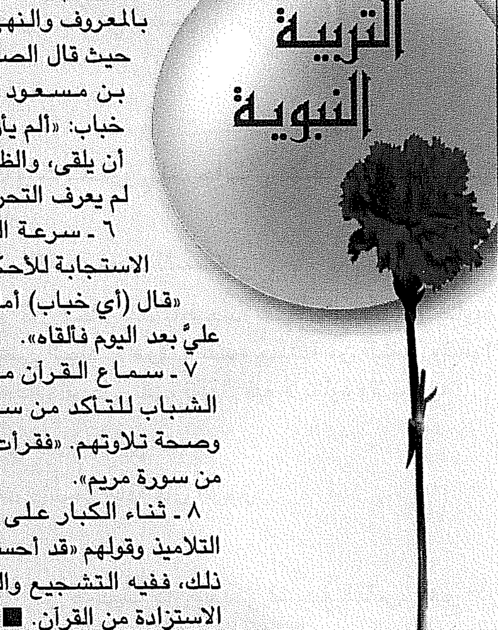
ما يرشد إليه الحديث:

١- قيام الصحابة رضوان الله عليهم بواجب التبليغ والتعليم.

٢- عناية الصحابة رضوان الله عليهم بتربية وإعداد الشباب «عن علقمة قال: كنا جلوساً مع ابن مسعود «رضي الله عنه».

٣ - امتحان الشباب بالمسائل العلمية: «فجاء خباب فقال: يا أبا عبدالرحمن! أيستطيع هؤلاء الشباب أن يقرؤوا كما تقرأ».

٤ - التعليم بالتلقين: «قال عبدالله: ما أقرأ شيئاً إلا وهو يقرؤه».



٥ - تعليم الشباب أدب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث قال الصحابي عبدالله بن مسعود للصحابي خباب: «ألم يأن لهذا الخاتم أن يلقى، والظاهر أن خباب لم يعرف التحريم من قبل.

٦ - سرعة الصحابة في الاستجابة للأحكام الشرعية: «قال (أي خباب) أما إنك لن تراه عليَّ بعد اليوم فألقاه».

٧ - سماع القرآن من التلاميذ الشباب للتأكد من سلامة نطقهم وصحة تلاوتهم. «فقرأت خمسين آية من سورة مريم».

٨ - ثناء الكبار على صحة تلاوة التلاميذ وقولهم «قد أحسن» وما شابه ذلك، ففيه التشجيع والتحفيز على الاستزادة من القرآن. ■

الدَّيْن



بقلم : عبد الستار خليف

خواطر

● ١ ●

يوم جئت إلى هذه الدنيا، أخذت أمك إلى عالم الظلمات. رحلت ولم تعد. لا حول ولاقوة إلا بالله ..

قالوا عنك، كان يوم قدوم، يوم نحس.

قلت : لكل أجل كتاب !!

● ٢ ●

أنت عوضي و زندي و سندي في الزمان المقبل. حملتك على ذراعي. ضممتك إلى صدري. وضعتك في حجرة القلب، وقلت .. يا أملي في الأيام المقبلة !!

وقفت حياتي على رعايتك وتربيتك. قدمت لك الحب والحنان. لتنمو وتشب عن الطوق ..

● ٣ ●

الأمل، الأحلام، والواقع، الحياة تخفي بين طياتها .. أسرارها.

والإخفاق دوماً هو الطريق، والمحاولات لاتجدي، والأيام تبدل وتغير في البشر وفي البراءة. أهذا أنت قطعة اللحم الأحمر اللدن الذي جاء إلى هذا العالم بعد لحظات المخاض المريرة، وقضى على كل الأحلام!!

● ٤ ●

هجرت الدرس العلم والتحصيل وعملت معي. قلت لنفسي الحياة تجارب، والعلم بالتجارة والمكسب والخسارة، عندما يشتد ساعدك، ستأخذ على شيء، ويصير كل ما ادخرته للأيام المقبلة، خراباً يباباً. وأنت كحفنة من التراب هبت عليها الرياح والزوابع، فتلاشت وتلاشى معها كل شيء !!

ماذا فعلت بك لتفعل معي كل هذا ؟! آويتك، جائعاً .. فأطعمتك، وجدتك عاريا .. فكسوتك، قدمت لك كل شيء، ولكنك تغدر بي وتأخذ كل شيء!!

● ٥ ●

ماضاع قد ضاع .. لنبدأ من جديد، وما عليَّ إلا أن ألزم بيتي ونكمل العشاء نوما، ونكبت الرغبات بين الضلوع، نطلق الحسرات والزفرات .. نموت بين أربعة جدران. ضاع العمر والقوت والزاد !!

سألت نفسي: أكان كل مافعلته خطأ ؟!

● ٦ ●

خارج الجدران ازدادت الجلبة والضوضاء كلما اقتربت من باب البيت المغلق دوماً، صياح الصغار ودقهم على الباب. عندما فتحته موارباً .. شاهدتك. عائداً أغبر مشوشاً. مهلهل الثياب، شاحباً. أهذا أنت يافلذة كبدي ؟!

ياسبحان مغير الأحوال !! قلت لك ادخل. طلبت الطعام والشراب والراحة. الدفء والحنان و .. والسماح.

كنت دائماً تأخذ. جئت الآن، الآن جئت. ماذا تريد ؟! الجدران تستر الخلق الآن جئت. ماذا تريد مني ؟!. التوبة. السماح.هيه .. مهما حاولت فلن توفي جزءاً ضئيلاً من هذا الدين!!

لن أسترد منك ـ الآن ـ شيئا، ولن تدفع لي أنا. لكنك ستدفع ماعليك، لمن سيأتي من بعدك، من صلبك .. في الأيام المقبلة ..

العدوان عند الأطفال

بقلم: عبدالرزاق زعال بن سمعو

ما العدوان؟

نقصد بالعدوان، كل المشاعر والدوافع التي تتضمن عنصر التدمير وسوء النية حيال الآخرين.

من أين يأتي العدوان؟

لكل وليد معافى قدرة تلقائية على أن ينمو حتى يصير شخصاً ناضجاً، ومعنى أن يصير ناضجاً هو أن يكتسب القدرة على استشعار شتى الاتصالات ذلك أن قدرة المرء على استشعار النبض والحب، والنفور والميل، والغبط والامتنان، جزء لا يتجزأ من كيانه الإنساني، والشخص المتكامل بوسعه أن يستشعر مختلف الانفعالات في أوقاتها الملائمة، يتفق علماء النفس والأطباء النفسيون على أننا نولد جميعاً ولدينا القدرة على استشعار الدوافع العدائية، ولكنهم لم يتفقوا بعد على إجابة حاسمة على السؤال «من أين لنا بمشاعرنا العدائية»؟ فيعتقد بعض الثقات أننا نولد وبنا حاجة إلى البغض والعدوان، ويقابل هذه حاجة أخرى إلى الحب والعطف، وعلى ذلك فإن ما تفعله خبراتنا هو أن نتحرك بحسب ما تنطوي عليه نفوسنا من الحب والبغض فالخبرات المؤلمة الخاذلة لرغباتنا تعلّمنا أن نبغض في حين تعلمنا الخبرات السارة أن نحب.

ولكن سواء أكان العداء فطرياً أم مكتسباً بعد الميلاد، فهو في الحالين انفعال حقيقي لا شك في وجوده في حياتنا الإنسانية، وهو يلعب دوراً لا يقل أهمية عن دور سائر الانفعالات الأخرى، إن القدرة على استشعار العدوان لمن مقويات الشخصية، وتنمو هذه القدرة لدى الطفل كما تنمو قدرة الكلام، والكتابة، والاستدلال، والتذكر، والتخطيط.



هل العدوانية صفة ملازمة لسلوك الطفل؟

يعتقد علماء التحليل النفسي أن انفعالات الغضب عند الطفل ما هي إلا ردات فعل عدوانية ترمي إلى إزالة الإحباط وتحقيق الإشباع، وهذه الأمور تترافق عادة بالصراع بين مشاعر الحب والكراهية إزاء الشخص الآخر.

ومسألة العدوانية مرتبطة بعلاقة الطفل مع أمه وما يطرأ على هذه العلاقة من إحباط وإشكالات تثير لديه الغضب والعدوانية.

ويعتقد فرويد أن العدوانية تلازم السلوك البشري وهي ترتبط بغريزة التدمير والموت، فالعدوانية عند الطفل دافع طبيعي وإيجابي وهي ترمي إلى الدفاع عن الذات والسيطرة على القلق والثأر من إهمال الأخرين، فتظهر العدوانية بين أفراد الجنس نفسه ومن خلال الرغبة في السيطرة والتنافس والتسلط، وهنا يظهر تفوق الذكر على الأنثى «التفوق البيولوجي والاجتماعي» من حيث السلوك العدواني والسيطرة.

إن التعبير عن العدوانية شيء ضروري وطبيعي في حياة الطفل هو يعبر عن عدوانيته بطرق مختلفة: المبارزة مع الآخرين، العراك، الغيرة بين الأخوة، الصراخ، الهجوم، الألعاب الحربية.

إن العدوانية عند الطفل هي ظاهرة طبيعية قد تخدم في بعض الأحيان متطلبات النمو وتساعد على التخلص من مشاعر الخوف والسيطرة على الواقع، ولكنها عندما تتخطى حدودها المعقولة عندئذ تصبح انحرافاً سلوكياً أو ظاهرة مرضية تستدعي العلاج.

أسباب العدوان

١ ـ الجنس: تدل الدراسات على أن الذكر هو أكثر عدوانية وانحرافاً من الأنثى، ويرد العلماء ذلك إلى الفروقات البيولوجية والهرمونية والاجتماعية، فالقوة العضلية والهرمون الذكري يعتبران من العوامل التي تدفع إلى التفوق والسيطرة.

٢ ـ العائلة: الأسرة تلعب دوراً بارزاً في تشكيل شخصية الطفل وتحديد مستقبله، إن معظم الأطفال العدوانيين يعيشون في عائلات يسودها الشجار والاضطراب.

٣ ـ دور التلفاز: إن أفلام العنف التي يشاهدها الطفل باستمرار على شاشة التلفاز تدفع به إلى تقليد ما يرى وبذلك قد يصبح عدوانياً.

٤ ـ العامل الاجتماعي: إن الحروب تؤدي إلى ارتفاع في نسبة العدوانية وأعمال العنف عند العسكريين والمدنيين بمن فيهم الأطفال.

التلفاز وسلوك العدوان

إن الصغار الذين يشاهدون الكثير من

برامج العنف في التلفاز يتسم سلوكهم بالعنف بدرجة تزيد مرتين على أولئك الذين لا يشاهدون إلا القليل من هذه البرامج.

ويرى بعض علماء النفس أن التلفاز نفسه لا يوجد مشكلات العدوان والانحراف، حيث ثبت لبعض علماء الاتصال أن الأطفال العدوانيين يختارون برامج عدوانية، بينما يرى عالم الاتصال «ولبور شرام» أنه كلما كان عند الطفل حصيلة ثابتة من الخبرات الواقعية، وكان على وفاق في علاقاته الشخصية بالناس فمن المحتمل جداً أن يمر سريعاً وبسهولة بالعناصر المثيرة من برامج التلفاز، وهذا يعني أن البيئة التي ينشأ فيها الطفل متمثلة في الأسرة، المدرسة، والعوامل المحيطة، تستطيع إذا كانت بيئة صحيحة أن تقلل إلى حد كبير من تأثير مشاهد العنف على الأطفال، وكمثال فإنه يجب على الأسرة العناية الكاملة بأطفالها وشرح الدوافع للسلوكيات التي تظهر في مشاهد العنف حتى يتفهم الأطفال الموقف تماماً... وبخاصة أن التلفاز يمارس تأثيره حينما يكرر عرض هذه المشاهد والصور العنيفة، فكلما تكررت الصور وعرضت القيم نفسها التي تحمل العنف كلما كان تأثيرها أشد فعالية.

ماذا نفعل حيال العدوان ؟

إننا لا نستطيع استئصال العدوان من نفوس الأطفال بإنكارها وجود العدوان في تلك النفوس، ولكننا نستطيع أن نساعدهم على تعلم مقاومة هذا الانفعال حتى لا يصبح من الشدة بحيث يعجزون - ونعجز معهم - على التحكم فيه، وإن من خير الطرق التي يمكن للكبار انتهاجها لمساعدة الأطفال في هذا الشأن، هو أن يعلموهم الفرق بين المشاعر العدائية «وهي انفعال طبيعي لا ينبغي أن نجعل الأطفال يستشعرون بسببه الإثم» وبين السلوك العدواني «الذي ينبغي فرض الحدود عليه»، وذلك أنه من اليسير على الأطفال إذ يحاولون تحقيق المعايير التي يفرضها مجتمع الكبار، أن يسيئو فهم ما ينتظره منهم الكبار، فقد يتوجسون خيفة من أن يلاموا على مشاعرهم قدر ما يلامون على أفعالهم. ■

جدة الأولاد

بقلم: منى السعيد مصطفى الشريف

هرعت إلى مسجدي في بيتي الصغير، إنه واحتي وملاذي، ألوذ به كلما عصفت بي رياح نفسي والحياة افترشت الأرض وأسندت ظهري إلى الحائط، كم كان أسبوعاً ثقيلاً طويلاً مرّ كأنه شهور، بل سنوات ذاك أن جدة الأولاد وأم زوجي قد توفاها الله تعالى منذ أسبوع، نعم أسبوع كامل مرّ علينا خيم فيه الحزن على البيت الذي كان يموج بالسعادة. ومر في الأفق أمام عيني ذكريات كثيرة فما زلت أتذكرها ترن كلماتها في أذني... ذكريات أعوام وأعوام ورجعت بي الذكريات إلى أول عهد زواجي من ابنها الوحيد كنت فتاة صغيرة قليلة الخبرة بالحياة وسعدت بزوجي كثيراً وتمنيت أن أحظى بكل اهتمامه، ولا أنكر أن الغيرة كانت تأخذني أحياناً عندما أراه يغدق عليها من حبه ووقته وكانت هي الأخرى تنظر إليّ على أني شريك جديد وغريب أستحوذ على كثير من وقت ولدها الوحيد وحبه ورعايته وكان هذا كفيل بأن يسبب الخلاف بيننا لأتفه الأسباب، ولكن التجربة والعشرة بدأت تذيب كل هذا ومع الوقت بدأت أفهم وأتعقل فكنت أتغافل عن بعض تصرفاتها التي قد تمسني وتثير غضبي، وعاهدت نفسي أن أنظر إليها على أنها أمي التي لابد من ارضائها مهما كلفني ذلك. نعم... إنني لن أسمح لنفسي أبداً أن أكون سبباً في غضب قلبها على زوجي وأنا أعرف ما يستوجبه ذلك من غضب الله ومر بخاطري قوله ﷺ : «إن من أبرّ البر أن يحفظ الرجل أهل ودّ أبيه» فلأن تحفظ المرأة أهل ود زوجها من باب أولى.

فكنت أسرع إليها أسترضيها إذا غضبت حتى لو كان غضبها دون وجه حق وهاهي قد فارقت الحياة وتركت لي زوجي وحدي، فهل حقق ذلك لي أي سعادة، على العكس، إنني الآن أفتقدها كثيراً، وأشعر أن حياتنا غاب عنها شيء مهم، وأحياناً أتساءل لو كان الخلاف بيننا قد احتدم واستمر، وفارقت الحياة وهي غاضبة عليّ وعلى زوجي... كيف سيكون شعوري الآن؟ وكيف كنت سأواجه زوجي؟ وهو يعتبر أنني فرّقت بينه وبين أمه وكنت سبباً في غضبها وسخطها عليه. يا إلهي - لابد وأن ذلك كان سيورثني الندم طيلة عمري وكنت سأجد حصاده في عقوق أبنائي لي، إن خدمتي لها في فترة مرضها الأخير وإكرامي لها قد قرّبت بيني وبينها كثيراً، بل بيني وبين زوجي، ورغم حزنه الشديد على فقدها، إلا أنني أرى في عينيه نظرة رضا وامتنان لأنني أكرمت شيخوخة والدته وأحطتها برعايتي في مرضها وهذا ما يخفف عني ألم فراقها... نعم لقد كانت لي العوض عن الأم فهي أم زوجي وجدة أولادي.

والآن أهمس في أذن كل زوجة أن تذكري دائماً عندما يشب خلاف بينك وبين «حماتك» أنها قبل أن تكون حماة فإنها أم، وأم أعز الناس وأقربهم لك وجدة أبنائك، وحب زوجك ورعايته لها لا ينقص من قدرك عنده، ويجب أن يكون هذا هو الأساس في تعاملك معها حتى لو أساءت فالتمسي لها العذر دائماً، وقابلي الإساءة بالإحسان، وإلا قتلك الندم حين لا ينفع الندم. ■

في منتدى الزوجات

قراءات الأطفال وأثرها في تربية الوجدان

بقلم : مصطفى أحمد عبدالوارث

تلعب القراءة في حياة الأطفال دوراً بارزاً في تنمية عقولهم ورفع قدراتهم اللغوية والفكرية، كما يكون لها دور بالغ الأهمية في تربية الوجدان لدى أطفالنا، ومن ثم حرص المربون على استثمار وقت فراغ أطفالهم بتنمية وتشجيع القراءة لرفع قدراتهم مصداقاً للقول المأثور: «أريحوا القلوب ساعة فإنها إذا تعبت كلّت وإذا كلت عميت»، وتنقسم القراءة من حيث الأداء إلى نوعين:

القراءة الصامتة والقراءة الجهرية، وتختلف الأولى عن الثانية في كونها تعتمد على العين وإعمال العقل دون النطق بالكلمات، وتتميز بسرعة فهم المادة المقروءة ودقة الفهم، وتربي في الطفل القدرة على الاستقلال بالقراءة والاعتماد على النفس.

أهمية القراءة لدى الطفل في تربية الوجدان

للقراءة دور حيوي في حياة الطفل، فهي توسع دائرة خبراته، وتفتح أمامه أبواب الثقافة وتحقق له التسلية والمتعة، وتهذب مقاييس التذوق وتساعده على حل المشاكل والمواقف التي تواجهه، كما تساعد الطفل على أن يحدث نوعاً متوازناً من التوافق الشخصي والاجتماعي له.

تربية

وتأتي أهمية القراءة للطفل بأنه من منظور القراءة يتعرف الطفل على الكثير من الخبرات التي يعبر عنها الأدب وليتصل بحياة الآخرين ويعيشها بخياله ويكتسب مجموعة من القيم تجعله يقف في ثبات في العالم الواسع الذي يعيش فيه، والسبيل إلى خلق مجتمع من القراء لابد من أن يبدأ من الأطفال، وذلك بجعلهم يشغفون بالقراءة من خلال إنشاء المكتبات والذهاب إليها لتنمية مواهب القراء والمعرفة عندهم.

ماذا يقرأ أطفالنا في عالمنا المعاصر؟

إن من أهم مسؤوليات الأسرة بث روح القراءة وتوجيه الأطفال إلى قراءة الكتب وتشجيع وتنمية هذه المواهب إلى كل أنواع المعرفة الإنسانية التي تتفق مع ميول الأطفال من خلال مكتبات الطفل التي يوجد فيها الكثير من أنواع المعرفة المطلوب توجيه الطفل إليها.

ويجب على الآباء والمربين معرفة مدى ميول الأطفال نحو القراءة، وتقديم النصح والاستشارات المعرفية من حيث اختيار نوعية الكتب التي تناسب ميول الطفل، وكما تضيف مكتبة الطفل للطفل الذي يجب أن يكون لديه حب القراءة ومناسبة لميوله بداية من:

- كتب دينية - سور قرآنية قصيرة - شخصيات - تعليم العبادات.
- القصص «الديني - العلمي - الخيالي - الأدبي».
- مشاهير التاريخ والناس - معرفة تاريخهم وسيرتهم الذاتية.
- الجغرافيا - معرفة وصف البلدان - الرحلات.
- العلوم البحتة - الفلك - الجيولوجيا - الكيمياء.
- العلوم العملية - الصناعات - والصناعات اليدوية.

إن معرفة الطفل كيفية اختيار الكتاب الذي يناسب ميوله وحبه للقراءة يعتبر في حد ذاته تنمية لمواهب القراءة لديه، ويجعل أهداف القراءة تتحقق في أفضل صورها.

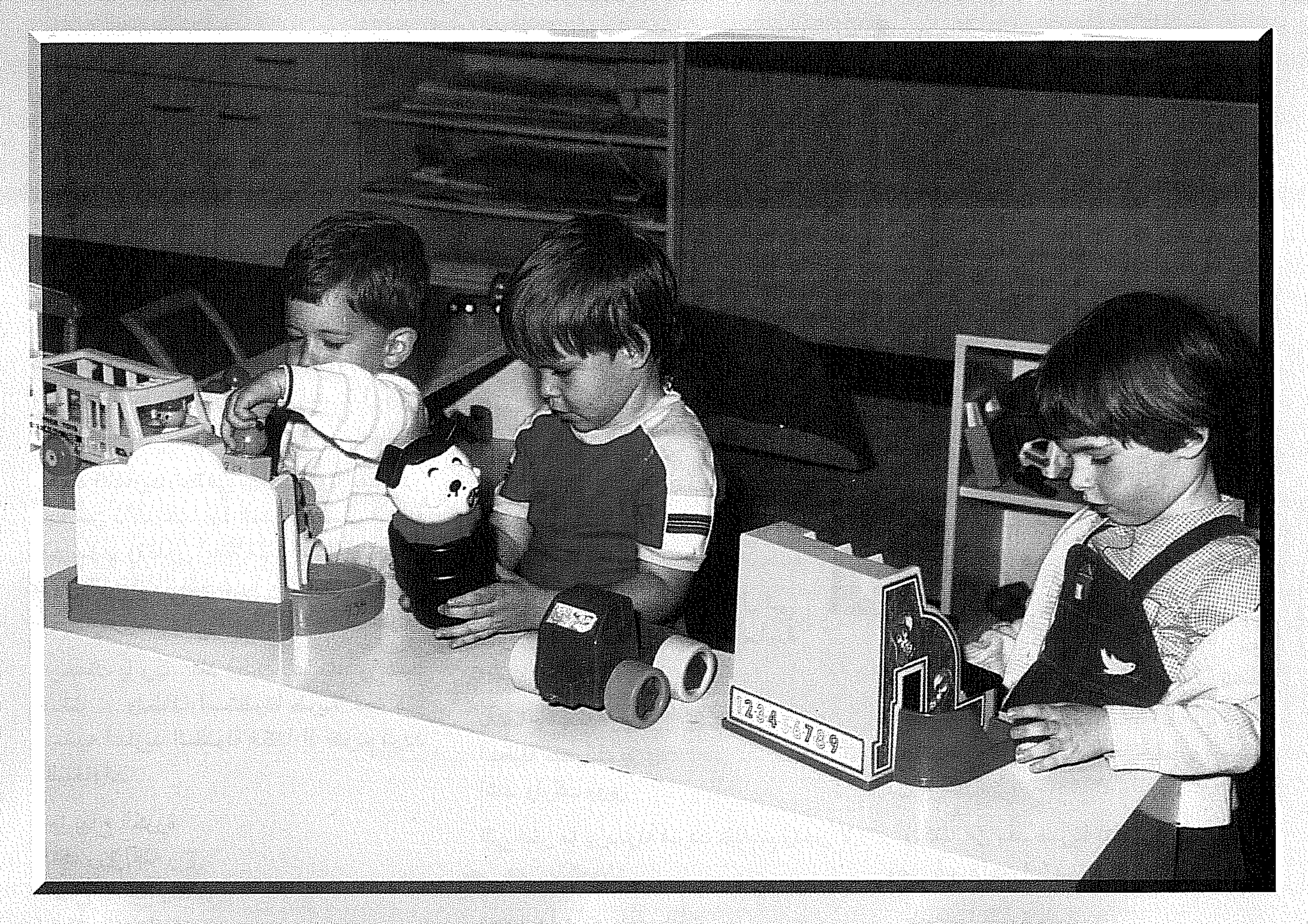
الطفل قارئ بالفطرة

إن من نعم الله تعالى على الإنسانية أن جعل التفكير والعقل إحدى الميزات التي يميز بها الإنسان عن جميع المخلوقات، لذلك إن الطفل بداية من عمر السادسة في عمره حتى الثانية عشرة يكون لديه استعداد حقيقي ليتعلم القراءة والإقبال على المعرفة، ولكن القراءة في حد ذاتها عملية معقدة إنها تجعله يتقن فهم معاني الجمل والربط بين تسلسل الأحداث مع القدرة على التركيز والاستيعاب وإعادة التعبير.

وهناك وصايا عشر لابد أن يتعرف عليها طفلك حتى يصبح قارئاً جيداً:

أولاً: عوِّد طفلك استخدام القراءة الصامتة في معظم قراءاته لأنها أسرع وأكثر عوناً على الفهم وتوفر الوقت والجهد له.

ثانياً: يجب أن تكون قدوة أمام الطفل في حب القراءة والإكثار منها وتوفير البيئة المشجعة على القراءة بتوفير الكتب والقصص



والمجلات.

ثالثاً: اصطحب طفلك دائماً إلى المكتبة وعلّمه كيف تتعامل مع الكتب في نظام وتقدير، ثم يسِّر له إجراءات الانتقال إلى المكتبات العامة.

رابعاً: يجب تنمية الألفة بين الطفل والكتاب عن طريق قراءة الوالدين لأطفالهم بعض القصص المشوقة وعرض الصور بصورة جميلة.

خامساً: من الضروري توفير مناخ من الهدوء والسكينة داخل البيت للإقبال على القراءة.

سادساً: يجب توفير الغذاء الجيد المناسب للطفل حتى يستطيع أن يمارس عملية القراءة بنجاح.

سابعاً: لابد من تدريب الأطفال على قراءة العلامات وبعض الكلمات ومعرفة أسماء الشوارع وعناوين الميادين العامة للوصول إلى المكان المطلوب وهذه القراءة العملية البسيطة، ضرورية للطفل لبيان مدى أهمية القراءة في حياته العملية.

ثامناً: من الضروري تدريب الأطفال على تعرف تسلسل الأفكار والأحداث عن طريق قراءة قصة بسيطة لها بداية ووسط ونهاية وعن طريق اطلاعهم على مجموعة من الأحداث.

تاسعاً: يجب تدريب الطفل على تنمية مهارات الفهم والربط والاستنتاج والقراءة الناقدة وإبداء الرأي.

عاشراً: يلزم مساعدة الطفل على اكتساب المعلومات وتنفيذ التوجيهات المكتوبة، وهذه القراءات تساعد الطفل على فهم المعنى عن طريق تعرف الكلمات وتصبح القراءة لها قيمة حقيقية لدى الطفل.

وكلما كان هناك دوافع لدى الطفل لحبه للقراءة وجب علينا أن نهيئ له: المكان الجيد - التهوية - البيئة النظيفة - المكان الهادئ وهذا بدوره يؤدي إلى تقوية دافع القراءة لدى الطفل، كما يكتسب الطفل من حبه للقراءة أنه يتعود على معرفة مفاهيم دينه وجوهر عقيدته مما يقوي لديه حب الإيمان وتقوى الله مصداقاً لقوله تعالى: (واتقوا الله ويعلمكم الله).

من هنا نوجه دعوة إلى كل الآباء والأمهات والمربين أن يساعدوا أطفالهم على حب القراءة والمعرفة وأن يوفروا لهم كل السبل التي تعمل على خلق جيل مثقف ومسلح بشتى أنواع المعرفة الإنسانية لمواجهة أخطار الفكر المستورد ومحاربته بالمعرفة والثقافة الإسلامية. ■

سلسلة دوحة النشيد ١

الطفل والبحر

محتويات حقيبتي

بقلم: رفاه أحمد مهندس

حمّلت حقائبي بأشرطة «الكاسيت» تحمل عناوينها كطفلة غِرَّة تخشى على أشيائها الثمينة. الطفل والبحر ونشيد المستقبل ونبع الحب

هذه الأغاريد تحتفي بها الطفولة، فتشدو لها من ذات نفسها شدواً تطيب فيها نفوسهم، وتتلون أحلامهم شفافة كألوان قوس قزح لتترجم فيها مشاعر مخبوءة وأحاسيس دفاقة في قلوب وأخيلة الصغار.

رحمتك يا رب.. لقد أجبت دعاءنا.. ورحمت آهاتنا ... ولطالما استجرنا طويلاً مما كنا نسميه أغاريد الطفولة فكنا إذ نترنم نردد كالببغاوات:

يا بياع الكرزة
الله رزق الله رزق
حاج تصيح وتنادي
فيقتي لي وليداتي



يبتعلك «حمى» تكون: واحد اثنين ثلاثة أربعة....

فيعلوا إذ ذاك نداء أمي الحبيب يقرّعني:

عيب يا رفاه.. الحمى تحدف على عدوك

فيكون ذاك درساً أتعلمه ولكني ابحث عن شيء أردده فيلهو به لساني، والاعب به أترابي.

وإذا ما مرت أصوات الأطفال في الحارة تتظاهر حناجرهم في حماسة وتوثب:

يا حاج محمد يويو
أعطينا حصانك يويو
أشد واركب يويو

إلى آخر ما يرددونه فنردد خلفهم ونحن لا نعي عمن يتكلمون:

محمد ما مات خلّف بنات

حتى بدأت تكبر المعاني في أذهاننا ونكتشف أن الذين أجروا هذا الكلام إنما كانوا يسبّون به ديناً ونبياً، وأن الذين يرددونه لا يعون من حقيقته إلا تطابق القافية ليكون في آذانهم جرساً يقع من نفوسهم موقع الرضى والاستحسان.

وكنا إذا رأينا طفلاً في مهده رددنا على مسامعه:

ماما زمنها جاية
جاية بعد شوية
جايبة لعب وحاجات

إلى آخر هذه الدعابة نسمعها صوتاً ونراها مغنّاة صورة يحكم مقاطعها صوت طفل يناغي مناغاة محببة بإشارات جميلة.

وحقيقتها أنها تسلي بفرحتها لأنها تذكّر من يسمعها بأحلى أيامه... أيام الطفولة الحابية.

وكم كنت أظن أن فيروز تغني للأطفال عن الطائرة، وما تحمله من أحلام جميلة تسكن مخيلتنا الصغيرة وهي تحاول أن ترسم للعالم من حولنا صورة جميلة نطير فيها مع ذرات الهواء.

ولكننا من بعد صرنا نناقش هذه الكلمات وهي غير ذات رقيّ في مدلولها:

طيري يا طيارة طيري
يا ورق وخيطان
بدي أرجع بنت صغيرة
على سطح الجيران
وينسانا الزمان
على سطح الجيران

وهذه الكلمات ترمي شباكاً لما هو أبعد من عالم الطفولة البريء الطاهرة مع بساطتها.

وكم كنّا نبحث في القصائد المدرسية عن شيء ننغمه لنردده من بعد، ثم ننسى أنغامنا لأنها «انفرادية» ومع مرّ الأيام صارت القصائد نفسها تُنسى..

وبقي الأمل حبيس الوجدان تكبر أحلامه في أن نصوغ لأبنائنا حاضراً أزهى من ماضينا.. حاضراً يرسمه خيال شاعر يحب أمته ويحسّ بمواجد الصغار وما يؤهلهم ليكونوا رجالاً حماة كُماة.

إن أروع ما نقدمه لأرواح بريئة رفرافة كالنسيم العاطر أن نجعل العاطفة مترجمة

بين أسماعهم وأبصارهم في كلمات وأنغام يسمعونها بآذانهم ويكررونها بأفواههم تنبعث منها أنفاس الحياة، ويلهثون بتكرارها وكأنهم يتشبعون بمعانيها حسب لهثاتهم إلى أن تغني من حولهم الحياة وهم يكررون أجمل المقاطع، من وحي صورة حية... في إطار قصة شعرية... قدمتها لهم دوحة النشيد:

أمام البحر قد وقفا
صبي يجمع الصدفا
وحين الموج بلله
أحسَّ البرد فارتجفا

إلى أن تنبسط المعاني في روحانية غير مفتعلة:

وقال البحر يا ولدي
سل الأسماك في كبدي
وسل موجي تجد قلبي
بحب الله قد هتفا

كما أن في شخصية الإنسان روحاً كامنة تترسم ملامحها منذ اللحظة الأولى التي تعانقه فيها قوانين الحياة، تلك اللحظة التي يقضيها خائفاً متلهفاً في هذه الأرض التي هي قدره.

فكيف إذا ما حمَّلت طفولته معاني الحب، وغرست في روحه شتلات الإيمان بعمق جذورها تسقيها وترويها أنغام وكلمات وألحان..

فلا شك بأن الكون كله كأنما يشدو حينما تشدو القلوب:

حملت الحب في القلب
سكبت الحب في الدرب
تعالوا فتشوا عمري
فلن تلقوا سوى الحب
أحب الزهر في البستان
أحب الطير والغزلان
وموج البحر والشطآن
وما في العالم الرحب

كلمات بسيطة تفور في أعماق الوجدان فتحمله الرسائل الجليلة... بيد أن أعطاف الدنى لتهتز طرباً ونشوة ووليدها البرعم يحمل المعاني العظيمة، ليتردد صداها بين جدران قلبه الصغير حتى ليسمع الوجود نبضه.

نبسم نمرح نجري نحيا
في حب وصفاء
فلقد خلق الله الدنيا
باسمة الأرجاء
نهتف يا أبنائي هيا
هيا يا أبناء
عملاً سعياً جوداً هدياً

فالإيمان عطاء

ولا شك كذلك أن قوة اللغة في بساطة تراكيبها حينما تؤدي معنى ينسكب في نفس سامعه وقائله ليكون أبلغ، أو تبلغ شأناً أعظم عندما تتسلل الكلمات اللطيفة برقتها لتعكس صورة الأشياء المألوفة ملونة بألوان جديدة تترجم أحاسيساها تحت وهج الشمس، أو مع انسياب أنوار القمر، أو بين أمواج بحر وجريان نهر، أو تحت ظل الشجر الوارف لتطير مع العصافير، وتحط على الزهر كالنحل، أو مع المطر ينهل بماء الحياة فيحييه.

صور شعرية جميلة تتحرك ظلالها وتعابيرها في الأسماع الصغيرة مدوية بمعانيها الكبيرة... وبهذا تتفوق مجموعة السنا، وهي تلقي بإضاءاتها النيرة، ثم تترجم الصور شعراً.

على لسان الشمس يقول:
قالت لأشعتها سيري
ما بين بيوت وقصور
بالعدل فلا فرق لدينا
ما بين غني وفقير
وللقمر يغني:
قالت له نجمة
يا صاحب الهمة
لن تغلب الظلمة
فأجابها: سنرى
ورمى على الأرض
بشعاعه الفضي
ومشى إلى الروض
ليصافح الشجر
من نوره الهادي
الآسر الشادي
قد أشرق الوادي
وبحسنه افتخرا

إن الكثير من البيوت لم تعد تظلها إلا الستائر، ولم تعد تنيرها إلا أفكار القنوات الفضائية، ولم تعد تغذيها إلا «البيتزا» و«البرغر» على طريقة مشوهة رعناء.

لقد فقد الطفل المعاصر - في كثير من الأحيان - توازن العواطف وتوازن العطاء... والرحمة الهادية والكلام الجميل حينا يصوغ صور الأشياء. فلعل أصداء «دوحة النشيد» وهي تفيض:



بـ «نبع الحب» وتحمل معها بشريات «نشيد المستقبل». وتأبى إلا المواجهة بين «الطفل والبحر». لعلها تحمل في صدق غايتها... ونبل مراميها.. ورفعة المعنى في لطافة المغنى... إذ تحمل مناعة لهوية الطفل المعاصر من أن تذوب أمام تيارات «الباربي» و«البوكاهنتس» والـ«ستيفنس» وغيرها مما بين سمعهم وملء البصر لعل «دوحة النشيد» تعيننا في حماية صغارنا ورئة المستقبل من لوثات العصر وانتكاسات الذوق الإنساني الرفيع. ولعلها تعين في رفع الحصار أمام البيان المفيد في لثغة صغارنا وما يحملون من مشاعر تفيض إذ تفيض في قلوبهم ولا يستطيعون لها ترجماناً.

ولكني وأنا أحمل فرحة كلمات كُتبت من واقع تربوي ونظرة واثقة، وأدب رفيع أصيل، تحملها ألحان عفوية مطابقة لهدف الكلمة «أعتب إذ أعتب».

لأننا وعلى الرغم من أن لكل شريط كتاباً خاصاً به، قد كُتبت فيه القصائد بخط واضح «مشكّل» في غالب الأحيان إلا أننا في زمن الصورة المتحركة، نحتاج إلى تسجيل صوتي مرئي يقدم الصورة الأسرة بحسب موضوعات الأغاريد: صور عن البحر وعنفوانه، عن النهر وانعطافاته، عن العصافير ومحطاتها، حتى تؤدي دوراً في البناء أقوَم، وتصيب هدفاً في الذاكرة أبلغ وأعظم. كما أن عتبي لا حدود له على كل تربوي ناجح، وعلى كل مدير أو مديرة لمدرسة، أو مسؤول أو مسؤولة في حقول التربية بكل اختصاصاتها، إن لم تُقرر هذه المواد الأدبية مصوغة بسلسلة للنشيد من أهم مواد الدراسة والتوجيه نصوصاً ومحفوظات، ترداداً تعليمياً ونشيداً تربوياً، وبخاصة إذا ما تأمل المعنيون بخبرتهم الصيغ التعبيرية، وما تحتويه من بساطة في الشكل، وقوة في المضمون.

ذلك إيماناً منا بأن أرواح أبنائنا وبناتنا كالزهر في الروض ينتظر الندى، وتتوق أعطافه إلى المطر، حتى يتسنى له من بعد أن يَهَبَ الشذى ويمنح العبير، ويسمو على سوق قد استغلظت جذوره ضاربة في عمق الأرض. وبعد أفلا يحق لي أن أستمسك بمحتويات حقائبي الغالية...؟! ■

لا تيأسي

بقلم: محمد رشيد العويد

من أكثر ما أخشى عليك أختي المسلمة المؤمنة اليأس، اليأس الذي يضعفك، وينال منك، ويتعارض مع إيمانك بالله وحسن الظن به: (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) يوسف: ٨٧، قال القرطبي: «إن المؤمن يرجو فرج الله، والكافر يقنط في الشدة»، والآية «دليل على أن القنوط من الكبائر، وهو اليأس».

وحتى لا يكون الكلام نظرياً... اقرأي معي هذه الكلمات لفتاة كانت الأولى على زميلاتها في الثانوية العامة المصرية: «سر نجاحي وتفوقي يرجع أولاً وأخيراً إلى توفيق من عند الله وإلى رضاه عني، فأنا أصلي وأصوم وأتمنى زيارة بيت الله الحرام حينما تسمح الظروف».

ليست هذه الفتاة مبصرة، أجل... فقد فقدت نعمة البصر في العام الأول من حياتها بعد إصابتها بالحصبة، فأثرت حرارة جسدها على أعصاب عينيها فضمرت تماماً، ولم تنجح محاولات الأطباء في علاجها.

لم تيأس لأنها فقدت البصر، فهي مازالت تملك السمع واللمس، ها هي تذكر هاتين النعمتين وتقارن نفسها بالأديبة المشهورة هيلين كيلر، التي لم تفقد البصر فحسب، بل فقدت معهما السمع والنطق، تقول الفتاة، موضوع حديثنا «واسمها داليا»: «لماذا لا تكون هناك أكثر من معجزة؟ هيلين كيلر الأديبة المشهورة والمعجزة الصماء البكماء العمياء أنا أفضل منها... فأنا أملك حاستي السمع واللمس وهيلين لم تكن تملكهما ... فلماذا لا أحقق ما حققته بل أكثر؟».

عبرة

هل رأيت كيف ترى نفسها في نعمة كبيرة لأنها تملك حاستي السمع واللمس؟ كيف قارنت نفسها بمن هي أقل منها في عدد حواسها ... وليس بمن هي أكثر منها في عدد حواسها؟

لماذا إذاً تشعرين أختي المسلمة باليأس إذ حلّت بك مصيبة تبقى أقل من مصيبة فقد البصر؟ وأنت المؤمنة بالله وقضائه؟

لماذا يحل بك القنوط إذا أصبت بمرض أضعف جسمك وأخذ من صحتك... لكنه - بإيمانك - لن يأخذ من روحك وعزيمتك وحسن ظنك بالله.

لماذا تشتكين إذا قلّ مالك... ولا تحمدين الله وأنت تنظرين إلى من هي أقل منك مالاً؟!

شرح الله صدرك إلى الرضى بما قضى الله وقدر، وألهمك الشكر على ما أنعم به وتفضل، وأخذ بيدك للعمل بما دعا إليه وأمر. ■



٤٪ من الإيطاليات ضحايا الاغتصاب

كشف تقرير حديث صادر عن معهد الإحصاء الإيطالي «ايستات»، ومقره العاصمة روما، أن ما لا يقل عن ٤ في المئة من نساء إيطاليا من أعمار ١٤ إلى ٥٩ عاماً هن ضحايا للاغتصاب الجنسي، وأضاف التقرير أن مجموع النساء اللواتي تعرضن لعمليات تحرش ومضايقة جنسية يصل إلى تسعة ملايين. وأكد تقرير معهد الإحصاء الإيطالي أن هذه الأحداث المروعة تكاد تمر من دون الإبلاغ عنها أو ملاحقة قانونية للجناة، نظراً لتفضيل الأغلبية العظمى من الضحايا السكوت وعدم الكشف عن الجريمة، سواء للشرطة أو للأهل، خوفاً من الفضيحة أو الإحراج أثناء التحقيق، ورغبة في الخروج من الحدث المأساوي في أسرع وقت ممكن عن طريق إدراجه في طي النسيان.

وتدور عمليات الاغتصاب على الأكثر في الشارع الإيطالي، وربما تجرى أيضاً في المنازل ومكاتب العمل ومحال اللقاء الاجتماعي بلا تمييز، ويحذر التقرير من أن ٢٩ في المئة من عمليات الاغتصاب ترتكب داخل البيوت المغلقة، بينما يقع ١٠,٥ في المئة منها داخل السيارات، ولا يُستثنى من هذه العمليات الأمكنة التي تعتبر «آمنة» تقليدياً وفي مقدمها مكاتب العمل أو الدكاكين وغيرها من الأماكن العمومية، كما تنتشر عمليات الابتزاز الجنسي بالنسبة للنساء العاملات سواء للتوظيف أو الترقية، أو حتى للاحتفاظ بالوظيفة تحت طائلة التهديد بالفصل لأسباب غير حقيقية.

وتعد نتائج المعهد الإيطالي الرسمي الموثوق على درجة عالية من الدقة نظراً لشمول عينة البحث والاستقصاء ما لا يقل عن ٢٠ ألف فتاة وامرأة بين الرابعة عشرة والتاسعة والخمسين من العمر.

ومما كشف عنه التقرير أن شعوراً عارماً بانعدام الأمن يسود الشارع الإيطالي، على عكس المعتقد حتى الآن بوصف إيطاليا من بلاد البحر المتوسط الآمنة نسبياً، حيث أزاحت نتائج الإحصاء الستار عن أن ما يصل إلى ١٤ مليون سيدة في إيطاليا يخشين السير بغير رفقة رجالهن في الشوارع المظلمة أو في الأمكنة المهجورة في أي وقت من النهار، كذلك يغلب إحساس عام بعدم الثقة في العثور على الجناة، حيث كشف استقصاء آخر عن أنه من بين ثلاثة ملايين و ٦٠٠ ألف جريمة ارتكبت في غضون العام الماضي، وحده في عموم إيطاليا لم تنجح الشرطة وقوات الأمن في ضبط أكثر من مليون و٤٠٠ ألف شخص من الجناة المسؤولين عنها، أي ما يزيد عن الثلث بقليل.

ولفت المعهد الإيطالي أيضاً إلى تزايد معدلات جرائم الابتزاز والتهديد، إذ يلجأ ما لا يقل عن ٦٠ ألف شخص إلى تغيير محال سكناهم كل عام هرباً من التهديد أو الابتزاز أو خوفاً من وقوع جرائم في مناطق يعتبرونها تفتقر إلى شروط الأمن العام وسط عجز قوات الشرطة عن فعل أي شيء لحمايتهم.

حاول حلب أنثى الفيل فهشمت عظامه!!

أصابت أنثى فيل مزارعاً كينياً شاباً بجروح خطيرة عندما حاول حلبها أثناء تناولها الأعشاب مع صغيرها.

وقالت صحيفة ديلي نيشن إن المزارع (٢١ عاماً) زحف حتى وصل إلى أنثى الفيل، ونجح في الحصول على بعض الحليب منها قبل أن تدرك أن صغيرها ليس هو من يرضع.

وأطاحت الأم الغاضبة بالشاب ووعاءه في الهواء وتعقبته أثناء تسلقه شجرة قريبة حيث اقتلعت الشجرة من جذورها ولوحت بها في الهواء والشاب متشبث بفروعها.

ولم ينقذ الشاب سوى أصوات بعض النسوة التي شتت انتباه الأم، ولم يتضح سبب محاولة الشاب الذي أصيب بكسور في القفص الصدري والكتف للحصول على لبن أنثى الفيل.

الصين مهددة بالإيدز

توقع خبراء أن يصل عدد حاملي فيروس «ايتش: آي، في» المسبب للإيدز في الصين إلى عشرة ملايين بلحول العام ٢٠١٠م، إذا لم يتخذ إجراء ما وإذا لم تكن هناك خطة تعليمية للوقاية من الإيدز.

وقال خبراء من الصين والخارج لمناسبة اليوم العالمي للإيدز، إن الصين معرضة لانتشار الايدز بشكل وبائي نتيجة للجهل بالفيروس المسبب للمرض وانتشار المخدرات التي تتعاطى عن طريق الحقن.

كما حذرت وزارة الصحة الصينية من أن عدد الحالات الحاملة للفيروس في البلاد قد يزيد على مليون شخص بحلول العام ٢٠٠٠ إذا لم تطبق خطة فاعلة للتصدي لانتشار المرض بشكل وبائي.

مليون جريمة و ٢٤ ألف قتيل خلال ١٠ أشهر في روسيا

كشفت المصادر الرسمية في موسكو عن ارتفاع معدلات الجريمة في روسيا ودعت إلى ضرورة اتخاذ الإجراءات الاستثنائية اللازمة لمواجهة هذه المشكلة، وكان الجنرال فلاديمير كوليسنيكوف النائب الأول لوزير الداخلية قد أشار في حديث تلفازي إلى أن دعوة يفغيني بريماكوف رئيس الحكومة وسيرغي ستيباشين وزير الداخلية بشأن اتخاذ إجراءات أكثر حسماً للتصدي للجريمة تتفق مع القانون بما في ذلك ما يُقال حول التصفية الجسدية للعناصر الإجرامية في حال المقاومة المسلحة.

وقال إن الأشهر العشرة الأخيرة من هذا العام شهدت ارتكاب ما يزيد عن مليوني جريمة، ومقتل ٢٤ ألف مواطن، وأضاف أنه مع نهاية هذا العام سيقتل ما يزيد عن ستة آلاف وخمسمئة مواطن، إلى جانب ارتكاب ما يزيد عن ١٤٨ ألف حادث سطو واعتداء مسلح.

وقال المسؤول الأمني الروسي إنه وبالرغم عن عدم توافر القاعدة المادية، والتشريعية اللازمة فقد استطاعت الأجهزة الروسية الكشف عن ملابسات ٨٠ في المئة من جرائم القتل منها ٢٢١ جريمة قتل مأجور و ٤٥٠ عصابة، إضافة إلى مئتي ألف قطعة سلاح وخمسة ملايين قطعة ذخيرة، وطالب بتشديد العقوبات لامتلاك السلاح من دون ترخيص رسمي.

عشر مراحل أنهتها إسرائيل لهدم المسجد الأقصى

عرض تقرير أكاديمي أعده مركز الدراسات المعاصرة في مدينة أم الفحم الفلسطينية في أراضي العام ١٩٤٨م مراحل تقود إلى سيطرة الاحتلال الإسرائيلي على المسجد الأقصى في إطار عملية التهويد وتقويض بناء المسجد الأقصى حيث مرت هذه العملية بعشر مراحل:

- المرحلة الأولى: تمتد من أواخر العام ١٩٦٧م حتى نهاية العام ١٩٦٨م وتميزت بحفر ٧٠ متراً أسفل الحائط الجنوبي للحرم القدسي خلف المئذنة الفخرية.

المرحلة الثانية: من العام ١٩٦٩م حتى العام ١٩٧٠م وقد وصلت الحفريات الإسرائيلية خلالها إلى أسفل المحكمة الشرعية، وخمسة أبواب هي أبواب السلسلة والمطهرة والقطانين والحديد وعلاء الدين البصري، إضافة إلى أربعة مساجد ومئذنة قايتباي وسوق القطانين، وأدت الحفريات وأعمال التهويد إلى تحويل قسم من المحكمة الإسلامية إلى كنيس وتصدع المعالم التاريخية لرباط الكرد والمدرسة الجوهرية.

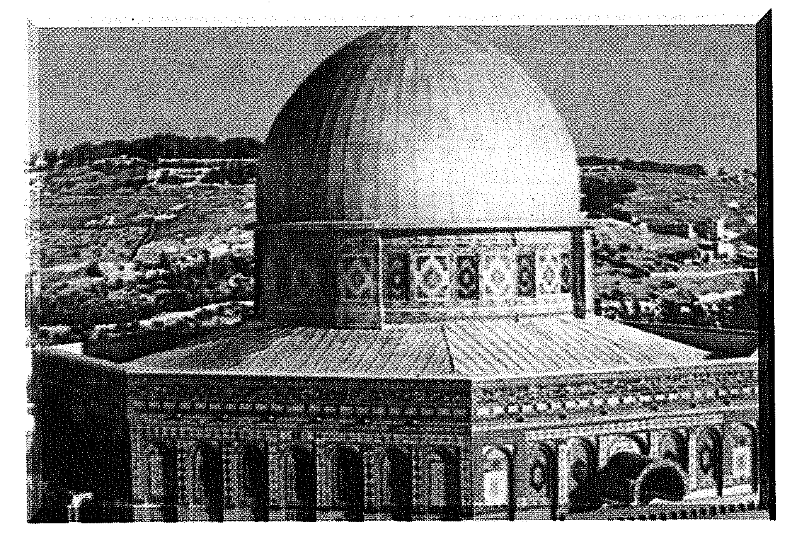
- المرحلتان الرابعة والخامسة امتدتا من العام ١٩٧٣م حتى أواخر ١٩٧٥م: وسملتا المنطقة الواقعة خلف الحائط الجنوبي الممتد أسفل القسم الشرقي للمسجد وسور الحرم القدسي الشريف، بطول ٨٠ متراً كما شملتا الأروقة السفلية للحرم الشريف.

- المرحلة السادسة: بدأت العام ١٩٧٥م وهدفت إلى إزالة قبور الصحابة وإقامة جزء من المتنزه الوطني الإسرائيلي.

- المرحلة السابعة: جاءت تطبيقاً لمشروع اللجنة الوزارية الإسرائيلية للعام ١٩٧٥ القاضي بضم الممتلكات الإسلامية نهائياً إلى حائط البراق والذي يطلق عليه اليهود «المبكى» واستمرار الحفريات تحت المحكمة الشرعية والمكتبة الخالدية وزاوية أبو مدين الغوث، وقد انهارت كلها إضافة إلى ٣٥ بيتاً.

المرحلة الثامنة: تعتبر هذه المرحلة التي انطلقت مع بدايات الثمانينات تحت شعار «كشف مدافن وملوك إسرائيل» من أخطر الحفريات التي طالت المسجد الأقصى، إذ حفر عدد كبير من الأنفاق التي لا تزال طي الكتمان، وأشار تقرير مركز الدراسات المعاصرة إلى افتضاح أمر هذه الحفريات على يد الشيخ رائد صلاح رئيس بلدية أم الفحم وجمعية الأقصى، ودائرة الأوقاف الإسلامية في القدس، وفي هذه المرة وقعت مواجهات دامية بين المصلين والمستعمرين اليهود وخلالها بدأ الحفر تحت المسجد الأقصى مباشرة.

- المرحلة التاسعة: بدأ تنفيذها العام ١٩٨١، وفيها أعيد فتح النفق الذي اكتشفه الكولونيل الإنكليزي تشارلز وران قبل أكثر من مئة عام وتم إغلاقه فيما بعد، بينما بدأت دائرة الآثار الإسرائيلية الحفر باتجاه الحرم الشريف مباشرة في الجانب الأسفل منه وفي منطقة المطهرة بين بابي الحرم والسلسلة والقطانين مخترقاً باب المغاربة ويمتد إلى المنطقة السفلى تحت المسجد الأقصى وزعمت إسرائيل أن الجدران المكتشفة في النفق تعود لهيكل سليمان وأطلقت عليه نفق «الحشمونئيم» رغم أن علماء آثار يهودا قضوا أكثر من عقدين من السنين في البحث عن أي أثر لما تذهب إليه مزاعم الحاخامات فلم يعثروا على ضالتهم، وأعلنوا قبل نحو العام في ١٩٩٧م أن لا آثار يهودية في منطقة الأقصى.



ورغم ذلك، فإن الإسرائيل بدأت المرحلة العاشرة بأن توجت هذه المرحلة بافتتاح جزء من نفق الحشمونئيم مساء يوم الاثنين ٢٤ من سبتمبر ١٩٩٦م طوله ٢٥٠ متراً، وأسفر الإعلان عن افتتاحه بحضور كبار المسؤولين الإسرائيليين إلى اندلاع موجة مواجهات هي الأعنف بسبب المسجد الأقصى، مما اضطر الحكومة الإسرائيلية إلى التراجع، وإشاعة إغلاق النفق، وكانت حفريات الحكومة الإسرائيلية قد امتدت على طول أساسات حائط المسجد الأقصى، ويبدأ من حائط البراق «المبكى» أسفل الحرم حتى يصل إلى شمال الحي الإسلامي.

وكان جزء من النفق قد فتح بعد احتلال القدس مباشرة وهو النفق نفسه الذي يمر بشبكة من الأقبية المفقودة في أيام حكم المماليك وفتح الجزء الثاني منه العام ١٩٨٧، وهو يعود للعهد الروماني، كما أكدت الحفريات الإسرائيلية نفسها.



نافذة على العالم

قيمة عطور الغرب ضعف كلفة التعليم الأساسي في المعمورة

يتناول الخمس الأغنى من السكان اللحوم في فترات تزيد ١١ مرة عن فترات تناولها من قبل الخمس الأفقر من سكان العالم، وينفق الأميركيون والأوروبيون ١٢ مليار دولار على اقتناء الروائح والعطور سنوياً، وهذا مبلغ يكفي مرتين لتغطية نفقات التعليم الأساسي لكل شخص يحتاج إليه في شتى بقاع العالم، كما ينفق الأوروبيون ١٧ مليار دولار سنوياً على شراء غذاء الحيوانات المنزلية، فيما لا يتمتع ٤,٤ مليار من سكان الدول النامية بسكن لائق. هذه الأرقام جاءت في تقارير منظمات دولية وحكومية مختلفة نشرت أخيراً.

وجاء ضمنها أيضاً أن الدعارة في الدول الفقيرة تشكل مدخولاتها في أندونيسيا وتايلاند وماليزيا، والفلبين بين ٢ و ١٤ في المئة من الناتج الإجمالي القومي حسب تقديرات منظمة العمل الدولية، وتعتبر منطقة ماينمار في بورما المصدر الرئيسي لأكثر من ٦٠ في المئة من موارد زراعة الأفيون الذي يمكن أن يستخلص منه ٢٣٦ طناً من الهيروين، أي أكثر من الهيروين، أي أكثر من حاجات العالم منه، حسب إحصاءات وزارة الخارجية الأميركية.

وينفق الأميركيون والأوروبيون ٨ مليارات دولار على مستحضرات التجميل سنوياً، كما ينفق طفل واحد في الدول الصناعية، ما يعادل إنفاق ٣٠ طفلاً من الدول النامية، ويسهم في تلويث البيئة ٣٠ مرة أكثر من أي متهم، وفيما تعاني مناطق الدول النامية من ازدياد قطع الغابات، فإن نصف أخشابها تستخدم من قبل سكان الدول الصناعية. ويملك ٢٢٥ من أغنياء العالم، ضمنهم ٦٠ من الولايات المتحدة ثروات تصل مجموعها إلى تريليون دولار، أي ما يقابل مدخولات ٢,٥ مليار شخص فقير من سكان العالم النامي، ويمتلك أغنى ١٥ شخصاً في العالم أموالاً تزيد عن الناتج القومي لكل دول أفريقيا جنوب الصحراء.

وتشير تقديرات معهد «ورلدوتش» إلى اقتراب تفجر أزمة تعليمية في الدول النامية، فيما ستزداد أعداد الأطفال في سن الدراسة الابتدائية ١٠ في المئة في أميركا بين عامي ١٩٩٥ و ٢٠٥٠م، فإنها ستزداد بنسبة ٧٧ في المئة في نيجيريا و ٥١ في المئة في باكستان، أما روسيا فستشهد هبوط الأعداد بنسبة ٣٩ في المئة، كما ستهبط في اليابان وفي الصين بنسبة ٢١ في المئة لكل منهما. وتظهر ٩٠ في المئة من حالات الوفاة بسبب تلوث أجواء الأرض في الدول المتقدمة صناعياً، ٨٠ في المئة منها بسبب التلوث الداخلي نتيجة عدم توافر منازل الفقراء على الوقود النقي واعتمادهم على الأخشاب والمخلفات في الطهي والتدفئة.

ويتضمن تقرير لهيئة التنمية البشرية التابع للأمم المتحدة بعض التفاؤل بخصوص انخفاض معدلات وفيات الأطفال في الدول النامية إلى أقل من نصف معدلاتها السابقة خلال الـ٣٥ عاماً الماضية، أي من ١٤٩ وفاة إلى ٦٥ وفاة لكل ألف منهم، وتتجهز كل عائلة في الصين حالياً بثلاجة منزلية فيما يمتلك فرد من كل عائلة في الهند على الأقل ساعة يدوية.

وتمثل الولايات المتحدة أغنى دولة في العالم من ناحية متوسط الدخل، إلا أن حصتها من الفقر هي الأعلى في العالم حسب المعايير التي وضعها برنامج الأمم المتحدة للتنمية، ويتعرض ٢٠ من العاملين في أميركا للقتل أسبوعياً، وأكثر المتعرضين المحتملين للقتل هم سائقو السيارات، وسيارات الأجرة، ورجال الشرطة، ورجال إطفاء الحرائق، كما تعتبر الولايات المتحدة من أكثر الدول استقبالاً للطلاب، حيث يسجل فيها ٤٥٣,٧٨٧ طالباً العام ١٩٩٧ حسب إحصاءات منظمة اليونسكو، يشكل الآسيويون الحصة الكبرى منهم: أكثر من ٧٢ ألفاً قدموا من الصين و ١٢ ألفاً من هونغ كونغ، وأكثر من ٤٥ ألفاً من اليابان.

وتحتل نيويورك، من حيث الكثافة السكانية، الموقع الرابع بين مدن العالم الكبرى بعد طوكيو ومكسيكو وساوباولو، لكن أغلى أسعار استئجار المكاتب في العالم يقع في منطقة ويست ايند في لندن، حيث يكلف إيجار القدم المربعة الواحدة أكثر من ١١٣ دولاراً في السنة، وتحتل منطقة مانهاتن الموقع الثالث في ارتفاع الإيجارات بعد منطقة لندن الكبرى ومدينة موسكو.

تحويل ٣٣ مسجداً في الخليل إلى كنس يهودية

أوضح تقرير ورد من مدينة الخليل أن السلطات الإسرائيلية عملت على تحويل ٣٣ مسجداً إسلامياً واقعة ضمن الأحياء الداخلية من مدينة الخليل الخاضعة للاحتلال إلى كنس لليهود. .

وجاء في التقرير الذي قُدّم لمكتب الأمم المتحدة في عمان أن السلطات الإسرائيلية خالفت القوانين والشرائع الدولية التي تحظر إجراء أي تغيير على مواقع الأماكن الخاضعة للاحتلال العسكري الموقت، وأوضح التقرير أن من بين المساجد التي سيطرت عليها إسرائيل وحوّلتها إلى كنس في مدينة الخليل الحرم الإبراهيمي ومسجد عثمان بن عفان، والزاوية، والبركة، والتوفيق، وجبل الرحمة، وخالد بن الوليد، والريش، والإشراق، والقدري، والسواكنة، والشبلي، والشيخ رشيد، وعلي بكا، والصديق، وطارق بن زياد، وقيطون، والكيالي، والقزازين، والأربعين، والوكالة، والوهبة، والهدى، والزاهدة، والمؤمنون، وجوهر، والأقطاب، والشهداء، والفاروق، وأبوعبيدة، وحاضور.

وأشار التقرير إلى قيام السلطات الإسرائيلية بالسيطرة على الكثير من المقابر الإسلامية في وسط مدينة الخليل، وتحويلها إلى ثكنات دائمة لمعسكرات الجيش الإسرائيلي وسط مدينة الخليل.

خلجات شاعر ليلة العيد

شعر
محمود محمد إبراهيم أحمد

يا شريد الأفكار هل بك ما بي
من هموم ولوعة واكتئاب

لست تدري بأي عينيك تبكي
وبأي الألفاظ تلقى عتابي؟

ادن مني وبثَّ كل شكاة
علّها أن تزول بعض الصعاب

أيها الواله المؤرّق هوناً
ربما كنت مخطئاً في الحساب

قد جعلتَ الهموم والغم زاداً
واتخذتَ الأحزان أروى شراب

يا قريح الأجفان هل أنت صَبٌّ
شفَّك الوجد بالجوى والعذاب

ترقب النجم بازغاً وأفُولاً
هل ترى صرت مولعاً بالتصابي؟

مقدم العيد يفرح الناس . عهدي .
فيتيهون في قشيب الثياب

ويطيرون في الفضاء سروراً
ويغنون فوق خضر الروابي

وتشع الأنوار من كل وجه
وتطل الأفراح من كل باب

بينما أنت مكفهرُ المحيا
لا تبالي بأغنيات عذاب

يا صديقي لو أن صدرك فيه
مثل قلبي لما نكرت ارتيابي

إن عينيَّ فيهما كل سر
وجواب عن شقوتي وعذابي

فنحيبي يريك كل بلائي
ودموعي تريك هول مصابي

فتأمل هذي الدموع تشاهد
صور الحزن مفصحات الجواب

هذه دمعة لطفل يتيم
قذف الحقد أهله في التراب

وصغير يهوى رجوع أبيه
من سجون الطغيان والإرهاب

هذه رحمة لطفل ظميٍ
يُحرم الري من بحار السراب

صار بالجوع في العراء كسيحاً
طعمة الوحش وانتهاب العقاب

هذه حسرة لعذراء خدر
جرجرتها في العار كف الغلاب

نزعوها من بيت عزٍ تردى
كان أسمى من ناطحات السحاب

كان يوماً تنساب منه لحون
فاستحالت إلى نعيق غراب

هذه زفرة لشيخ يصلي
عاذ بالبيت من نذير الشهاب

مزقته قذائف اللؤم غدراً
وهو يدعو قبالة المحراب

هذه شهقة لثكلى عجوز
وهي تبكي على فتيّ الشباب

ذبحوه في حجرها دون جرم
ثم سوّوا عظامه بالتراب

هذه لهفة لحقل نضير
أصبح الآن كالحُزون الصلاب

هذه عبرة لروض بهيج
صار مأوى ثعالب وكلاب

هذه رأفة لشعب كريم
مزقته الأطماع بالأنياب

أيها الشاعر الذي ألهبته
صرخات الأشباح طيّ الثياب

كفكف الدمع يا أخيّ وحاول
أن تعيش الحياة كالأتراب

يا صديقي أراك غير محق
لا تكن هكذا مرير العتاب

أيُّ حرٍّ في الأرض كيف يغني؟
كيف يرضى بدانيات الرغاب

لا يبالي بمقدم العيد مثلي
والأسارى قد أمعنوا في الغياب

لست طفلاً تروضه بعض حلوى
أو يُلَهّى بدمية في جراب

وحقوق الإنسان صارت خيالاً
وحروفاً مرموقة بالسحاب

فهو يحيا حياة هون ويرضى
بشعار مغلف بالكِذاب

نحن في عالم عجيب مريب
شائه الوجه دون أي حجاب

ليس والله شاعراً من يغني
وضجيج الأحزان فوق القباب

أتريدون أن أروح وأغدو؟
وأصم الآذان كالمتغابي؟

أتريدون أن أغني لليلى
أو للُبنى وأشتكي من رباب؟

أتريدون أن يغني أسير
وهو للسيف دائماً في ارتقاب؟

إن هذا والله جدُّ بعيد
دونه إن أردت حزّ الرقاب

أنا حيٌّ ولي فؤاد وروح
لستُ جلفاً كهذه الأنصاب

ما بقلبي تلهف لحبيب
أو لقاء أو نظرة من كعاب

بيد أني أحار فيما أراه
وسؤالي يظل دون جواب

هل يرى الناس منقذاً ذات يوم
يخرج الخلق من خضم العباب؟

إن حال الإنسان في الكون يبكي
وإلى الله أشتكي كل ما بي

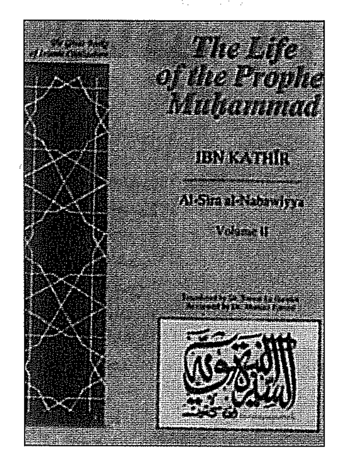
نحن في الهمّ والبلاء سواء
وكلانا يريد أسمى الطلاب

فتهيأ وسرِ وئيداً وكبِّر
وامض للفجر في خطى الوثاب

كلما تحلك السماء فويقي
يشرق النور من ثنايا السحاب



السيرة النبوية باللغة الانكليزية



صدر حديثاً كتاب يحمل عنوان «حياة الرسول محمد: السيرة النبوية» لابن كثير، قام بترجمته إلى اللغة الإنكليزية البروفيسور تريفور لوكاسيك وراجعه الدكتور أحمد فريد والدكتور منير فريد.

ويعتبر الكتاب من أهم الكتب التي صدرت عن دار جارنيت للنشر ضمن سلسلة الحضارة الإسلامية، بهدف وضع النصوص الإسلامية الكلاسيكية في متناول المتكلمين بالإنكليزية.

وكان الكتاب قد تم تجميعه في القرن الرابع عشر بفضل عالم بارز يدعى ابن كثير، قام فيه بدراسة شاملة حسب التسلسل التاريخي، لحياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ورسالته. وقد اعتمد في ذلك على مصادر عربية وأصلية ثابتة، والكتاب باللغة الإنكليزية يقدم أشمل دراسة حول الظروف والشخصيات التاريخية التي أسهمت في قيام الإسلام، وابن كثير يقدم عملاً راقياً دقيقاً حول العلم الإسلامي، وكل ما روي فيه وكل المقتطفات التي تشكل صلب الكتاب، تم شرحها وتقييمها حسب مصداقية أصلها ومصدرها، وتم تسجيل كل الاختلافات في نقل السيرة النبوية حتى ولو كانت اختلافاً في الكلمات فقط، كما أن ابن كثير لم يكتف بإعطاء شرحه فحسب، بل كان دائماً يدعمه بشرح وتفسير المصادر الإسلامية الأولى لتأكيد مصداقية وثائق الكتاب، وإلى جانب كل هذا، فإن التعليقات والحوارات المسجلة في هذا الكتاب والمقتطفة من النصوص القديمة تكون أساس المعرفة بالإسلام عند الأوروبيين الذين يودون تعلمه.

والكتاب مؤلف من أربعة مجلدات ففي المجلد الأول يربط المؤلف بين تاريخ القبائل العربية من أجداد النبي - صلى الله عليه وسلم، وحياة والديه، وروايات حول أحداث غريبة أحاطت بولادته، وبعد ذلك يربط الكاتب بين روايات طفولته وإشارات نبوية، وبداية الوحي.

وفي المجلد الثاني يتطرق الكاتب إلى السنوات الأولى من النبوة بما في ذلك الإسراء والمعراج وزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - وبخاصة زواجه بعائشة - رضي الله عنها - والهجرة إلى المدينة.

كما يعطي الكتاب تفاصيل دقيقة عن السنتين اللتين تلتا الهجرة إلى المدينة، بما في ذلك بناء المسجد النبوي، وعدد من البعثات العسكرية، كما يشرح تطور الإسلام كدين وانتشاره في الأصقاع انطلاقاً من سياسة حكيمة تسامحت مع شعوب المناطق التي فتحها المسلمون.

ومع أن المترجم يعترف - بتواضع - أن الكتاب لابد وأن يحتوي على الأخطاء التي هي من «صفة البشر» فإن القارئ للنص الإنكليزي وبخلفية القارئ الغربي، سيكتشف حكماً الجهد الكبير الذي بذله في تقديم عمل مهم كالسيرة النبوية للمرة الأولى باللغة الإنكليزية وبصيغة كاملة فإذا كانت كتب السيرة والأحاديث النبوية باللغة العربية متوافرة في السابق للباحثين المستشرقين - وهم إجمالاً غير موضوعيين تجاه الإسلام والمسلمين - فإن وجود النص مترجماً وبأمانة إلى الإنكليزية لا يترك عذراً لأحد من الغربيين الراغبين فعلاً في معرفة الإسلام من مصادره الأساسية.

المياه واستراتيجية إسرائيل

صدر عن شركة رياض الريس للكتب والنشر بيروت كتاب جديد للمهندس طارق المجذوب بعنوان «لا أحد يشرب - مشاريع المياه في استراتيجية إسرائيل»، ويتألف الكتاب من أربعة فصول يتحدث المؤلف في الفصل الأول عن أطماع إسرائيل في مياه جنوب لبنان والجولان ومصر، وفي الفصل الثاني يتناول تكتيك إسرائيل في المفاوضات المتعددة الأطراف حول المياه، ويؤكد في الفصل الثالث أن المياه جسر عبر إسرائيل إلى المجتمع العربي، وفي الفصل الرابع يتناول المؤلف استشراف آفاق التعاون المائي بين العرب ودول الجوار الجغرافي، ويعالج هذا الكتاب الحافل بالجداول والخرائط والرسوم البيانية أطماع إسرائيل المائية، ومشاريعها المائية الجديدة والقديمة «قناة البحرين والقناة المائية العازلة في الجولان، والأكياس المائية العامة في تركيا ومشروع الأبراج الحرارية لتحلية مياه البحر».

ولا يكتفي الكتاب بطرح الاستراتيجية المائية الإسرائيلية، بل يبلور الرد العربي المقترح عليها بأسلوب ممتع ومفعم بالحجج المنطقية والاستشهادات الواقعية.

جوائز مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

قدم وزير التربية والتعليم العالي الكويتي الدكتور عبدالعزيز الغانم نيابة عن أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح يوم ١٩٩٨/١١/٣٠م جوائز مؤسسة الكويت للتقدم العلمي لـ١٤ باحثاً عربياً وكويتياً للعام ١٩٩٧م، وحجبت جوائز ٥ مجالات هي : العلوم الاقتصادية والاجتماعية والعلوم التطبيقية، وكذلك التراث العلمي العربي والإسلامي والتأليف والترجمة في العلوم، وأخيراً مجال أفضل كتاب مؤلف للطفل العربي. ونال الدكتور شيرين صلاح الدين عبدالحميد «مصر» جائزة مجال العلوم الأساسية «الفيزياء الحيوية»، والدكتورة فدوى مالطي دوغلاس «لبنان» المتخصصة في الأدب العربي الكلاسيكي جائزة مجال الفن والآداب «دراسات في النثر العربي القديم». وفيما يتعلق بجائزة معرض الكتاب العربي الثامن والعشرين للعام ١٩٩٧م، نال كتاب «روضة الأرواح» لمؤلفه محمد ناصر العجمي «الكويت» جائزة أفضل كتاب عن دولة الكويت، كما حصل الدكتور زاهي جوزف ناصر «لبنان» على جائزة أفضل كتاب بالفنون والآداب والإنسانيات عن مؤلفه «أمثالنا العامة»، وذلك مناصفة مع الدكتور أحمد بن عمر الزيلعي «السعودية» صاحب كتاب «الخلف والخليف... أثرهما ونقوشهما الإسلامية».

وفي أفضل كتاب مترجم إلى اللغة العربية في الفنون والآداب، حصل على الجائزة كل من الدكتور، محمد نجيب الصبوة، والدكتور مصطفى كامل، والدكتور محمد الدقة «مصر» وذلك عن مؤلفهم «علم النفس المعرفي». وفي جائزة الإنتاج العلمي، نال الدكتور عبدالحميد الهاشم جائزة العلوم الهندسية، ونال أيضاً الدكتور ضاري العجمي «الكويت» جائزة العلوم الطبيعية والرياضية، كما حصلت الدكتورة سميرة أحمد سيد عمر «الكويت» على جائزة العلوم الحياتية، وجاءت جائزة العلوم الاقتصادية والإدارية من نصيب الدكتور نبيل اللوغاني «الكويت»، وجائزة العلوم الاجتماعية والإنسانية لصالح الدكتورة زينب علي الجبر «الكويت»، فيما حصل الدكتور ناصر حيات «الكويت» على جائزة العلوم الطبية، يذكر أن الجائزة التي تقدمها مؤسسة الكويت للتقدم العلمي تبلغ قيمتها ٣٠ ألف دينار (نحو ١٠٠ ألف دولار أميركي) لكل عالم أو كاتب في مجال معين.

مصر بين التغريب والتكفير

عن دار الشروق المصرية صدر حديثاً كتاب بعنوان «مصر القادمة بين التغريب والتكفير» لمؤلفه الدكتور رفيق حبيب.

وهذا الكتاب يقدم محاولة لتصور أي محاولة لتقديم رؤية تحتاج إلى استكمالها وتطويرها وتعديلها، وهي رؤية تقوم في أساسها وجوهرها على تصور وتحديد وتعريف «الأنا» وعلى استيعاب ذاتنا الحضارية، ومن جانب آخر فإن الكتاب يركز على التيارات الأعلى صوتاً والأكثر تأثيراً، وكذلك التيارات النموذجية والأكثر تشدداً وتطرفاً بمعنى أن المعالجات تركز على الحالات النموذجية.

المتغيرات الدولية والدور الإسلامي المطلوب

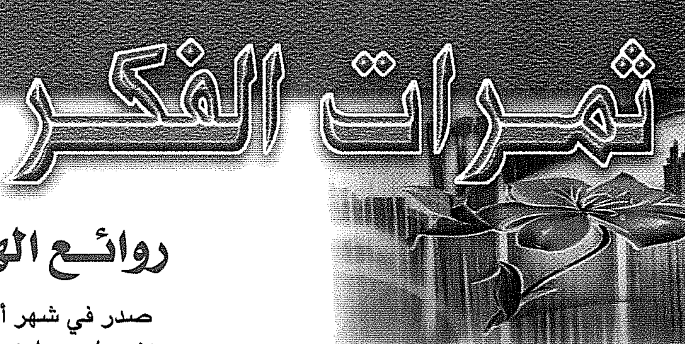
فتحي يكن - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م - ١٧٢ صفحة

يعرض المؤلف في كتابه المتغيرات العالمية التي ترتبت على انهيار المعسكر الشيوعي، وانفراط عقد المنظومة الاشتراكية وأحلافها العسكرية وما نتج عن أحداث الخليج والتفاعلات المختلفة التي يشهدها العالم اليوم في معظم دول القارات الخمس، ويعرض بالإضافة إلى ذلك النظام الدولي الجديد الذي لم تتضح معالمه بعد، ويركز في نهاية الكتاب على الدور الإسلامي المنتظر والمنشود في مواجهة هذه المتغيرات، وما نجم عنها من معادلات إقليمية ودولية، مؤكداً الحاجة إلى مشروع إسلامي حضاري ينهض بالأمة الإسلامية بعد تفككها إثر المؤامرة على الخلافة في مطلع هذا القرن، وزيادة المواجهة والحرب ضد الإسلام والمسلمين في كل مكان في الآونة الأخيرة.

في الباب الثالث والرابع يتحدث المؤلف عن مشروعه الحضاري بعنوان: «العمل الإسلامي بين النخبوية والجماهيرية وقضايا محورية في المشروع الإسلامي».

أخبار ثقافية

- تتواصل في قاعة الفن في العاصمة النمساوية حالياً وحتى الواحد والعشرين من شهر فبراير المقبل فعاليات معرض فني يحمل عنوان: اليمن والفن والآثار، تعرض في هذا المعرض نماذج لمجموعة الآثار التي ترجع إلى عصر ملكة سبأ وصورا فوتوغرافية تعبّر عن هذه الحضارة ومن بينها صورة لسد مأرب الشهير.
- أصدر المركز القومي للبحوث التابع لوزارة البحث العلمي المصرية موسوعة باللغة الإنكليزية عن أبرز العلماء الباحثين في المركز في مختلف التخصصات العلمية وتقع الموسوعة في أكثر من ٥٠٠ صفحة، وتتضمن تقريباً بـ ٤٧٠ عالماً من أبرز الأساتذة الباحثين في المركز القومي للبحوث بشعبه الثلاث عشرة وأقسامه الاثنتي والستين ووحداته التسع عشرة.
- أعلن السيد وسن وزير الثقافة البلجيكي أن العاصمة البلجيكية «بروكسيل» ستحتضن سنة ٢٠٠٠م مركزاً ثقافياً عربياً من أجل أبرز القيم ومحاربة مخاوف الآخر.
- أظهرت دراسة ميدانية أعدتها هيئة رسمية «ديوان الأسرة والعمران البشري» أن أكثر من ٧٥٪ من الشباب التونسي يفضلون مطالعة الصحف باللغة العربية فيما يميل أقل من ٤٪ إلى القراءة باللغة الفرنسية لكن أكثر من ١٧٪ من الشباب لا يقرأون أي نوع من الصحف.
- صدر في عمان عن مركز الأردن الجديد للدراسات كتاب جديد بعنوان: «المجتمع المدني ودراسة السياسة في الشرق الأوسط»، من تأليف «جيليان شويرلر» وترجمة صادق عودة واشتمل الكتاب على ٢٤ ملخصاً لدراسات حول الشرق الأوسط وضعت من قبل باحثين متخصصين في قضايا الشرق الأوسط.

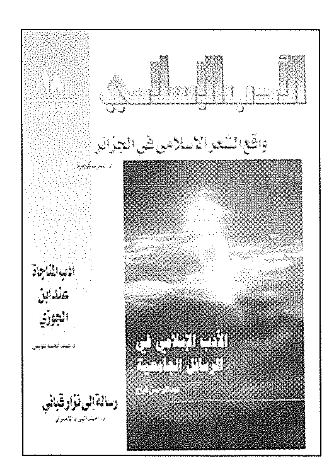


روائع الهندسة المعمارية الإسلامية

صدر في شهر أكتوبر الماضي كتاب يحمل عنوان قصة الهندسة المعمارية الإسلامية ضمن منشورات «جارنيت» بقلم «ريتشارد يومانز» منسق الفن والتصميم في معهد التربية بجامعة ورديك ويرى المؤلف أنه ليس هناك ما يفوق التمتع بعمل دين حي مثل الإسلام في قالبه الهندسي إلا في جامع دمشق الأكبر، كما أنه هو المكان المناسب لبداية الحديث عن تاريخ الهندسة المعمارية الإسلامية، إذ إنه تم بناء الجامع العام ٧١٥م، وهو أقدم جامع في العالم الإسلامي، ورغم قدم الجامع، فالنشاط الملاحظ فيه اليوم ما هو إلا برهان على الاستمرار في الإيمان والتصرف الاجتماعي المشترك الذي يرجع تاريخه إلى ما يقرب من ١٤٠٠ عام في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة، ويستكمل المؤلف الرواية التاريخية العريضة لشرح العوامل الدينية والاجتماعية والسياسية التي تشكل الهندسة المعمارية الإسلامية، وهكذا يكشف الكتاب عظمة الهندسة المعمارية الإسلامية، ويبين أنها على رغم اختلافها فإنها تتمتع بالالتحام والاستمرار.

وفي البداية يتحدث «ريتشارد يومانز» عن الدين الإسلامي، ويشرح كيف أن المواقف الدينية تحدد شكل ودور الفن الإسلامي والهندسة المعمارية، ثم ينتقل للحديث عن أصل الهندسة المعمارية الإسلامية منذ الآثار الأولى من عهد الخلفاء الأيوبيين، ويرى الكاتب أن هذه الآثار الأولى توضح أن قصة الهندسة المعمارية الإسلامية هي قصة التكيف المستمر والتغيير والتجديد تجاوباً مع طبيعة الاختلاف الثقافي والقومي الذي يكوّن الأمة الإسلامية، وبعد ذلك يتطرق الكتاب إلى التطور المرحلي وظهور الهوية العربية في العراق وتونس ومصر في القرن التاسع، إلى جانب كل ما سلف يتناول الكتاب بالدرس تطور وازدهار الفن المعماري الإسلامي عبر المراحل التاريخية المتسلسلة في مختلف مناطق العالم الإسلامي بما في ذلك أسبانيا والمغرب ومصر وسوريا وتركيا وبلاد الفرس وآسيا الوسطى وحتى أبعد نقطة في شرق الهند ويتضمن الكتاب ما يزيد عن ٢٠٠ صورة وتصميم.

عدد جديد من مجلة الأدب الإسلامي



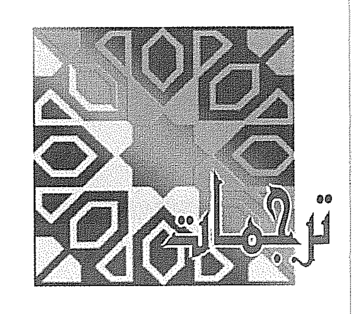
صدر العدد ١٨ من مجلة الأدب الإسلامي العالمية وجاء حافلاً بالموضوعات والدراسات والمناقشات والأخبار الأدبية، ففي هذا العدد نقرأ في الافتتاحية عن الظاهرة النزارية وما فيها من سقوط وترد ومجون وانحلال ودعوة مكشوفة إلى الفاحشة، وزندقة وكفر بالله وازدراء للأنبياء، وإذا كنا لا نعجب أن يعزز تردي العصر نزاراً وأشباه نزار فإن العجب كل العجب لأولئك الذين مضوا يمجدون من يكفر بالله ويطعن في أنبيائه ألا يخشون أن يخسف الله بهم الأرض بل يسلط عليهم اليهود وأشباه اليهود، وفي مجال المقالات والبحوث تضمن العدد مقالات عن «مفدى زكريا» شاعر العروبة والإسلام في الجزائر وقراءة نقدية لرواية ملكة العنب، وأدب المناجاة عند ابن الجوزي، وواقع الشعر الإسلامي في الجزائر وفي مجال الإبداع تضمن العدد موضوعات شتى من أبرزها: رحيل الشعراوي، إصرار، قصيدتان، من تراث الشعر، وفي مجال الردود والمناقشات تضمن العدد مقالاً للأستاذ حمد الجاسر حول الشيخ محمود محمد شاكر تحت عنوان: تصحيح في السياق التاريخي، ومقالاً آخر تحت عنوان: «بل الوسطية العربية وحدها هي الخلاص من المأزق».

مجلة أنيس الوالدين

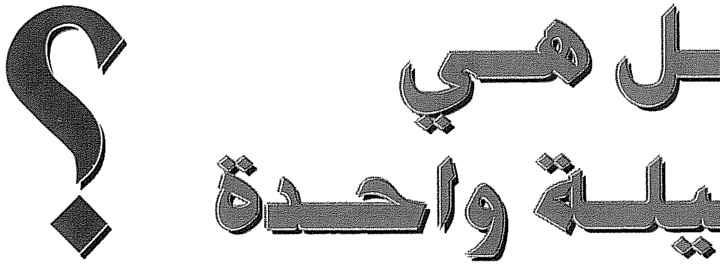
انسجاماً مع أهداف الصندوق الوقفي للثقافة والفكر في الإدارة العامة للأوقاف بتنمية ثقافة الطفل والاهتمام بغرس الثقافة في نفوس النشء، واتساقاً مع منطلقاته منذ تأسيسه لـ «أنيس» نادي القارئ الصغير في تحبيب القراءة والكتاب للأجيال الناشئة أصدر الصندوق مجلة «أنيس الوالدين» وهي مجلة تربوية تعليمية موجهة للأسرة الكويتية، حيث لا غنى عن دور الآباء والأمهات في تحقيق ما يهدف إليه من تنشئة الأطفال التنشئة المعرفية التي تجعل الثقافة والقراءة طريقهم إلى النمو والتقدم.

والآباء والأمهات هم ألصق الناس بأبنائهم لا يستطيعون أن ينهضوا بواجب الرعاية ما لم يكن لديهم إلمام بخصائص الطفولة في النمو النفسي والمعرفي وبما ينبغي أن يسلكوه من الطرق الصحيحة لتوجيه الأطفال إلى القراءة وربطهم بها، وهو ما تهدف مجلة «أنيس الوالدين» لتحقيقه.





تحت هذا العنوان نشرت مجلة التايم الأميركية مقالاً عن الصراع العنصري الحاد في إسرائيل، بين اليهود الشرقيين «الشبرديم» واليهود الغربيين «الاشكينازي» الذين يعاملون الشرقيين باحتقار، وكبرياء، وغرور، ويعتبرون أنفسهم مؤسسي دولة إسرائيل، فمنذ أن قامت إسرائيل، وهي تزعم أنها وطن اليهود من كل مكان، ورغم مساعي الحكومات المتعاقبة إنصاف اليهود الشرقيين، إلا أن الفجوة بينهم وبين الغربيين تزداد اتساعاً يوماً بعد يوم، وهذا ما كتبته صحيفة التايم الأميركية في عددها الصادر في ٢٠ أبريل ١٩٩٢م ص ٦٤، الذي أحببنا أن ننقله لقراء العربية لأهميته، ولما يحمله من أبعاد ليست جديدة في بداياتها لكن لها مدلولات ومؤشرات للمستقبل:



هل هي قبيلة واحدة؟

رابطة العالم الإسلامي . مكتب كندا

يعاني اليهود الشرقيون في إسرائيل من ويلات التعصب على يد الجهاز الاشكينازي، لكن كانت استقالة ديفيد ليفي خطوة محسوبة متشائمة.

لكن وزير الخارجية ليفي، لم يكن بذلك يقتحم معترك الصراع من أجل السلطة في حزب الليكود الحاكم، بل كان صوته مرتفعاً بالنقد، وعندما أعلن عن نيته باعتزال الوزارة أنحى باللائمة على التعصب العرقي داخل صفوف الليكود، وقال إنه تعب من وصفه بالقرد الذي نزل لتوه من على الشجرة، وهي إشارة إلى جذوره المغربية والحملة المشوهة داخل إسرائيل بأن اليهود من شمال أفريقيا وآسيا متخلفون بالقياس إلى أولئك القادمين من أوروبا. لقد كان ليفي مخادعاً إلى حد ما، ولم يكن محبوباً بين كثير من أعضاء الليكود تبعاً لخلقه الفظ المتعجرف أحياناً، لكنه بشكواه من التمييز العنصري قد فتح جرحاً قديماً في المجتمع الإسرائيلي، فلا يزال اليهود الأوروبيون والشرقيون منقسمين على أنفسهم تحجزهم فجوة من الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية رغم معايشتهم لبعضهم بعضاً مدة أربعة عقود، وهذه الفجوة تزداد اتساعاً وعمقاً، تقول حناكيم محررة سابقة في مجلة هاباتيش التي تركز على القضايا الاجتماعية: لقد استغل ليفي هذه القضية لمآربه الخاصة، لكنه وضع يده على شيء حقيقي. وهذا الموضوع لا يحب الإسرائيليون الحديث عنه، ورغم استجابة إسحاق شامير رئيس الوزراء لمطالب ليفي للحصول على مزيد من السيطرة على الليكود مقابل سحب استقالته، فقد رفض شامير مزاعم زميله بشأن التعصب، وقال إنها نكتة، فنحن جميعاً أعضاء من قبيلة واحدة، إلا أن الحقائق والأرقام تبين أن بعض أفراد هذه القبيلة أكثر مساواة من الآخرين، وأن الآمال قد تلاشت لاستيعاب اليهود الشرقيين أو الشبرديم الذين قدم معظمهم إلى إسرائيل من شمال أفريقيا ومن بلاد الشرق الأوسط خلال العقد الذي تلا الاستقلال العام ١٩٤٨م. فكل دولار يكسبه اليهود الشرقيون لكل فرد يقابله ١,٨٠ دولار لكل يهودي غربي، كما أن عدد أفراد الأسرة بين الشرقيين أكبر منه عند الغربيين، فليفي وحده له ١٢ ولداً، ولعل هذا من أسباب الشقة والانقسام، لكنه ليس كل شيء. كما أن الاشكينازي أو اليهود الغربيين يتمتعون بوظائف وأعمال أفضل، لأنهم يتلقون تعليمهم في مدارس أفضل، ويستمرون في التعليم فترة أطول، فنحو ٢٥٪ من أطفال الشرقيين الذين التحقوا بالمدارس حصلوا على دبلومات من المدارس العليا، بينما كانت النسبة ٤٦ في المئة بين الاشكنازي، والنسبة ٣ ـ ١ بالنسبة للطلاب المقبولين في الجامعات من الاشكنازي والشرقيين، صحيح أن مستوى المعيشة قد تحسن كثيراً بين الشرقيين، الذين جاء كثير منهم إلى إسرائيل بلا تعليم ولا مال، إلا أن الحياة تحسنت بشكل أفضل بين الغربيين، يقول حنا هيرتزوج من جامعة تل أبيب إن الأرض ترتفع ولكن السقف يرتفع أيضاً. وهكذا فإن الاختلاف بين الطرفين اللذين يتساوى عددهما في المجتمع الإسرائيلي، هذه الخلافات تنبثق من جذور عدة، فمؤسسو إسرائيل أولاً: كانوا من الغربيين، الذين أصبحوا هم جهاز الدولة، وتركوا الشرقيين للمرتبة الثانية، ثانياً: تعمدت الحكومة وهي تسعى لحل مشكلة الإسكان، تشتيت الشرقيين في المناطق الجرداء، التي لا يكاد يجد فيها القادمون الجدد إلا القليل من الموارد وفرص العمل، وقد نجم عن ذلك الفقر والإحساس بالغربة، ولا يزال الوضع كذلك، وأخيراً، مازال الشرقيون ضحية التمييز الخفي، إذ يعتبرهم كثير من اليهود الأوروبيين غير مهذبين، بل يعتبرونهم متوحشين، كما أن اليهود القادمين من المغرب هدف للاحتقار، وحتى ليفي، فإنه يبدو غبياً في نظر كثير من الغربيين تبعاً للكنته العبرية الثقيلة المتأثرة باللغة الفرنسية. ويعترف بعض أعضاء الحزب داخل الليكود أن ليفي يتعرض كثيراً للاضطهاد العنصري، وتتمثل شكوى ليفي الأساسية في أنه يرى أن طريقه نحو رئاسة الحزب مسدودة بسبب خلفيته العرقية، وقد ظهر ذلك جلياً، عندما وضعه الحزب ومؤيدوه في حيز مهين من تذكرته للانتخابات العامة المقررة في شهر يونيو من العام ١٩٩٩م. ومما يثير السخرية أن الليكود قد باع نفسه منذ زمن طويل كمدافع عن اليهود الشرقيين «الشبرديم»، ففي السبعينات استغل مناحيم بيغن رئيس الحزب آنذاك إحساس الشبرديم بالمرارة بسبب إقامتهم في مخيمات قذرة ومدن جديدة مهملة في سنواتهم المبكرة، كل ذلك كان تحت سيطرة حزب العمل، وكانت مكافأة بيغن أن دفع الشبرديم حزب الليكود إلى سدة الحكم في العام ١٩٧٧م، وأبقوه فيها طوال الخمسة عشر عاماً الماضية، باستثناء عامين اثنين منها، واليوم يعتمد الليكود على ثلثي أصواته من «الشبرديم»، لكن هؤلاء لا يتمتعون بتمثيل كاف لهم في زعامة الحزب، يقول سامي سموحا، عالم الاجتماع في جامعة حيفا المتخصص في العلاقات العنصرية: «إن الحصول على أصواتهم شيء، والتنازل لهم عن السلطة شيء آخر»، كما أن نخبة الاشكينازي في حزب الليكود يشعرون أن الحزب تابع لهم، ومن العسير عليهم أن يتصوروا نقله السلطة للشرقيين الذين يعتبرونهم من طبقة أدنى، وأقل تعليماً وكفاءة وهذا بالضبط ما لديهم من تصور عن ليفي نفسه. وليفي يعتبر رمزاً يفرض نفسه على مجتمعه، فهو أقوى سياسي شبرديمي في تاريخ إسرائيل، ومن ثمة يعتبر تجسيداً لكل ما حققه هؤلاء، ولذلك بعدما وصل إلى ما وصل إليه يريدون له ولأنفسهم المزيد، وهكذا فإن رفض امتعاض ليفي من وضعه لتحقيق ذلك يعكس خيبة أمل جماعته في عدم تحقيقهم المزيد، هذا الضيق يعتبر إنذاراً لليكود، وهو يتوجه نحو حملة الانتخابات، فربما لا يكون تأييد اليهود الشرقيين لليكود بالحماس نفسه، الذي كانوا عليه في الماضي. ■

من هدي كتاب الله

قـال الله تعالـى :

﴿ قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون. قل هل أنبئكم بِشرٍّ من ذلك مثوبه عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل ﴾

المائدة: ٥٩ ـ ٦٠

من هدي رسول الله ﷺ

عن أبي العباس عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : كنت خلف النبي ـ ﷺ ـ فقال لي:

«يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت باستعن بالله، واعلم أن الأمه لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف».

رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

شاهد ومشهود

أخرج ابن عساكر ـ رضي الله عنه ـ بسنده: أن الحسين بن علي ـ رضي الله عنهما ـ كان يجلس في مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ ويجتمع الناس حوله، ويتكلم بما يشفي غليل السائلين، ويقطع حجج القائلين.

من ذلك ما رواه الواحدي في تفسيره أن رجلاً قال: دخلت مسجد المدينة، فإذا أنا برجل يحدِّث عن رسول الله ـ ﷺ ـ والناس حوله.

فقلت له: أخبرني عن شاهد ومشهود؟

فقال: نعم، أما الشاهد فيوم الجمعة، وأما المشهود فيوم النحر.

فجزته إلى غلام كأن وجهه الدينار وهو يحدث عن رسول الله ﷺ.

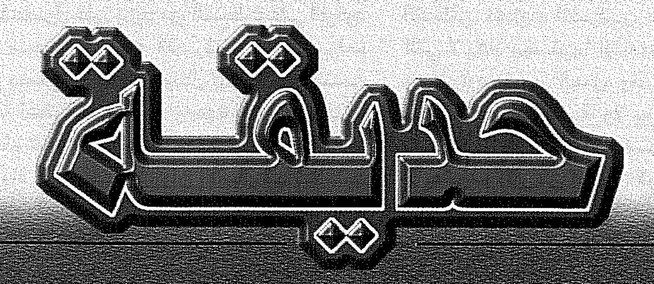
فقلت له: أخبرني عن شاهد ومشهود؟

فقال : نعم، أما الشاهد فمحمد ـ ﷺ ـ، وأما المشهود فيوم القيامة، أما سمعت قول الله تعالى: (يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً) وقوله تعالى: (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود).

فسألت عن الأول فقالوا: ابن عباس، وسألت عن الثاني فقالوا: الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما.

أنت طالق

نحر أعرابي جزوراً «أي غنمة فتية» وقال لامرأته: أطعمي أمي، فقالت: أيها أطعمها؟ قال: الورك، فقالت: التي ظهرت بلحمة وبطنت بشحمة؟ لا لعمري قال: الفخذ، قالت: الكثيرة اللحم الطيبة المخ؟ لا لعمري! قال: الكتف، قالت: الحاملة اللحم من كل مكان، قال: فما تطعمينها؟ قالت: اللحى التي ظهرت بالجلد وبطنت بالعظم. قال: تزودي إلى أهلك فأنت طالق!!



إعداد :
أحمد عبدالجبار

الفتاة... لا تكره على الزواج

عن عائشة رضي الله عنها قالت :

«جاءت فتاة إلى رسول الله - ﷺ - فقالت: يا رسول الله، إن أبي زوجني ابن أخيه يرفع بي خسيسته، فجعل الأمر إليها.

قالت : فإني قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن تعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء».

من مسند الإمام أحمد.

- وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن جارية بكراً أتت إلى رسول الله - ﷺ - فذكرت أن أباها زوّجها وهي كارهة، فخيّرها النبي ﷺ ...

رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه.

- وعن الخنساء بنت خدام الأنصارية، أن أباها زوّجها وهي ثيب، فكرهت ذلك، فأتت رسول الله - ﷺ - فرد نكاحها...

أخرجه الجماعة إلا مسلماً.

أخطاء لغوية شائعة

يقول كثير من الناس: احتاج محمد مساعدة، وهذا التعبير كما يقول علماء اللغة يجافي الاستعمال الفصيح الشائع في اللغة العربية، والفصيح أن يُقال: احتاج محمد إلى مساعدة، أي أنه يتعدى بحرف جر.

- يفشو استعمال هذين اللفظين «ظرف ومظروف» في غير موضعهما، فيقال خطأ: وضعت الرسالة في المظروف، والصواب: وضعتها في الظرف.

لأن من معاني الظرف لغة: الوعاء يوضع فيه شيء، ومنه ظرفا الزمان والمكان، وعند النحويين، فالزمان والمكان ظرفان لأحداث تقع فيهما، إذ لا يتصور حدث أو شيء دون تصور زمانه ومكانه، كأنهما وعاءان، والمظروف: اسم مفعول لما يوضع في الظرف، سواء أكان رسالة أم عسلاً أم غير ذلك.

قالوا

● قال حكيم : من الحمق التماس الإخوان بغير الوفاء، والتماس الآخرة بالرياء، والتماس مودة النساء بالغلظة.

● وقال حكيم آخر: إياك وقرناء السوء، فإنك إن عملت قالوا: راءيت، وإن قصَّرت قالوا: أثمت، وإن بكيت قالوا: بهتَّ، وإن ضحكت قالوا: جهلت، وإن نطقت قالوا: تكلّفت، وإن سكتَّ قالوا: عييت، وإن اقتصدت قالوا: بخلت.

● قال بعضهم: من خصال الأحمق فرحه بالكذب من مدحه، وتأثره بتعظيمه، وإن كان غير مستحق لذلك.

- قال زيد بن خالد: ليس أحمق من غني قد أمن الفقر، وفقير قد أيس من الغنى.

● قال الأصمعي: إذا أردت أن تعرف عقل الرجل في مجلس واحد فحدثه، بحديث لا أصل له، فإن رأيته أصغى إليك وبقلبه فاعلم أنه أحمق، وإن أنكره فهو عاقل.

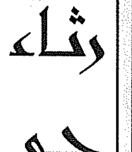
● قال أبو حاتم بن حيان: علامة الحمق سرعة الجواب... وترك التثبت وكثرة الالتفات، والوقيعة في الأخبار، والاختلاط بالأشرار.

الصدقة بالثوب

قال المهلب: ما رأيت أحداً بين يدي قط إلا أحببت أن أرى ثيابي عليه، واعلموا يا بني أن ثيابكم على غيركم أحسن منها عليكم.

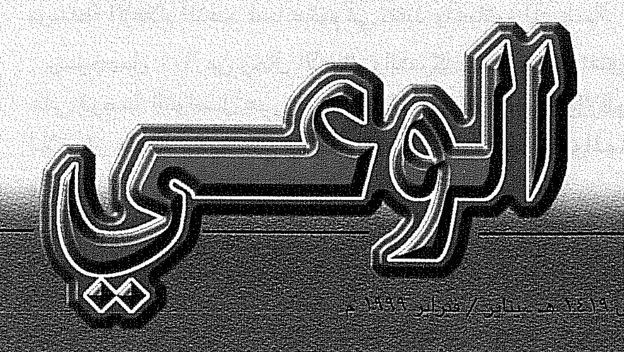
صنف من الناس

من سمع القرآن فلم يخشع، وذكر الذنب فلم يحزن، ورأى العبرة فلم يعتبر، وسمع الكارثة فلم يتألم، وجالس العلماء فلم يتعلم، وصاحب الحكماء فلم يتفهم، وقرأ عن العظماء فلم تتحرك همته، فهو حيوان يأكل ويشرب، وإن كان إنساناً ينطق ويتكلم !!



رثاء حي

حكي أن أحد الشعراء مدح أحد الأثرياء بقصيدة فلم يعطه شيئاً، ثم أتاه في السنة التالية، فمدحه بقصيدة أخرى فكان نصيبه الفشل أيضاً، ثم جاء في السنة الثالثة، وقعد على باب الدار، وعندما خرج الغني وجد الشاعر نفسه فسأله: ما جلوسك عند باب دارنا؟ وأنت لا تنال على قصائد المدح فينا شيئاً؟ فقال: جئت أنتظر موتك لأرثيك بهذه القصيدة التي معي لعل من يرثك يعطيني شيئاً، فضحك وأجزل له العطاء.



جديد الطب والعلوم

إعداد: تمام أحمد

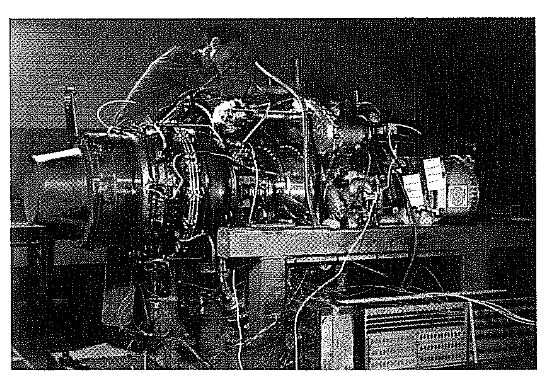
جيل جديد من الليزرات الدقيقة

ذكر العلماء أنهم طوروا تصميماً جديداً لتحويل أجهزة الليزر الدقيقة جداً إلى أجهزة أكثر قوة ومرونة.

ففي محاولة لإكمال الأجيال الجديدة، من الليزرات الصغيرة جداً العاملة بشبكة الموصلات، وجعلها أدوات أكثر تفوقاً قام العلماء في الولايات المتحدة وأوروبا بتغيير جذري في تصميم أحد أجزاء الليزر الرئيسية لجعلها أكثر فعالية مستخدمة طاقة أقل. ووصف العلماء الذين أشرفوا على هذا الإنجاز الكبير والذين ينتمون إلى جامعة ييل ومختبرات بيل ومؤسسة لوسينت للتكنولوجيا في الولايات المتحدة وبعض المؤسسات الألمانية النتائج بأنها أولية وتتطلب المزيد من البحوث الدقيقة رغم أن البعض الآخر وصفها ببداية مرحلة جديدة من الليزرات المتطورة. ومثل هذه الليزرات الجديدة ذات أهمية كبيرة خصوصاً في ما يتعلق باستخدامها في الاتصالات السريعة جداً استناداً إلى أبيل دايموند مدير التسويق في مجموعة ابتيوليكترونيكس.

وذكر العالم فرديركو كاباسو من مؤسسة ليوسينت الذي شارك في هذا البحث أن تقنية الليزرات الدقيقة هذه تحتاج إلى المزيد من الدروس والاستقصاء وأنه كلما غذيتها بالمزيد من الطاقة أنتجت طاقة أقوى وأشد، ولكن بتصميمها الجديد تستهلك طاقة أقل بشكل عام

والليزرات الجديدة هذه هي من الصغر بحيث إن المئات منها يمكن تركيبها على رأس دبوس من دون أن يؤثر هذا الحجم الصغير على قوتها العالية مما يمكن استخدامها للأغراض ذات التقنية العالية، منها مثلاً نقل المحادثات الهاتفية وصور الفيديو ووسائط الإنترنت وإن كان ذلك بجودة أفضل.



وتتمد هذه التقنية الجديدة التي يمكن تطويرها بشكل جذري على جعل الـ«ريزونيتور» يبث أحزمة ضوئية غير مرئية بعد تقدير حجمها وقوتها وشكلها وعلّق على هذا الاكتشاف العالم النمساوي اريخ جورنك الذي وصفه ببدء مرحلة جديدة التي من شأنها فتح الباب على مصراعيه أمام جيل جديد من الليزرات الدقيقة جداً القادرة على العمل بتيار كهربائي ضعيف جداً بفعالية وكفاءة.

شبكة الكترونية محلية لتأمين المعلومات للسكان الأكبر من نوعها في أوروبا

سيتمكن آلاف البريطانيين الساكنين في منطقة ميرسيسايد شمال انكلترا من التواصل بسرعة عبر شبكة من النظم المعلوماتية وشبكات الاتصالات مع إدارتهم المحلية أو مخزونات المعلومات في الإنترنت.

وذلك بعد إعلان مجلس بلدية ناوسلي عن منح عقد بقيمة ٨,٥ مليون جنيه استرليني لشركة «تيليويست» للاتصالات لوضع الشبكة الجديدة.

ويعتبر هذا المشروع الأكبر من نوعه في أوروبا على نطاق البلديات، وسيتوصل ١٦٣ موقعاً تابعاً لمجلس البلدية من ضمنها المقرات الإدارية والمكتبات والمدارس المحلية بالشبكة لتمكين المواطنين من الحصول على المعلومات وطرح الأسئلة.

وستكتمل أعمال المشروع العام ٢٠٠٠م ويتمكن السكان من جني فوائد جمة منها حصول كل ساكن على عنوان بريدي الكتروني للاتصال مع إدارة البلدية والحصول على الرسائل والإجابات منها.

وإمكانات تواصل السكان ورجال الأعمال مع شبكة الإنترنت من المكتبات أو مكاتب العمل.

كما يتمكن التلاميذ من الدخول إلى مخزونات المعارف المعروضة بوساطة الإعلام المتعدد لمساعدتهم في تنفيذ واجباتهم المدرسية.

وسيحصل ٦٠٠ من رجال الأعمال والشركات الصغيرة والمتوسطة على فرصة التواصل عبر الشبكة الإلكترونية المحلية والإقليمية للاتجار عليها بالبضائع والخدمات واكتساب المعارف والمهارات والتدريب.

مد شبكات استغلال ماء المطر مع بناء البيوت

منذ أن أقرت محكمة الدستور الاتحادية استخدام مياه الأمطار لأغراض الغسيل والتنظيف في البيوت، وشركات البناء البيئية تقدم خدماتها المتطورة لإنشاء شبكات استغلال ماء المطر مع بناء البيوت الجديدة، هذا إلى جانب وجود هياكل شبكات أخرى يمكن تأسيسها في البيوت القديمة أيضاً وتسهل على المواطن استخدام ماء المطر، ومن عاش صيف ألمانيا المطير يعرف كميات المياه الهائلة التي يمكن اقتصادها عن طريق استغلال مياه المطر. وكانت محكمة الدستور قد حسمت العام ١٩٩٤م معارك قانونية محتدمة دامت أكثر من خمسة أعوام بين حماة البيئة الداعين لاستخدام مياه المطر في أعمال التنظيف والغسيل، وبين شركات تنقية المياه وشركات المياه الغازية التي ترى أن ماء المطر ملوّث ولا يصلح للاستخدام في هذه الوظائف، وجاء قرار المحكمة النهائي واضحاً: يمكن استخدام ماء المطر في أعمال التنظيف والغسيل والسقي لأنه لا يحتوي على جراثيم خطيرة ولكن بشرط فصل شبكات الماء المصفى عن شبكات ماء المطر، وطبيعي فقد جاء قرار المحكمة بعد دراسة تحليلية طبية معمقة لمياه المطر ومحتوياتها.

ومنذ قرار المحكمة المذكور أصبح استغلال ماء المطر، وبالتالي الاقتصاد بماء الحنفيات، وهذا دليل وعي بيئي بين الألمان، وتتسابق العوائل المعنية بشؤون البيئة لإقامة هذه الشبكات ومدها على مستوى قرى بأكملها، وفي دراسة صدرت العام ١٩٩٧م عن «اتحاد اقتصاد الماء والغاز» فإن استهلاك الماء المصفّى ينخفض باطراد بفضل الوعي البيئي المتقدم وبفضل انتشار شبكات استغلال ماء المطر، إذ يحتاج الألماني العام ١٩٩٧م إلى ١٢٨ لتراً من الماء المصفّى يومياً في حين كان يحتاج إلى ١٤٥ لتراً يومياً العام ١٩٩٠م، ورغم أن طقس ألمانيا الماطر الذي يضمن لألمانيا أن تبقى أكبر بلد سياحي في أوروبا «سياحة إلى خارج ألمانيا بالطبع» فإن المواطن الألماني يستخدم ٥٠٪ من الماء المستهلك لأغراض الطبخ والشرب والتنظيف في حين تذهب الـ ٥٠٪ الأخرى لأغراض سقي الحدائق والزهور.

إلا أن كلفة الـ ٥٠٪ الأولى هي ضعف كلفة الـ ٥٠٪ الثانية حسب مصادر الدراسة، وخصوصاً الجزء الخاص بتنظيف الملابس والبيوت وغسل السيارات. وقد أسهم استغلال ماء المطر ليس في تطور تكنولوجيا الاقتصاد في الماء فحسب وإنما في تطور مبيعات وتقنية شركات بناء شبكات ماء المطر، علماً أن «اتحاد اقتصاد الماء والغاز» يرفع مع المنظمات البيئية الأخرى شعار خفض استهلاك الفرد الألماني للماء المصفى إلى ٥٠ لتراً في اليوم، وبالتالي الاقتصاد باستهلاك المياه والحفاظ على مصادر المياه الجوفية.

إن أبسط وأضمن وأرخص شبكات استغلال ماء المطر تقدمها اليوم شركة فاجنر المختصة بتنقية شبكات مياه المطر.

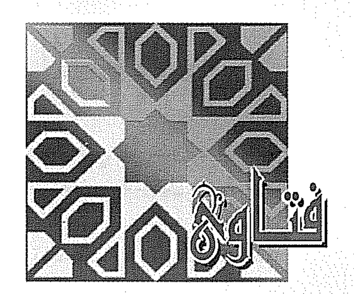
وتعتمد الطريقة على تجميع ماء المطر على السقوف باتجاه ماسورة قمعية تحتوي في جزء منها على جهاز تنقية وترشيح، ويتم جمع ماء المطر في خزان كبير في قبو المنزل أو في أرض الحديقة ليضخ الماء منه إلى الشبكة التي تمتد إلى التواليت والغسالة الكهربائية وغيرها، ويجري الحفاظ على الماء جارياً لأقصى حد عن طريق حنفية ماء تنفتح على الحوض، إذ تنفتح هذه الحنفية لتملأ الخزان في حال وجود شحة في المطر، أما إذا زاد ماء المطر عن طاقة الخزان، فإن الماء الزائد يتم ضخه إلى الحديقة في الحال أوتوماتيكياً. وحسب تعليمات محكمة الدستور لا يجوز أن يختلط ماء المطر بماء الشرب مع ضرورة وضع علامة تحذيرية على الأنابيب الخاصة بماء المطر.

وطبيعي ليست كل السقوف ملائمة لهذه العملية فبعض السقوف ملوثة لماء المطر، وتشجع السقوف الأسمنتية أحياناً على تجمع نوع من الألياف في قاع الحوض، أما موقع الحوض فيبنى عادة في أرض الحديقة في البيوت الحديثة البناء ويوضع في القبو في البيوت القديمة التي رغب أصحابها باستغلال مياه المطر.

إن شبكة لمياه المطر مع خزان يتسع لـ ٣٠٠٠ لتر في القبو يكلف حالياً ٤٠٠ مارك، وهي شبكة نموذجية لعائلة من أربعة أشخاص، أما لشبكة أكبر مع حوض يتسع لاستخدام ٥ ـ ٦ أشخاص، فيتكلف ٦٠٠٠ ـ ٧٠٠٠ مارك. ولاحظت دائرة البيئة الاتحادية أن استخدام شبكات مياه المطر في السنوات الخمس الأخيرة لم يخل من مشاكل ومخاوف، واضطرت الدائرة لإجراء دراسة أعلنت في مارس الماضي وتوصلت إلى أن المضاعفات التي نجمت حتى الآن عن استخدام ماء المطر لم تكن خطيرة، لكنها لم تنجم بسبب ماء المطر، وإنما بسبب ضعف الوعي وضعف رعاية الشبكة، إذ يقع على صاحب الشبكة استبدال جهاز الترشيح «الفلتر» بين فترة وأخرى (١٠ سنوات من بدء التركيب)، وتنظيف الخزان والشبكة باستخدام المواد الطبيعية، كما لاحظت الدائرة إغفال بعض المواطنين للتعليمات الصحية وخلطهم لمياه الشرب مع مياه المطر، ونصحت الدائرة المواطنين بالعمل مع الشركات المؤسسة على توفير رعاية دائمة وفحص سنوي للشبكات كفيل ببعث الاطمئنان حول مياه المطر.

على صعيد آخر أعلنت مدينة فرانكفورت عن خطط لاستخدام مياه المطر في الغابات لأغراض الشرب بعد تنقيتها، وأعلن رئيس بلدية المدينة أن شركة المياه المحلية تخطط مع مطلع القرن المقبل لجعل ماء الغابات يشكل ربع كمية الـ ٦٠ مليون متر مكعب من مياه الشرب التي تستخدمها فرانكفورت. وكانت بلدية فرانكفورت وظّفت ٢٠ مليون مارك في استغلال مياه مطر الغابات في جنوب المدينة، واستطاعت باستخدام الكاربون المنشّط تخليص مياه الغابات من السموم النباتية التي تختلط بها، وأدى استغلال مياه مطر الغابات المستخرج من عمق ١٤٠ متراً في رفع طاقة محطة جولد شتاين من مليون إلى ٧ مليون متر كعب للعام، وجرى رفع طاقة محطة هينلكستاين بالطريقة ذاتها من ٣,٥ مليون متر مكعب إلى ٥ مليون متر مكعب من المياه سنوياً.

وأعلن رئيس حكومة ولاية هيسن اعتبار ٧٢ كم مربعاً من الغابات المحيطة بمطار فرانكفورت مناطق محمية تستخدم لاستغلال مياه المطر في الغابات، وسيقع على محطات التصفية بالدرجة الأولى، تخليص مياه الغابات من المواد المستخدمة في منع «تجمد الطائرات عن طريق أحواض الكربون المنشّط»، وهي مواد توجد بكثرة في الغابات المحيطة بمطار فرانكفورت الدولي.



زكاة الأسهم الخاسرة

عُرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من السيد/ غازي وهو كما يلي:

يُرجى إفادتنا عن شخص يمتلك أسهماً، وقد هبطت القيمة واعتبر، خسران الآن، وهو من المزكين، فكيف يستطيع أن يبدأ بالزكاة في هذه الحالة، ومتى يعتبر المال نصاباً في هذه الحالة؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

إذا كانت الأسهم للتجارة أو حيزت للتجارة تقوّم قيمتها يوم وجوب الزكاة، فإن بلغت مع باقي أمواله الزكوية الأخرى نصاباً فإنه يزكي عن جملة هذه الأموال بمقدار ربع العشر والله أعلم.

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت.

والمجلة على استعداد لتلقي الاسئلة مباشرة وتحويلها الى اهل الاختصاص للاجابة عنها.

ويسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الاسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء على الهواتف التالية :

هاتف مباشر خدمة الفتوى 149

المراد بالذي عنده علم من الكتاب

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من السيد سليمان ونصه كما يلي :

قوله تعالى : (قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) النمل: ٤٠.

أجابت اللجنة بما يلي:

تعرف أوجه التفسير مما أوروده الطبري ١٦٣/١٩، وابن كثير ٢٣٦/٥، وزاد المسير ١٧٤/٦، وتفسير الماوردي ٢٠١/٣ ـ ٢٠٢، وهو أجمع من أورد الأوجه فيها ونصه التالي:

قوله: (قال الذي عنده علم من الكتاب)، فيه أربعة أقاويل:

أحدها ـ أنه ملك أيّد الله به سليمان، والعلم الذي عنده من الكتاب هو ما كتب الله لبني آدم وقد أعلم الملائكة منه كثيراً، فأذن الله له أن يعلم سليمان بذلك وأن يأتيه بالعرش الذي طلبه، حكاه ابن بحر.

القول الثاني: أنه بعض جنود سليمان من الجن والإنس، والعلم الذي عنده من الكتاب هو كتاب سليمان الذي كتبه إلى بلقيس، وعلم أن الريح مسخرة لسليمان وأن الملائكة تعينه، فتوثق بذلك أن يأتيه بالعرش قبل أن يرتد إليه طرفه.

والقول الثالث: إنه سليمان قال ذلك للعفريت.

والقول الرابع ـ إنه قول غيره من الإنس، وفيه خمسة أقاويل «أحدها» أنه مليخا، قاله قتادة، «الثاني» أنه اسطوم، قاله مجاهد، «الثالث» أنه آصف بن برخيا وكان صدّيقاً، قاله ابن رومان، «الرابع» أنه ذو النور بمصر، قاله زهير، «الخامس أنه الخضر، قاله ابن لهيعة.

و«عِلْم الكتاب» هو اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب. «أنا آتيك به» يعني بالعرش.

«قبل أن يرتد إليك طرفك» فيه ستة أوجه أحدها قبل أن يأتيك أقصى من تنظر إليه، قاله ابن جبير، الثاني: قبل أن يعود طرفك إلى مد بصرك، قاله ابن عباس ومجاهد، الثالث: قبل أن يعود طرفك إلى مجلسك، قاله إدريس، الرابع: قبل الوقت الذي تنتظر وروده فيه من قولهم: أنا ممد الطرف إليك أي منتظر لك، قاله ابن بحر، «الخامس» قبل أن يرجع طرف رجائك خائباً لأن الرجاء يمد الطرف والإياس يقصر الطرف، السادس: قبل أن ينقص طرفك بالموت، أخبره أنه سيأتيه قبل موته.

فدية إفطار المريض

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من السيدة/ مريم ونصه التالي :

كنت أقضي ما عليَّ من الصوم الواجب فكان حالي كل ما أفطر يعتريني ألم بالمعدة، فلما اشتد الألم واستمر دون انقطاع، أجرى الطبيب عليَّ الفحوصات فاكتشف أنني مصابة بالقرحة النشطة بالمعدة وحجمها ٤سم، وأعطاني علاجاً حبتين في اليوم، فطلبت رأيه فيما إذا كان من الممكن أن أصوم مع تلك القرحة، فرد عليَّ أنه إذا كان لازماً أن أصوم فيلزم إضافة عدد الحبوب المتناولة يومياً بحيث تكون ست حبات بدلاً من حبتين واستطرد قائلاً: لكن تناول تلك الكمية «ست حبات يومياً» له تاثير جانبي سيظهر ضرره فيما بعد.

فعلى ضوء ما سبق من كلام الطبيب ماذا يكون موقفي من الصوم، حيث إن الصوم ركن من اركان الإسلام الخمس.

ـ أجابت اللجنة:

أن هذه السائلة إذا قرر الأطباء أن الصوم يؤخر شفاءها أو يزيد من آلامها فليس عليها أن تصوم في الحال، سواء كان صومها أداء أو قضاء عما فاتها، وإذا قرر الأطباء أن مرضها لا يرجى برؤه فعليها عن كل يوم تفطره فدية طعام مسكين من أوسط ما تطعم أهلها وجبتين مشبعتين، وأما إذا كان يرجى برء هذا المرض فعليها أن تنتظر إلى حال الصحة فتقضي ما أفطرته من أيام ولا يجزئها الإطعام والله أعلم.

توحيد الأذان بجهاز تحكم آلي

اطلعت اللجنة على الاستفتاء المقدم بخصوص اقتراح لعمل نظام لإذاعة الأذان للصلوات الخمس ألكترونياً، ونص الاستفتاء كما يلي: **نتيجة للتطورات الحديثة للأجهزة الإلكترونية، وبخاصة في مجال الحاسب الآلي، وتعدد التطبيقات العلمية لها، فقد أصبح بالإمكان تسجيل الأصوات ألكترونياً في ذاكرة الحاسب الآلي عن طريق إدخال دوائر إدخال خاصة، ومن ثمَّ تصميم نظام متكامل يقوم بتسجيل الأذان ألكترونياً وتخزينه في ملفات ألكترونية خاصة بالنظام، ثم اختيار الأذان المطلوب وبثه إذاعياً حسب أوقات الصلاة، والتي يقوم الجهاز باحتسابها تلقائياً، ويتكون النظام المقترح من جهاز للحاسب الآلي المصغر الذي يحتوي على: ساعة زمنية فعلية، وأجهزة إدخال وإخراج للصوت مناسبة للاستعمال ترتبط مع شبكة المكبرات والموزعات الصوتية الموجودة داخل المسجد، نرجو إفادتنا برأي اللجنة الموقرة في ذلك.**

- وبعد التداول أقرت اللجنة الإجابة بما يلي: إن فكرة تسجيل أنواع وأصوات من الأذان ألكترونياً، وتخزينها في ملفات ألكترونية خاصة، ثم اختيار الأذان المطلوب، وبثه إذاعياً حسب أوقات الصلاة بوساطة أجهزة ترتبط مع شبكة المكبرات والموزعات الصوتية الموجودة داخل المساجد، لابد أن تستهوي كل قارئ وسامع، لاشتمالها على توحيد الأذان في البلد، وتخيّر الأصوات الندية للتأذين، وتحديد أوقات الأذان بوساطة جهاز الحاسب الألكتروني الذي يقوم بضبطها بدقة. لكن هناك سلبيات ومحاذير تقابل هذه المحسّنات، وتقلل من شأنها، منها :

أولاً: إن المطلوب في الشرع هو إنشاء الآذان والقيام بعملية التأذين فعلاً، وهذا البث الألكتروني إنما هو صدى للتأذين، وليس هو الأذان الفعلي المطلوب في الشرع. كما أن المطلوب شرعاً هو أن يؤدي المسلمون الصلاة فعلاً، لا أن توجد مجرد صلاة، كذلك المطلوب هو أن يؤذن كل جمع من المصلين قبل صلاتهم فعلاً، لا أن يكون هناك مجرد أذان أو صدى تأذين، لأن الأذان عبادة لابد من قصد التعبد فيها، وهو لا يحصل من الآلة.

ثانياً: إن الأذان سنة للصلاة وشعيرة من شعائر الدين تتقدم الصلاة فعلاً، ويؤذّن للصلاة نفسها بعض المصلين أنفسهم، بل الأفضل عند الحنفية أن يكون الإمام هو المؤذن، كما كان عليه أبو حنيفة - رحمه الله تعالى - وكما ذكر ذلك الكمال في فتح القدير ١٧٨/١ط، بولاق، ونقله الطحاوي في حاشيته على مراقي الفلاح ص ١٢٤ ط، بولاق، وإذاعة الأذان الواحد المذكورة بوساطة الأجهزة يُخْلي الصلاة من هذه الشعيرة، لأنه كما ذكرنا ليس تأذيناً فعلاً، بل هو صدى. ولهذا يأثم أهل المنطقة بذلك، ويرتكبون الكراهة بسبب ترك سنة الهدى التي أشار إليها الإمام أبو حنيفة بقوله: «لو اجتمع أهل بلدة على تركه قاتلتهم، ولو تركه واحد ضربته وحبسته».

ثالثاً: إن هذا الأسلوب المقترح للأذان - لو سلّمنا بشرعيته - يحصر فضله في مؤذن واحد، بل قد يفقد المؤذن مطلقاً إذا كان تشغيل الجهاز أتوماتيكياً كاملاً، ويَحْرُم كثيرين من المؤذنين من فضل الأذان لعظيم، وقد صرحت به أحاديث وآثار كثيرة نذكر منها:

١ - حديث: «لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة» رواه البخاري.

٢ - وحديث: «المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة» رواه مسلم.

٣ - وحديث: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه...» متفق عليه، ومعناه «لتنافسوا حتى يجروا القرعة للفوز عليه».

بل لقد تمنى عمر - رضي الله تعالى عنه - أن يكون هو المؤذن للصلاة، وقال: لولا الخلافة لأذنت.

٤ - أنه يفوت على الناس سنة مأثورة مشهورة، وهي أن يقيم للصلاة مَنْ أذّنَ لها، كما روي في الحديث: «من أذّنَ فهو يقيم» وهو حديث فيه ضعف، لكن عليه يحيل الفقهاء، وقد روي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أذّنَ في سفر بنفسه وأقام وصلى الظهر.

٥ - إن المأثور في أذان الجمعة أن يكون ابتداؤه حين يجلس الإمام على المنبر، فلو أريد تطبيق هذا النظام بصورة شاملة لما تأتى ضبط تلك اللحظة في كل المساجد، فقد يتأخر الإمام في جلوسه وقد يتقدم، والسنة أن يؤذّنَ بين يدي الخطيب، ولا يقوم الجهاز مقامه بين يديه.

٦ - هناك فرق واضح بين أن يسمع المصلون الأذان من مؤذن من بينهم يرونه وهو يردد كلمات الأذان ويضفي عليها من نفسه وروحه، وبين أن يسمعوا الأذان من جهاز آلي، لا حركة فيه ولا حياة، وذلك كالفرق بين الحي والميت.

٧ - إن ربط هذه الشعيرة العظيمة، المشروعة للصلاة - وكأنها بنفسها هي صلاة بهذه الأجهزة - فيه تعريضها للاضطراب والفوضى كلما لحق الأجهزة خلل أو مسّها سوء، بمقدار ما فيه من استهواء توحيد الأذان، وتحديد مواقيت الصلاة وتخير الأصوات الندية، ومن أجل ذلك كله ترى اللجنة عدم شرعية استخدام هذا النظام المقترح للتأذين الموحد واستمرار العمل عى ما توارثته الأمة والله أعلم.

الاكتفاء بأذان المساجد المحيطة

عُرض على اللجنة السؤال المقدم من مدرّسي مدرسة ما ونصه:

يحين أذان الظهر وقت انشغال المدرسين بالحصة، وبين دخول وقت الظهر وفرصة الصلاة ساعة تقريباً «أي دخول وقت الظهر الساعة ١١,٣٤ دقيقة، وتبدأ الفرصة الساعة ١٢,٢٥ دقيقة»، ونحتاج إلى عشر دقائق للوضوء.

والسؤال: هل نُؤذّن للصلاة في أول الوقت في إذاعة المدرسة ولو أدى ذلك إلى التشويش على المدرسين والطلبة أثناء انشغالهم بالحصة، أم نؤذن بصوت هادئ غير مزعج؟ أو نؤخر الأذان لحين فرصة الصلاة، وتكون غالباً بعد دخول الوقت «الساعة ١٢,٢٥ بدايتها، ونهايتها ١٢,٤٥»، أو نكتفي بأذان المساجد المحيطة بالمدرسة والتي نسمع أذانها بوضوح؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

يكتفى بأذان المساجد المحيطة بالمدرسة مادام أذانها يسمع، وذلك للأثر المروي عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - «أذان الحي يكفينا» ويمكن التنبيه إلى إقامة الصلاة برفع الصوت عند الإقامة.

وضوء مقطوع الرجل

(٧٠٤) عُرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من السيد/ سلمان ونصه كما يلي:

إذا قطع عضو من جسم الإنسان «بترت رجله مثلاً» من فوق الركبة كيف يتم الوضوء؟

- أجابت اللجنة بما يلي: إذا قطع عضو واجب التطهير وبقي بعضه وجب تطهير ذلك البعض غسلاً أو مسحاً لحديث: «إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه استطعتم» ولقاعدة: «الميسور لا يسقط بالمعسور»، وإذا قطع العضو كله سقط الغسل أو المسح الواجب، وذهب بعض الفقهاء إلى أنه يندب غسل باقي العضو كالعضد أو الساق لئلا يخلو العضو عن طهارة، وليس هذا واجباً لسقوط المحل والله أعلم.



هنا يرسو القلم، ينفض عن كاهله وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع ...

عناقيد الشيطان

بقلم : محمود علي عبدالرحمن

تموج بحار الأسى في بعض بيوتات المسلمين بالكثير من المآسي المفجعة والفواجع المؤلمة، ويحار الكثيرون في علاجها، وقد يصير من هول بعضها الحليم حيران، وتؤدي بعضها إلى تفريق أزواج وهدم بيوت، وزعزعة أسر تنعم بالاستقرار والثبات، وإفشال طلاب كانوا مثلاً للتفوق والنجاح، وغير ذلك كثير مما هو بشع الثمر مر المذاق.

وما يترامى للأسماع والأبصار من بغيض أفعالهم، لا يندرج تحت حصر، فكم من بيوت خربت؟ وعروس عذبت؟ وفتاة عنست؟ وحامل أجهضت؟ وعاقل جنت؟ وسليم صرعت؟ وأحبة فرقت؟ وبلايا ارتكبت؟ ورزايا جنت؟ وعقدة عقدت؟ ونفثة نفثت؟ وفتن كقطع الليل طغت؟ وما خفي كان أعظم، ومن رحمة الخالق أن قال: (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله) (البقرة:١٠٢).

وفصيل من بني جلدتنا أوتوا القدرة على الصبر واستعانوا بشياطين الجن ليعيثوا في الأرض فساداً، وايم الله.. إنهم أناس اتخذوا الشياطين لأمرهم ملاكاً واتخذوهم له أشراكاً، فباض وفرخ في صدورهم، ودب ودرج في حجورهم فنظر بأعينهم ونطق بألسنتهم فركب بهم الزلل وزين لهم الخطل، يقول تعالى: (وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر) البقرة:١٠٢ أناس باعوا أنفسهم لشياطين الجن بثمن غال (ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) البقرة:١٠٢، وباعوها لشياطين الإنس بثمن بخس دراهم معدودة، ونسوا يوماً سيساقون فيه إلى جهنم ورداً. إن نظرة ثاقبة للتشريعات الجنائية في جُلِّ بلاد المسلمين لتصيبك بالفزع والجزع من هول تفريطها في عقاب مثل تلك الجرائم رغم جسامتها، ناهيك عن سهولة إتيانها وصعوبة إثباتها في حق السحرة، وذلك مكمن الخطر، لأن إفلات مجرم واحد من العقاب، لعدم كفاية الاستدلال أو لعدم تأثيم الأفعال كفيل بهبوب رياح الفتن وعواصف المحن في المجتمعات الآمنة، فما بالك وقد تُرك الحبل على الغارب لعشرات السحرة المجرمين الذين ينتشرون في بطون الأرض، يستترون وراء كواليس الإهمال فلا عقاب ينالهم فيزدجروا ولا قصاص يحيق بهم فيرتدعوا!

فيا ليت شعري .... كيف يظل الساحر ماكراً في كيده ماهراً في سحره يعبث بالحرائر ويفشي السرائر؟ وإلى متى يقترف كل هذه الكبائر ويبيت قريراً وغيره مكدوراً؟!

أما آن للقانون أن يكون سيفاً بتاراً وجذوة من نار يصطلي بها كل مجرم سحار، ليخسؤوا في جحورهم مع الأفاعي والحيات، فتنحسر جرائمهم وتستأصل شأفتهم حتى تنعم المجتمعات بالأمان من كيد عناقيد الشيطان، (ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً. إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً). ■